

كتاب العقد الفريد للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طحمة
الوزير تغمد الله بغفرانه
وأسكنه بحبوحه
جناته آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفريد للملك السعيد) لأبي سالم محمد بن طحمة القرشي النصيبي الوزير
المتوفى سنة ٦٥٢ اثنتين وخمسين وستمائة أوله الحمد لله حامى حوزة بلاده بجلوك الخ
جعله على أربعة قواعد (الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات (الثانية)
في الساطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل
المطلوب بأنواع من الزيادات

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له وعفا عنه * الحمد لله حامى حوزة بلاده بملوك اجتهادهم لحراسة عبادته وحباهم من الطاف امداده بلطائف ارفاده وصلواته على رسوله محمد المصطفى الذى جاهد فى الله حق جهاده حتى ثقف من الاسلام اود منآاده صلاة ينجوبها قائلها من عناده ويكثر رها على تعاقب أحقاب الزمان وآباده (وبعد) فان القلم اذا جرى فى القدم بتأييد الله واسعاده من اختصه من ملوك الدنيا بتوفيقه وارشاده ألهمه اكتساب السجاياء الحميدة فورى فى اقتباسها قدح زناده وأكرمه بالازاياء الشريفة فأجناه من غراس سعيه ثمار مراده وأيقظ طرف عزمه فى مكارم الاخلاق فتنبه من وسن رقاده وركض طرف فهمه فى مضممار الوقائع فأدرك غامضها بجري جواده حتى يرى ان استعباده رقاب الاحرار باسداء طارف احسانه وتلاده واستنفاده فى احياء سنة العدل وامانة سنة الظلم غاية جهده وغاية اجتهاده أنفع ذخائره التى يعتد بها من عناده لمعاده فلا جرم يمنحه كل ذى فضل ونهى ثناء لسانه وشكر فؤاده ويمحضه كل ذى زهد وتقى بقسط من صالح دعائه

قوله منآاده على وزن
منقاد بمعنى المنحني
والمعوج ومصدره
الانثياد كالاتقياد
لنتهى معجمه وهى

في وظائف أوراده كالمقام الكريم العالى المولى السلطانى الملكى السعيدى
النجمى أفاض الله عليه من لباس التأييد موقوف أبراده وراض جوامع الاقدار
لطاغته لتكون من أعوانه وأجناده وجعل طلى اضداده وكللى حساده يوم جلاده
أعما دالحداده فانه لما تولا الله بعين عنايته فى اصداره وايراده وحيائه من خفى
ألطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده وآتاه زمام ذلك كله فأذن له الاقبال
باصحابه وانقياده (شعر)

ودرت له أخلاف كل سحبية * نماها الى العليا طول نجاهه
وحاز رهان السبق فى حلبة العلى * بدى شرف من صافنات جياهه
وانضاف الى ذلك أن غمرنى فى الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره ومتحنى
من سيب عطائه بتياره وأنزلنى من قلبه الشريف على تعهد عهدي بمقامه الكريم
المتف منزلة فرضت على ترتيب حمد بتلاوته وتكراره فالانسان ان لم يقم
بشكر المحسن اليه فانه لكانود وانه ان جنح الى الانكار والجحود فهو من آثار المبادر
التي شملته بين شاهد ومشهود فرأيت انى لا أقوم فى هذا المقصد المطلوب والمطلب
المقصود بشكر سبل احسانه السابغ البرود وحمد منهل انعامه الشائع البرود الا
بتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى العقود ويزداد العالم به
مهابة وجلالا لاسمى يوم حضور الجمع ووفود الوفود ويطلع بمطالعة على قيم
الحاضرين بين يديه فى كل صدور وورود ويكون على الحقيقة خلاصة الصفات
البشرية وزبدة الاخلاق الانسانية التى علمها مدار قطب شرف السجاي وبها
تدراخلاف كرم المزايا وهى شجرة مثمرة لابانة الاخلاق التى بها سعد الغارسون
وفى مثلها فلية تنافس المتنافسون فأخذت فى تأليفه وشرعت فى تصنيفه قضاء
لما أسداه من احسانه السالف وقياما بحقه الذى يقصر عن حقه فصاحه لسان
الوائف وأنا أرجو من الله تعالى أن يجعله كتابا تقر بمطالعة العيون وتصدق
فى انتاجه الظنون فانه فى جمع فرائد الفوائد ونوادر المقاصد كالفلك المشكون
كما قرأ منه مطالعة شيئا دفعه الى حديث ذى شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته
باسمه سمته * (بالعقد الفريد * للملك السعيد) * وجعلته مشتملا على مقدمة
وقواعد * أما المقدمة فهى الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة
من مطالعته والحث على ادمان قراءته وملازمة النظر فيه وفى أمثاله *

فأقول والله الموفق * قد ترشح في أذهان أهل الدراية والعرفان وثبت عند ذوى العقول بالدليل والبرهان أن الإنسان وإن كان نوعاً من الحيوان فهو العالم الأصغر فإن الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والخلق المتناسبة والشهوات الغالبة ما يقتضي خروجه في أكثر الأوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو إن رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخائيل التجر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى أن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وإن رأى عجزه واحتياجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفاً وإن رأى كمال يقظته ورزاقته عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره في الوسوس والتفكيرات وألقته ريج وهمه في أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه وإن رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخائيل التفكير فأسرعت به إلى التلبس بالأمور قبل وقت تمامها وحملته إلى مباشرة الأشياء قبل إتمامها ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الإنسان من عجل * وباعتبار هذه الأسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسروراً وتارة محزوناً وتارة منبسطاً وتارة منقبضاً وتارة راضياً وتارة ساعطاً وتارة شجاعاً وتارة جبباً وتارة جواداً وتارة بخيلاً وتارة قوياً وتارة ضعيفاً وتارة مطيعاً وتارة عاصياً وتارة مستيقظاً وتارة غافلاً وتارة ذاكراً وتارة ناسياً وتارة متجاوزاً وتارة منتهماً فبما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات إلا والإنسان متعرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه إلى كشف الغطاء عما عليه الإنسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذي شرحناه والتقسيم الذي أوضحناه فقال عليه السلام * أعجب ما في الإنسان قلبه له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها إن سخره الرجاء أذله الطمع وإن هاج به الغضب اشتد به الغيظ وإن أسعف بالرضا نسي التحفظ وإن ناله الخوف فتحه الجزع وإن استفاد مالا أطغاه الغنى وإن غصته فاقة شغله الفقر وإن جهده الجوع أقعده الضعف وإن أفرط في الشبع كظته البطننة وكل تقصير به مضرت وكل إفراط له مفسد * فقد وضع بما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الكلمات التي هي

جواهر الكلام وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استعداد النفس البشرية لأنواع
 الاخلاق والشميم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يحدثها وموجبا
 يقتضيها وهي تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالسرور والانبساط والرضا
 والشجاعة والجود والقوة والاحسان والطاعة واليقظ وغير ذلك من الصفات
 الحميدة والاخلاق المرضية والى صفات مذمومة وحالات قبيحة تنفر النفس
 المظمنة عن التحلي بشئ منها كالخزن والانقباض والسخط والجبن والبخل
 والضعف والاساءة والمعصية والغفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة والاخلاق
 الرديئة فلا جرم من أراد أن يحصل له شئ من الحالات المرغوب فيها والصفات
 المدوح صاحبها سعى في تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن أراد إزالة شئ من
 الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى في إزالة سببه أو في تحصيل سبب
 يقتضيه فانه اذا حصلت له الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة المناقضة لها
 ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الاسباب فلا جرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل
 على معرفة هذه الاسباب وملازمة قراءته تؤدي الى تحصيل المرغوب ودفع
 المرهوب فحينئذ يتصور في النفس صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحمودة
 المرغوب فيها فيتسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة المرهوب
 عنها فيعدم منها ويحصل له من معرفة الاسباب وتفصيل لوازمها علم يستحضر به
 أجوبة ما يسأل عنه وما يجري بين يديه من أنواع المخاطبات وأصناف المحاضرات
 اذ كم من ملك يختلف لديه عظام الامور ويتعارض بين يديه أسباب الحزن
 والسرور ويرد عليه رسل ملوك الاطراف بمختار ومخذور فيحتاج في ذلك الى
 رد وقبول وعلو ونزول واشراق وأقول واسعاف بمأمول وايصال لمقطوع وقطع
 لموصول بحسب ما تقتضيه مصلحة المملكة التي لا يجوز عنها صدوف ولا عدول فاذا
 عرف أصول قواعد الاسباب ومحصول عقائد ذوى الالباب وضح له على الحقيقة
 صواب الجواب وأتى بالغرض المطلوب في هذا الباب ونطق بما يشهد له بأن الله
 تعالى قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب فن طالع ما قد اشتمل عليه هذا المصنف
 من المقاصد وأدمن الفكر فيما يتضمنه من الحكم الشوارد وحلى جيد فكره
 بجواهر ما فيه من فرائد القلائد وبني عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد
 العقائد واقتفى سيرة من عرض بذكره من العظماء الامثال والملوك الامجاد

حصل لنفسه زيادة شرف توجب تعظيمه ونبله واستفاد به نباهة تشفع في اقتراع ذرى
الفخار أصله وتركه فعله ويحقق بذلك أنه قدر زق فضل عناية من الله سبحانه
فانه يؤتى كل ذى فضل لفضله * وحيث انتهى القول في المقدمة الى هذا المقام
فلنشرع الآن في بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على اتمام المرام فنقول
مقصود ما أومت الإشارة اليه وثمره ما وقع التنبيه عليه يحصل بأربع قواعد كل
قاعدة منها تشتمل على جواهر اذا نظمت في عقود الاجياذ ظهر حسن وجهها
الوسيم ورجح وزنها في نظرا الخبير العليم وشهدت للتحلى بها انه لعل خلق عظيم
(وهذا تفصيلها)

(القاعدة الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)*
في السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* في الشرائع والديانات *(القاعدة
الرابعة)* في تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات
(القاعدة الاولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تشتمل على عشرة أبواب)
*(الباب الاول في العقل وما يبنى عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض
العبادات اللازمة

*(الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت ودم الجزع والتسرع
*(الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه ودم الكفران وقبحه
*(الباب الرابع في المشورة وبركتها ودم تركها ومجانبتها
*(الباب الخامس في العدل والانصاف ودم الظلم والاحفاف
*(الباب السادس في الاتفاق والائتلاف ودم الشقاق والخلاف
*(الباب السابع في الوفاء ودم الغدر
*(الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة ودم التواني والغفلة
*(الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف واغاثة الملهوف
*(الباب العاشر في الصدق ودم الكذب

انما بدأنا أولا بهذا كمر العقل اذ به يقع الوصول الى معرفة الاشياء وعليه مدار
التكليف الذي جاءت به شرائع الانبياء وهو شرط في ترتب الثواب والعقاب على
الاعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفضيلته لعم الحكم بالاستواء بين ذوى الدراية
والاغبياء فأقول والله الموفق لما يرضاه واياه أسأل الاعانة على ما أقصد وأتوخاه

(الباب الاول في العقل)*

وما قص الله في محكم كتابه ومنزل خطابه وقد ضرب الامثال وأوضحها وبين بدائع
مصنوعاته وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ونقل عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادر فادبر
فقال عز من قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك آخذوبك
أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل
الزيادة والنقصان وقسم يقبله ما فاما الاول فهو العقل الغريزي المشترك
بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأق بها درك المعقولات وهذا القسم هو الذي به
يأتى تكليف الاحكام ويجرى القلم على صاحبه عند حصوله اما بالسنن
أو بالاكتلام وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة
التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا وأتم دراية وان
صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد
لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأرضعه الدهر من وقائع الأيام أخلاف درته
وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانه
العقل ورجاحته فهو في قومه بمنزلة النبي في أمته وقد يختص الله سبحانه بالطافة
الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خرائن مواهبه رزانه عقل وزيادة
معرفة تخرج عن حد الاكتساب يصير بهارا جاعا على ذوى التجارب والآداب
ويدل على ذلك قضية يحيى بن زكريا عليهم السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه
العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فن سبقت له من الله سبحانه سابقة في قسم
السعادة وأدركته عناية أزلية لحظته بعين الرعاية أشرفت على باطنه أنوار
ملكوتيه وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفتنة قلبه وأسفر عن وجهه الاصابة
لظنه وتشابهه من فرط ادراكه حدسه وعلمه وأدركت خفايا الامور فكرته ولا تكاد
تخطئ الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قضية
سليمان وهو وصي حيث رد حكم داود عليهم السلام في أمر الغنم والحرث* وشرح
فلاك فيما نقله المفسرون ان رجلا من دخل على داود عليه السلام أحدهما صاحب
غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه في الليل الى حرثي

فأهلكته وأكلته ولم يتولى فيه شيئا فقال داود في الحكم بين ما الغنم لصاحب
الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مراءى علي سليمان عليه السلام وكان
عمره ذلك الوقت على ما نقله بعض أئمة التفسير إحدى عشرة سنة فقال ما حكم
بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود وقال له
ما قال ولده سليمان فدعاه داود وقال ما هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم
الغنم إلى صاحب الحرث وكان الحرث كرها قد تلت عناقيدته وغت قضبانه في قول
أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الغنم يأكل كل من لبنها وينتفع بدورها
ونسلمها ويسلم الكرم إليه ليقوم به فإذا عاد الكرم إلى هيئته وصورته التي كانت
ليلة دخلت الغنم إليه سلم صاحب الكرم الغنم إلى صاحبها وتسلم كرمه كما كان
بعناقيده وصورته التي كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به علي
ما قال سليمان وفي هذه القضية نزل قول الله تعالى في محكم التنزيل وداود وسليمان
أذبح كان في الحرث اذنفشت فيه غنم القوم وكال حكمة هم شاهد من فقه مناهي
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة
وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهيته وإذا قذف الله تعالى شيئا من
أنواره وأهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى إلى مواقع الصواب ورجح على
ذوى التجارب في كثير من الأسباب ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل
بما يؤخذ منه وما يدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من
خصائص الاجسام ومما لا ينفك عنها بل يعرف بآثاره وأحكامه فأقول يستدل
على عقل الرجل بأمور متعددة (منها) ميله إلى محاسن الاخلاق واعراضه عن
ردائل الاعمال ورغبته في ابتداء صنائع المعروف وتجنبه عما يكسب عارا وبورثه
شئارا وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في كلامه
وكثرة أصابته فيه فقيل فان كان غائبا فقال بأحد ثلاثة أسباب إما برسوله وإما
بكتابه وإما بهديته فأمرسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته على
قدره فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبه وقيل من أكبر الأشياء
شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن حسن المداراة يشهد
لصاحبه بتوفيق الله تعالى إياه فانه قدر وى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ولا يكفي في الدلالة على كمال عقل الرجل

حكاية

الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحته وكثرة صلفه وتطافه بزمته اذ كم
من كيف مبيض وبعر مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن
وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت ان أختبر عقله
فسلمت عليه وقلت ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال
الاصمعي فحككت منه وعلت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك غزارة خرجه ودخله
وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مر موقابعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف
حقيقة حاله وتشهد عليه بقله عقله واختلاله ويتحيل في دعواه العقل بتوهمه
ومحاله كما ذكر أبو علي القاضي التنوخي عن عضد الدولة بن بويه انه كان قد تم في
دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف واعتقد في كمال عقله ورزانه نبه ورجحان
فضله فغناط به أزمة عقده وحله واعتمد اليه في أمر ملكه كله وكان نفاق الحاشية
يغطي عواره ويستتره وألسن الخدم والاتباع لعضد الدولة تمدحه وتشكره
وجماعة من عظماء الدولة تعرض عنه فلا تذكره وهو يتجسس بدعوى العقل وهو
أجهل من باقل ويتحلى بحسن التدبير وهو يجيد عن المعرفة عاقل ويظهر
الاستطالة على فضلاء الامثال وهو خال عن الفضائل واستمر ذلك برهة من الدهر
الى ان أناخ القدر المحتوم والقضاء المعلوم أن سافر عضد الدولة من العراق
الى همدان فتبعه أبو محمد الخرنبازي يطلب خدمة وكان ذا دراية وفضل وعقل
ورزانه ونبل فلما رآه أبو القاسم قد خرج في جملة الجماعة خشى من تقدمه عند
عضد الدولة فيفتضح مستوره وتقع أموره فحسن لعضد الدولة رده من الطريق
وابعاده عن الحجة وأن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة ويقيم بها قال أبو علي
ابن القاضي كنت بين يدي عضد الدولة وقد قال لابي بكر بن شاهويه وهو من أصحاب
أبي القاسم عبد العزيز تمضي الى أبي محمد الخرنبازي وتقول له تمضي الى البصرة
ونحن نجري لك معيشة ترتزق منها قدر طال تبعك لنا وتعبك معنا وقد تبرمنا منك
وليس في حضرتنا ما تحببه والسلامة لك في بعدك عنا وصاحنا أبو القاسم عبد
العزيز قد استعجب جماعة كثيرة في بعضهم غيبة عن أمثالك فانصرف عنا
واكتف بما رتبته لك ان شاء الله تعالى ثم ان عضد الدولة سير من خاصته شخصا
مع أبي بكر ليشهد ما يقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يكتم أبو بكر
شيئا من الجواب لكونه من أصحاب أبي القاسم فلما حضرا عند أبي محمد

قال له أبو بكر صورة ما قاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك الامر
للملك ولا خلاف له السمع والطاعة لتقدمه ولعمري ان الناس يجدوهم
ينالون ويحظونهم يستديعون ولو انني تقدمت عند الملك ونفقت لديه
ما كان عجباً فقد نال منه وتقدم عنده من أنا أرجح منه ولا يمكن المقادير
غالبية وليس للانسان عنها متقدم ولا متأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب
ولكن أيها الشيخ لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحة وشفاء
لما في الصدور فقال أبو بكر قل فاني أبلغها الملك فقال تقول له أنا صائر
الى ما أمرت ومتوجه الى البصرة لامثال ما رسمت ولكن بعد أن تقضى وطرا
في نفسي وفيه شهرة لعظمتك وتبنيه على انك لا تتخدد في ملكك ولا يلتبس لديك
حق بمبطل وعاقل بجاهل ومسيء بحسن ويقظان بغافل وجواد بياخل وهو أن
يتقدم في مقام عبد العزيز المكنى بأبي القاسم بين اثنين على رؤوس الاشهاد
وتتقدم منه انتقاما بالغا ويقال له اذالم تبذل جاهك للمتهف ولم يكن عندك
برضعيف ولا فرج لمكروب ولا عطاء لسائل ولا جائزة لشاعر ولا مرعى لمتجبع
ولا مأوى لضيف ولا ذب عن عرض مخدومك ولا استجلاب ثمار الاسنة بالادعية
والمحامد لدولة أوجدتك ولا لك من العقل ما تميز به بين ما يكسب حمدا أو ذما فلم
ألزمت نفسك أن يخاطبك بولك بسيدنا وتديك ليقبلها الداخلون ويقوم لك عظماء
الملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام وركب وعاد قال أبو بكر بن شاهويه
فعدت وقد سبقتني الذي كان معي مشرفا واذ كذلك للملك عضد الدولة فلما حضرت
عنده وأبو القاسم بين يديه سكنت فقال لي هات الجواب الذي ذكره أبو محمد فاستحييت
من أبي القاسم ان أذكره فقلت سمعته الملك من المشرف الذي أنفذه معي قال
قل فأنت كنت الرسول فاذا كرا الحديث على صورته كما فوالله ان تركت منه جرفا
لم تلق خيرا فإما أمكنني الا أني سردت كلام أبي محمد كما قاله ولم أترك منه شيئا وأبو
القاسم يتقدم في اهابه ويتمزق في جلده ويتغير وجهه ويتلون ألوانا عند كل كلمة
منه فأقبل عليه عضد الدولة فقال كيف ترى يا عبد العزيز لا جزاك الله خيرا الآن
علمت انك لا تعتمد حالة ترضى الله تعالى ولا تبني مكرمة ولا تحفظ مروءة ولا تحرس
أمانة ولا يخرج فكرك عنك ولا همتك الا في مال تجتذبه واقطاع لنفسك ثمره
وتجعلني بابا من باب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعني وتقرب

من يفعلك فذمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جرّك النار الى قرصك
وشرهك في جميع أحوالك وأذاك لمن يقصد أبوابنا ولكن لكل أجل كتاب ثم
أمر به فأخذ فظهرت بسوء فعله قلة عقله وبقبح قصده ضعف رأيه * وفي امثال هذه
من الوقائع الشاهدة لأربابها باختلال الدراية وقلة العقل كثرة وانما خوف الاكثار
أوجب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان
فقال ماخير ما أعطى الرجل فقال العقل فقال فان لم يكن قال أخ شفيق يستشير
قال فان لم يكن قال صمت طويل يستتره قال فان لم يكن قال خلق حسن يعاشر به
الناس قال فان لم يكن قال منة عاجلة تريجه وتريح منه وقال أبو الرشيد الرازي
دخلت بغداد ولم أعرف بها أحدا ولم أعلم ما أعمل في أمري فرأيت شيخا عليه أثر
الديانة وزى الصلاح فسلمت عليه وقلت له يا سيدي أنا رجل غريب وقد وصلت
الآن الى هذه البلدة ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدرى اذ لم أجدهم لمعرفة
من بلدي يمديني الى سلوك طريق الارتفاق فلما سمع كلامي لم يزدني على ان
أنشدني هذين البيتين شعر

اذا كنت ذاعقل فلا تخش غربة * فعاقل في بلدة بغريب
بعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في أهله بحسب

ثم تركني ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت ان العقل هاد مرشد ومثبته مسعد
فأهتديت بنوره الوقاد فزرقتي الله كل مرام ومراد وقد وقعت من المتقدمين
نواذر هداهم الله اليها بنور العقل وأهداها لنا أئمة النقل تشهد لمن صدرت عنه
بالرأى الجزل وترشد سامعها الى معرفة ردة الفرع الى الاصل * منها ان كسرى
كان من عقلاء ملوك الفرس وأثبتهم جنانا وأبسطهم قدرة وامكانا فرأى
في منامه رؤيا أحدثت عنده ضيق صدره واضطراب فكره فاستحضر من بلاده
الى حضرته علماء عصره وقصها عليهم ليكون على بينة من أمره فاتفقت كلمتهم
واتخذت اشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولا شك فيما أدت اليه معرفتهم فقالوا له
أيها الملك ان هذه الرؤيا تدل على ان ولدك شيرويه لابد ان يقتل أباه ويجلس على
سرير ملكه ويتصرف في الخزائن والمالك يمنع هذا القول ولا يشيعه ويكتمه
عن كل أحد ولا يذيعه فانه لابد ان يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعمد كسرى حالة آذاه
اليها عقله واستخرجها ففكره فان لم تصح رؤياه وكان المنام أضغاث أحلام

فما يضره فعلها وان صرح منامه يقتص من قاتله بها فأخذ سمها قاتلا لساعته وخاطبه
بمعجون ووضع في قارورة وختمها وكتب عليها بخطه دواء للجماع من تناول منه
وزن درهم جامع مهما شاء من غير ضرر ووضع تلك القارورة في خزانته تحت ختمه
بحيث لم يعلم بذلك أحد من الناس قاطبة فامضت أيام حتى قتله ولده شيرويه
وجلس على سريره ملكه ثم أخذ يعتبر الخزان فلمّا وقف على تلك القارورة وقرأ
ما عليها فرح فرحا عظيما وقال هذا المعجون كان أبي يستعين به على جماع شيرين
وأخذ من المعجون وزن درهم فبات من ساعته وعدت هذه الحالة من كمال عقل
كسرى وحسن فكره وكان كسرى يقدم يونان الوزير على جميع وزرائه وأصحابه
ويعظم أموره ولا يعتمد مع بقية الوزراء مثل ما يعتمد معه فقالوا له ما السبب في أن
الملك يرجع علينا يونان ويقدمه فقال لهم ما معناه أن من خصه الله بكمال عقله
وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وأبناء جنسه وهذا يونان لما أقضت إلى
نوبة الملك تشاغلنا أياما بالصيد فكتب إلى يعلم الملك أن خمسة أشياء ضائعة
المطر في الأرض السبخة والسراج المشتعل في ضوء الشمس والمرأة الحسنة
الصورة عند الرجل الأعمى والطعام الطيب عند المريض والرجل العاقل عند
من لا يعرف قدره فعلت أن قصد بهذه الحكمة أن يوقظني لتدبير المملكة فلما
دخلت من الصيد أحضرته وقلت له صف لي ملوك الدنيا وسيرتهم في رعاياهم
لاختار ما أعمل به منها فقال الملوك ثلاثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويتجاوز
عنهم فلا ينتصف منهم لنفسه فذاك أعلاهم درجة وأقومهم سيرة وأكملهم عقلا
وأدومهم ملكا وأطوعهم رعية وأعمرهم بلادا وأملكهم قلوب رعاياه وواحد
ينتصف لهم من نفسه ويتصف منهم له فهو أوسطهم درجة فانه عمل بالعدل ولم
يصل إلى درجة النضل وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم من نفسه فهو
أنزل درجة وأفجع سيرة وأخرب بلادا لا تقر قلوب رعاياه من الاضطراب ولا ألسنتهم
من التضرع إلى قيم العالم في إزالة ملكه وتعجيل هلكه فهذه أحوال الملوك
وسيرتهم في رعاياهم فانظر أيها الملك إلى هذه الثلاثة فاختر لنفسك ما أردت منها
وأنا أعلم أن الملك لا يختار لنفسه الأسيرة الأولى لأن نفس الملك شريفة وهمته
عالية فهو يرغب في ارتقاء أعلى درجات الملوك ويميل إلى اقتناء حميد الذكرو جميل
السيرة ويؤثر عمارة نواحي بلاده وأقطار مملكته ويحب ما ينفع به مواد أمواله

حكاية بديعة

وجهاً أعماله وبود أن يترك أحرار القلوب وتخلد بعده سيرة تضرب بحسنها
الأمثال فلما سمعت كلامه علمت أنه رزق عقلاً وفضلاً فعملت بقوله واهتديت
بحكمه ولم أجد عند غيره ما وجدته عنده فلذلك خصصته بالتقديم وأنزلته منزلة
التي يستحقها * وقال تميم بن عدي البربوعي كنت مع عبد الله بن العباس عند
منصرفه من دمشق فسألته في بعض الأيام وقلت له بماذا يتم عقل الرجل فقال
إذا صنع المعروف مبتدئاً به وجاد بما هو محتاج إليه وتجاوز عن الرزلة وجازى على
المكرمة وتجنب مواطن الاعتذار فقد تم عقله فحفظت ذلك منه وألصقته بقابي
ثم بعد أيام نزلنا منزلاً فطلبنا طعاماً فلم نجد ولا قدرنا عليه فانزلاً كان قد نزل
بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام فقال
عبد الله لو كيلة أخرج إلى هذه البرية فلهل تجدها راعياً معه طعام فضي الوكيل
ومعه غلمان فأطالوا التوقف فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأتوه فوجدوا
فيه عجوزاً فقالوا لها هل عندك طعام بنتا عمة منك فقالت أما طعام بيع فلا ولكن
عندي أكلة لي وبأولادي إليها أمس حاجة قالوا وأين أولادك قالت في رعيهم
وهذا وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هي تحت ملتها أنتظرونها أن
يجيئوا قالوا لها فجودي لنا نصفها قالت لا والله كن بكلها قالوا ولم تمنع النصف
وجدت بالكل ولا خبز عندك غيرها قالت إن إعطاء الشطر من خبزة نقيصة
وإعطاء الكل فضيلة فأنا أمتنع ما يقصني وأجود بما يرفعني فأخذوا الخبزة لفراط
حاجتهم إليها فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر العجوز قال أرجعوا إليها فاحملوها
في دعة وأحضروها فرجعوا إليها وقالوا لها إن صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن
هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس بن
عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالي
قومي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك
قالت لقد أفدأ الهاشمي ما أثل له ابن عمه عليه السلام والله لو كان ما فعلت معروفاً
لما أخذت عليه ثواباً وانما هو شيء يجب على كل إنسان أن يفعله قالوا فإنه يجب
أن يراك ويسمع كلامك قالت أصبر إليه لاني أحب أن أرى رجلاً من جنات النبي
صلى الله عليه وسلم وعضواً من أعضائه فلما سارت إليه رحب بها وأدنى مجلسها
وقال من أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح

الا وقد بلغته واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحا ومساء قال أخبرني ما الذي أعددت لاولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربي

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قواها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خباتنا فاذا أقبل بنوها فجيئ بهم فقالت للغلام انطلق فكن بقناء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تجدد أحدهم دائم النظر نحو الارض عليه شعار الوقار فاذا تكلم أفصح واذا طلب أنجح والآخر حديد النظر كثير الحذر اذا وعد فعل وان ظلم قتل والآخر كأنه شعله نار وكأنه يطلب بشار فذلك الموت المائت والداء الكابت فاذا رأيت هذه الصفة فهم قتل لهم غنى لا تجلسوا حتى تأتونى فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر فابعد أمده حتى جاؤوا فأدناهم عبد الله وقال اني لم أبعث اليكم والى والدكم الا لاصح من أمركم وأصنع ما يجب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعل جميل تقدم ولم يصدر منا واحدة منها فان كنت أردت التكرم مبتدئا فعروفل مشكور وبرك مقبول مبرور فأمر لهم ببيعة آلف درهم وعشرة من النوق فقالت لهم العجوز ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله

فقال الاكبر شهدت عليك بحسن المقال * وصدق الفعال وطيب الخبر

فقال الاوسط تبرعت بالبذل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر

فقال الاصغر وحق لمن كان ذا فعله * بأن يسترق رقاب البشر

فقالت العجوز فعمرك الله من ماجد * ووقيت ما عشت شر القدر

ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم اليربوعي فالتفت الى وقال لي يا تميم وددت لو وجدت مريدا في ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده في ذلك فقلت له لقد أحسنت وأرجحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك فأنت أتم الناس عقلا وأكملهم مروءة ومن كمال عقل ابن عباس انه قيل له ما منع عليا عليه السلام أن يبعثك مع عمرو بن العاص في التحكم فقال حاجر القدر ومحنة السلاء وقصر المدة أما والله لو كنت مع عمرو وجلست في مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ناقض أطير اذا شف وأشف اذا طار ولكن جرى قدر وبقى أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لا مبر المؤمنين * وقيل ان اياس بن معاوية القاضي كان

مطلب

حكاية

من أكبر عقلاء العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفضيلة القادحة انه كان في جماعة رجل مشهور بين الناس بانه أمين يستودع لهم فاتفق ان رجلا أراد أن يحج فأودع عنده هذا الأمين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء الى الأمين وطلب كيسه منه فأنكره وبخه فجاء الى القاضي إياس وقص عليه القصة فقال له القاضي فهل أخبرت أحدا غيري فقال لا قال هل علم ذلك الأمين انك أتيت الى الخبير في قال لا قال فهل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتب أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه وأتركه عندك فاذهب ورتب موضعا حريزا فحضر صاحب الوديعة فقال له إياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك قل له تمضي معي الى القاضي لأعلمه بذلك وأنتحاكم أنا وأنت فلما جاء دفع اليه كيسه فجاء الى القاضي وأعلمه انه قد رد عليه وديعته وانصرف فجاء ذلك الأمين الى القاضي لوعده طامعا في أن يتسلم المال فسببه القاضي سبا كثيرا وأبطل قوله وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله وصحة فكره

(خاتمة لهذا الباب)

مشتملة على حكم متنوعة أخرجتها التجربة من ينبوع العقل تفيد ناظرها فضل اعتبار وتكسبه زيادة واستبصار * قيل كان رجل من حكماء الاوائل له عقل ودراية وأدب وتجربة فسمع به ملك أرضه وسلطان اقليمه فاستدعاه اليه وقرّبه منه وباسطه باقباله عليه ومجاذبته له فقال له الملك مامعناه انك أيها العاقل الحكيم قد خصصت بسمت قويم وعقل بين وأدب واف ومنظر مقبول وتجربة وقفت بها على حقائق الامور فلم رضيت لنفسك بالمقام على التقصير عن حظك بالبعد عنا وقد تفهمت لك أبواب الرغبة فيك والميل اليك والانتفاع بعقلك واجتناء ثمرة معرفتك فقال العاقل الحكيم للملك مامعناه ان كان قصد الملك في مقاله أن يتطلع الى جواب أحجج به لا قيم عذرا في تباعدى عن رتبة القرب من الملك وقنوعى بالدرجة السفلى دون الدرجة العليا فهذا أمر لا يثقل على كامل العقل ولا يتجدنى كثير نفع في ابالة الملك وان كان قصد الملك أن يحرك ساكن العقل ليفيض اللسان من لآلى الحكمة

ما ينضد منه الملك عقودا يحل به ما جيداً فعالة ويتخذها جنة واقية من طارئة
الحوادث فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التلبس به وتنفعه القوى
الانسانية له ويشرق نور العقل فيهدى الى سلوك سبيله فقال له الملك ما معناه ان
كل واحد منهما غرض مطلوب ومبتغى مقصود فاذا كرمته ثا عذر نفسك ثم أتبعه
بجواهر حكمك وقانج عقلك فقال العاقل ما معناه ان الملك قد أقاض على الناس
قربه وأحلى في الذروة العليا من رتبته ومنحني بسطة في كل مبتغى ومكنة من كل
منتهى ولا منى على التقاعد عن المبادرة الى هذه المحاب ولا مرد لما قاله الملك
ولا يتطرق اليه شك مريب غير أنى يقنوعى بالبلغة واقتصارى عن دفع الضرورة
وتجنبى لمواطن الترفعين واعراضى عن البدار الى الدخول فى أبواب الكرامة
التي منحها الملك ومنع ارتعاض مرتعها أجدنى آمن السرب فارغ السر قليل الحرص
لا أقصد أحداً بكمروه ولا أستهدف لأذى مخلوق وليس واحد من أتباع الملك
الوالجين أبوابه الا وقد ملكه الحرص واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى
اقتاده بزمامه فكل منهم يرمى بطامع نظره الى زيادة مال يستلمها ليرضى بها ساخط
حرصه ويمتدأ طماعة الى جرة سمحت بتوقعها ليجرّها الى قرصه قد استفادوا
بكثرة ما خولوه من الملاذ المستجمعة لديهم فقرأ نفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه
فاقة فهم فى فرط احتياهم فى طلب المزيد أبون فى دفع من يتوهمون عنده أدنى
جنوح الى اقتراب مدارجهم واقتحام مساعيم متى يبدى لهم مرهوب يقطع مأمولا
حملهم الجزع على ارتكاب كل ما فيه دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يخسوا
ألجأهم الحرص على اقتناصه الى فعل ما يعقبه وبال وعطب وقد يما قيل الحرص
مورد موارد الهلكة ويحمل على التغرير بالمهجة وينزع لباس السلامة وتعد
بلغنى ما معناه ان عظيمي من أكسرة الفرس جلس يوم نيروز لدخول الناس عليه
بطرف التحف فحضر الموبدان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على
شئ فوضعه بين يدي كسرى وحله فاذا فيه خمة كبيرة فقال ما هذا فقال انى كنت
قد خرجت الى مكان التزهة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجمة
قد وقعت فيها ناراً فالتت نفسها فى الاجمة فهلكت قد دخل البازى من حرصه خلفها
فاحترق وأنا أراه فوقفت مفكراً فى حاله وما فعل به حرصه ثم أخذته وقد صار خمة
ورأيت انه من أبلغ المواعظ فأحضرت بين يديك لتعلم ان الحرص مقود الى

الهلاك والبنوار وحيث اتصف من بباب الملك بهذه الصفات التي أيسرها الحرص
والاخلاق التي أهونها الطمع فإذا امتثلت أمر الملك وحلت بالمكان الاثيل
والمنزلة السامية من دولته فوقوا الى سهام العناد وقد حوا الى زناد العداوة
ونصبوا في مدارج حياثل القوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم تعمل الحيلة
في دفعهم تدم ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بغيم ولبست جن
التحفظ من كيدهم اتعبت فكركى وأضعت عمرى وقد لا أنفك عن ظهورهم
على وظفرهم بي وقد قيل من رقد حذره عن معانده حل بساحة العطب ومن
أيقظته الاوجال حرم لذة الدعة وراحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره
زوال العافية ولو ابتليت بمعاند لم أجد قلبى مكافئ له على بغيه ولا مضاهيا لكيد
وقد قيل المرء أمين على نفسه واللييب من ترك مالا طاقة له به فانه أسير لكون
أمره وأبقى للأمال فيه ورأيت الملك قد استقر عنده الاستغناء بمن في كنفه فاقباله
على من طرأ عليه لا ينفل عن ملل واستثقال وذو النفس المهدية يصونها عن
التعرض لذلك فهذا عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوى دونه كشحا ولا يعرض عنه
جانبا وأما ما يتغيه الملك من حكم رأى يقتدى بها وجواهر عقل ينظمها زينة
في أجياد أفعاله فأقول اذا أشكل عليك أمر ان لا تدري أيهما أرشد فخالف
أقربهما الى هوال فان أكثر ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد
التأني فيه أحرز وأحسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد
أن تكون خبيرا عالما بأمر ولا تلك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا الى
ذلك فان المسمى منهم والمقصر منهم والمعتدى والخائف من خبرتك وعلمك بأمره
قبل أن تصيبه عقوبتك يرتدع وان المحسن والأمين يستبشر بعلمك بحاله قبل أن
يأتيه معروفك فيدوم على نصحه ويرزاد فيه لا تترك حراسة الملك ولا تعرض عن
مباشرة جسم أمره فيعود شأنه ضعيفا ولا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير
كبيره ضائعا لا يجمعن الملك بين المحسن والمسمى في منزلة واحدة ويجعلهما عنده
سواء فان ذلك يحمل المحسنين على التقصير والمسيئين على زيادة الاساءة
لكن يقابل كلامهما بما يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة
وليكن أنغص رعية الملك اليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فان في الناس
معايب وأحق من سترها وكره كشف ما غاب عنه منها الملك فانما عليه احكام

ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن اعلم ان رأيتك ووقتك لا يتسع لجميع الامور
وجملة الاشياء فاجعله اللهم منها فان ما صرفته من رأيتك ووقتك لغير المهم ان راء
بالمهم وعليك بحب العلم وأهله العاملين به ورحمة الضعفاء والرفق بهم والنظر
في أمور الرعية والاجتهاد في مصالحهم فهم عباد الله الذي استرعاه الله لهم ويسأل الله
عنهم وقد قال صاحب الشريعة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم
مسؤول عن رعيته ولا يغفل الملك عن اقامة شرائع الشرع واتباع ما يقوله جملة
وتفصيلا في تثبيت قواعد العدل وتقريرها على ما يصلح به الناس فان ذلك يحبي
الحق ويميت الباطل ويكتفي به دليلا عليه ولا بد للملك من خاصة من خدمه وبطانة
من أتباعه وجماعة من جنده يجعلهم محل اعتماده ويستطيع بهم ومنهم مستورات
الاغراض فليعتبر الملك في مبدأ الامر أخلاقهم وشيمهم وصفاتهم ويراف اليه
من تحلى بحميدها ويقص من اتصف بذمها ولا تركزن الى خائن ولا تعتمد على
شره ولا تثق بكذوب ولا تسمع نصيحة جهول ولا تقبل قول حسود ولا تأخذن
برأي دني ولا تكثرن محادثة مسمى الخلق وليتفق الملك أحوال حاشيته افتقاد
الجهل بذل خلاط النقود في الزيف منها ويختص بخالصها وقد جرى على السنة
العلماء والحكماء السالفين ألفاظ من الحكم المتقاة من جواهر الكلام ما هو
أنفع لتأمله والمستعمل له من كنوز النخائر (منها) من قام من الملوك بالعدل والحق
ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور والقهر لم يملك منهم الا التصنع وكانت قلوبهم تطلب
من يملكها (ومنها) لينظر الملك الى المتنصع له فان دخل من حيث العدل
والصلاح فاقبل نصحه واستشره وان دخل من حيث مضار الناس فاحذره
وتحرز منه (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر
يفسد والعادل يصلح والافساد أسرع من الاصلاح (ومنها) من مدحك بما
ليس فيك من الخيل اذا رضى عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح اذا سخط منك
(ومنها) موت العلماء والعقلاء وان كان عظيمافهوا هون من تقدم السفل من
الناس على رقاب الاحرار فلما سمع الملك مقالة في الاعتذار وفهم ما تلاه عليه
من الحكم العظيمة المقدار النفيسة الاقدار عرضه على ناقد عقله وثاقب فكره
فتلقاه بالقبول والاعتذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار
واتخذ ما أورده من الحكم وقصده من جواهر الكلام نجا يهدي به آناء الليل

وأطراف النهار وفي هذا المقدار بلاغ ومقنع في حصول البغية للمقتدى وظهر لعقل
 رتبة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل نجح المطلوب من اتیان
 ما تحرر في بابه والله سبحانه يأخذ ويعطي به وإليه مناط التكليف * فلنردف بابه
 ببيان ما أوجب الله سبحانه وتعالى على خلقه وما افترضه على عباده عند حصول
 صفة العقل لهم من العقيدة التي يجب العمل بها والوقوف عندها والأعمال التي
 تلزم المحافظة عليها واتباع طريقتها وهي التي كان العناية عليهم رضوان الله
 والسلف الصالح تغمدهم الله برحمته يتقربون إلى الله باعتقادها ويعملون على
 المحافظة عليها والعمل بها أنفسهم بجدها واجتهادها وقد صنف أئمة العلماء كتباً
 في بيانها وتعظيم شأنها وتقسيم أركانها وتعليم الأمة أنه لا بد من اعتقادها
 في حصول إيمانهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب وحاول
 ما قيل في ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لا يقوم بما وجب
 فخفضت أو طاب الأقاويل وطويت بساط التويل واستخرجت زبدة مقاصد
 ما قيل ونلصقت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح وهي
 عقيدة أهل السنة والمورثة لمعتقداتها إن شاء الله دخول الجنة وهي إن الله
 واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ند له قديم أزلي دائم أبدي لا أول لوجوده
 ولا آخر لا بدية قيوم لا يفنيه الأبد ولا يغيره الأمد بل هو الأول والآخِر والظاهر
 والباطن منزّه عن الجسميّة ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء مستوعب على العرش كما قال
 وبالمعنى الذي أرادوا السماوات والأرض والعرش والكرسي في قبض قدرته وهو
 فوق كل شيء فوقية لا تزيد بعدا عن عباده وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد
 وهو على كل شيء شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابهه قرب به قرب الأجسام منزّه
 عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أنصار الأبرار في دار القرار
 على ما دلت عليه الأخبار والآثار حتى قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور
 ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم
 وقدّر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدورات لا تتناهى معلوماته عالم بجميع
 المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات يعلم السر وأخفى
 ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر يريد الكائنات مدبر الحادثات
 لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضرر لا يقضاه

عقيدة المؤلف

وقدره وحكمه ومشيتته فاشاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبده عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوه ادون ارادته ومشيتته لم يحزوا سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء بالا لسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته فهو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى حكيم في أفعاله عادل في قضائه منزه عن الظلم وانه لا يتصرف في ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلما متفضلا بالايجاد متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا واثابة لعباده على الطاعات متمحض كرما لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه ووعدوه فوجب على الخلق تصديقههم فيما جاؤوا به ثم بعد اعتقاد كلمة التوحيد على ما ذكرناه يجب التلطف بالشهادة بأن (محمد) صلى الله عليه وسلم رسول الله بعثه برسالاته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشرعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع في المحشر أوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكرونيكبر وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وانه حق وان الميزان حق وان الصراط حق وان الخوض حق وان الموت حق وان الحساب حق وان الجنة حق وان النار حق وان الله تعالى يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وانه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعته الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا وموقنا به فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصاة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى

الممات هل التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب * فهذه العقيدة
 قد اشتملت على أحد اركان الاسلام الخمسة و بقيت الاربعة الاخرى فلا بد
 من التعرض الى ذكرها فان الاسلام بني على قواعد خمس على مناطق
 به الحديث النبوي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام على
 خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة
 والحج وصوم رمضان هذا لفظ الحديث الصحيح المتفق على صحته والركن
 الاول وهو التوحيد وما يتعلق به والعقيدة المذكورة كافية فيه
 * (والركن الثاني الصلاة ولا بد من التعرض للطهارة قبلها فانه شرطها) *
 فنقول الطهارة تنقسم الى قسمين طهارة من الخبث وهو النجاسة وطهارة من
 الحدث وهو ما ينقض الوضوء ويمنع من الصلاة ولا تحصل الطهارة الا بالماء
 المطلق والنجاسة سواء كانت على البدن أو على الثوب يجب ازالتهما ويجب
 الاحتراز من مقارنة النجاسة خصوصا من البول عند قضاء الحاجة للانسان
 ويجب الاستنجاء من البول والغائط وهو بالماء أفضل منه بالجر وأما طهارة
 الحدث فتقسم الى وضوء وغسل فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين
 وينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستحب النية ويتمضمض ويستنشق
 ويغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين ويطوّل الغرة فوق المرفقين ثم يمسح رأسه يبدأ
 بمقدمه ثم يمسح أذنيه ظاهرا وباطنا ثم يغسل رجليه مع الكعبين ويطوّل الغرة
 فوق الكعبين ويبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه ويفعل ذلك ثلاثا ثلاثا والوضوء
 مشتمل على فروض وسنن فأما الفروض فالثنية عند غسل الوجه واليدين مع المرفقين
 ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وأما السنن فاعدا ذلك
 والبداءة باليمين من السنن لا من الفروض وكذلك الاذكار * وتفصيلها أن
 يقول عند المضمضة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وعند الاستنشاق اللهم
 أوجدني رائحة الجنة ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم
 تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ويقول عند
 غسل اليد اليمنى اللهم أعطني كتابي بيمينى وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل اليد
 اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ويقول
 عند مسح الرأس اللهم أطلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند

مسمع الاذنين اللهم اجعلني ممن استمع القول فاتبع أحسنه اللهم أسمعني منادى الجنة مع الأبرار وان مسح رقبته كان حسنا ويقول اللهم فلك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام وعند اليسرى اللهم اني أعوذ بك من أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين * واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فهذه الاشارة المختصرة تغني في حصول المقصود من الوضوء ومعرفة وحيث ظهرت فرائضه وسننه فلا بد من شرح ما ينتقض به وتلخيص الكلام فيه ان الوضوء ينتقض بأربعة أسباب الأول ما خرج من أحد السبيلين كيف ما كان والثاني زوال العقل الا النوم قاعدا متكئا والثالث لمس بشرة المرأة بشئ من بشرته والرابع مس الفرج من الآدمي بباطن الكف ولا ينتقض الوضوء بالفصد ولا بالرغاف ولا بالحمامة ولا بالسك في الحدث بعد تيقن الطهارة ومن انتقض وضوءه لا يجوز له أن يصلي ولا أن يحمل المحض ولا يمسه وأما الغسل من الجنابة فأول ما يعتمد أن يغسل فرجه من أذى ان كان عليه ثم يوضأ وضوءه للصلاة ثم ينوي الغسل من الجنابة واستباحة الصلاة ويتدئ بجانب رأسه الايمن فيفيض الماء عليه ثم على الجانب الايسر ثم على وسطه ويخلل أصول شعره ثم يصب الماء على جسده كله ويدلك ما اتصل اليه يده من بدنه ويكرره ثلاث مرات ويقول اذا تم اللهم طهرني من الذنوب كما طهرتني من الحدث والغسل مشتمل على فرض وسنة فأما الفرض بعد النية فايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة والباقي سنن وقد استقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى امثال الاشارة في أعمال الطهارة وفي ذلك غنية عن الاطالة وبسط العبارة أن الغسل تارة يكون واجبا كما ذكرناه وتارة يكون سنة فاذا كان واجبا على ما شرحنه بالجنابة كان أثره في ازالة ما حرم علىجنب فانه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلي وأن يقرأ القرآن وأن يحمل المحض أو يمسه وأن يلبث في المسجد فاذا اغتسل جازله ذلك كله وأما السنة فهو غسل الجمعة والعيدين وما في معناهما من غسل الكسوف والاستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر اذا أسلم الى غير ذلك من السنن وأثرها حصول الثواب لفاعلهما من غير

عقاب على تاركها * (خاتمة) * قد تدعو الحاجة في بعض الاحوال الى لبس الخف والمسح عليه بدلا عن غسل الرجلين فلا غنى عن الإشارة الى شئ من أحكامه فان كان في الإقامة ففته يوم وليلة وان كان في السفر المجوز لقصر الصلاة فثلاثة أيام ولياليهن وأول المدة من وقت الحدث بعد لبس الخف ويشترط لجواز المسح أن يكون الخف ساترا لمحل الفرض من الرجل وأن يمكن متابعة المشي عليه وقد لبسه على طهارة كاملة والشك في انتهاء المدة أو في ابتدائها في السفر أو في الحضر يوجب غسل الرجلين وإذا خلع الخف وهو على طهارة المسح كفاه غسل رجله ولا يحتاج الى إعادة الوضوء على الأصح ويكفي مسح القليل من أعلاه دون أسفله فهذا ما يتعلق بالطهارة وقد منازكرها لكون الصلاة تتوقف عليها فان الطهارة مفتاح الصلاة على ما نطق به الحديث النبوي وقد تعين القول في الصلاة وأحكامها فالصلوات المكتوبة في اليوم واللييلة خمس وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها فأول الوقت أفضل من آخره فأول وقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط السماء وآخره اذا صار ظل كل شئ مثله وأول وقت العصر اذا زاد الظل عن آخره وقت الظهر أدنى زيادة وآخره الى غروب الشمس وأول وقت المغرب غروب الشمس ويمتد اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب الشفق الأحمر وأول وقت العشاء بعد غروب الشفق الأبيض ويمتد الى طلوع الفجر الثاني وأول وقت الصبح طلوع الفجر الثاني ويمتد الى طلوع الشمس والصلاة اذا وقعت في وقتها المذكور لها كانت أداء في أوله أو في آخره لكن أوله للفضيلة وآخره للجواز وان وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء ولا بد في صحة الصلاة من ستر العورة وعورة الرجل ما بين سرتة وركبته وكذا عورة المرأة المملوكة وأما الحرّة فجميع بدنها عورة سوى الوجه واليدين وكذلك الأبدن من استقبال القبلة الا في النافلة في السفر وفي المحاربة اذا اشتد القتال وفي الصلاة فروض وسنن فان ترك شيئا من فروضها بطلت صلاته وان ترك شيئا من سننها لا تبطل * (والفروض) * هي النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة والركوع والرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والطمأنينة في هذه الاربعه والجلوس في آخر الصلاة والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلامة الاولى ونية الخروج من الصلاة على قول وترتيبها على الوجه

المذكور وما عدا هذه الفروض فسنن ولا يجوز ترك الصلاة بعد المرض بل اذا عجز عن القيام صلى قاعدا وان عجز عن القعود فعلى جنبه أو مستلقيا على قفاه على اختلاف فيه ولا يتركها مادام عقله ثابتا فقد ورد فيها أحاديث كثيرة خصوصا في صلاة الجمعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في أمرها ودعا على تاركها وتلخيص ما نقله الأئمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال في الجمعة من تركها وله امام جائر أو عادل استخفا فإياها أو جحودا لوجوبها ألا لاجع الله ثم له ولا بارك له في أمره ألا الصلاة له ألا الزكاة له ألا الصوم له ألا الحج له إلا أن يتوب الله عليه

(الركن الثالث من أركان الاسلام الزكاة)

فن يجد وجوبها فقد كفر ويجب على من وجبت عليه اخراجها من ماله وصرفها الى مستحقها وقد بين الله سبحانه مصارف الزكاة في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فن امتنع من اخراجها أخذها منه السلطان وصرفها الى أهل استحقاقها ولا تجب الزكاة الا في نصاب كامل بعد حولان الحول ونصاب الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة دراهم وفيما زاد فيها بحسابه وهو ربع العشر ويستحب الاكثر من الصدقة تطوعا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة وقد وعد الله تعالى على الصدقة ثوابا عظيما *(تنبيه)* من جملة الواجب من أنواع الزكاة زكاة الفطر وهي صدقة عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول ويجب اخراجها يوم العيد ويجوز تعجيلها في جميع شهر رمضان وهي صاع من غاب قوت البلد والصاع خمسة أرطال وثلاث بالبغدادى

(الركن الرابع صوم شهر رمضان)

والصوم فضله عظيم وقدره كبير وثوابه جسيم وهو عظيم ثوابه وفضيلته لا ترجح على الصلاة بل أفضل عبادات البدن الصلاة وقد استقصينا القول في ذلك في المصنف الموسوم بتحصيل المرام في تفصيل الصلاة على الصيام والصوم ينقسم الى فرض ونفل فأما الفرض فصوم رمضان ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد فان غم كمل شعبان ثلاثين يوما ويشترط في صحة صوم شهر رمضان وفي كل صوم واجب كاقضاء والنذر تبين بالنية من الليل وفي القضاء ينوي انه يصوم غدا

فريضة رمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالأكل والشرب والجماع والاحتقان وما في معناها وليس الا كتحال والفصد والاحتجام من المفطرات ولا ما يدخل الخلق من غير قصد كغبار الطريق والذباب ولا اذا أكل أو شرب ناسيا ويستحب أن يهمل الفطر اذا غربت الشمس وأن يفطر على تمر أو ماء وأن ينزه صومه عن كل ما ورد النهي عنه من الغيبة والشتم والأذى وأن يقول عند الافطار اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ويجهت في كثرة فعل الخيرات والصدقات في رمضان وأن يفطر الصائمين على طعامه فقد ورد في هذه الأسباب كلها أخبار وآثار وأما النفل فكل الايام سوى شهر رمضان والايام المنهى عن صومها محمل لصوم النفل وبعضها أشرف من بعض ولا يشترط في صحته أن يكون بنية من الليل والايام التي لها فضيلة الاختصاص بصيامها نفل ايوم عرفة ويوم عاشوراء ومن شوال ستة أيام بعد العيد لوداع رمضان

(الركن الخامس الحج)

وهو من جملة القواعد الاسلامية ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ولما لم يكن من مقاصده هذا الكتاب لم نتعرض لشرحها * فهذا تلخيص مادعت الحكمة الداعية الى تأليف هذا الكتاب الى بيان ما لا بد من ذكره في ذلك مما به تتحرر مارمنا بيانه في باب العتق ولو ازمه

(الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم العجز والتسرع)

قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواطن كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اهتبعوا بالصبر وقوله ان الله مع الصابرين وقوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وقوله منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وعلى الحقيقة فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وفيها قرأتان من التبيين

والتثبت وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا كل
هذه الآيات مع اختلاف مواضعها وألفاظها مشتركة في الأمر بالصبر والتثبت
وترك الاستعجال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة كقوله
عليه السلام النصر في الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج
وقوله الاناءة من الله والعجلة من الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم لا تشج عبد
القيس ان فيك خلتين يحبهما الله الحلم والاناءة ونقل عن المسيح عيسى ابن مريم
عليه السلام أنه قال للحواريين ما معناه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم
على ما تكرهون واعلم ان الصبر محمود العاقبة يثمر النجى ويورث المقصود ويكبت
العدو ويغيظ الحسد ويقضى لصاحبه بالسيادة ويكسوه فضيلة الحزم ويدفع
عنه نقيصة الحرمان فمن هداه الله بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته
والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرأه أو كاد وفات المستعجل
غرضه أو كاد ولهذا قال أمير المؤمنين المأمون وقد ذكر عنده بعض عظماء دولته
فقال نعم من ذكرتم لولا عجلة فيه وقال الأشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوجدته قد أترفه صبره على العبادة الشديدة ليلا
ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فازادني على أن قال
اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح على الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقيل من جد في شئ يؤمله * فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر
فحفظت هامنه وألزمت نفسي بالصبر في الامور فوجدت ببركة ذلك وحسن
أثره * ونقل عن محمد بن الحسين رحمه الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما
من السجن مع بعض الرجال وقد زادهمى وكادت ترهق نفسي وضائق على
الارض بما رحبت واذا برجل عليه بزة رثة وله هيئة حسنة خشنة على وجهه أثر
العبادة فوقف على ورأى ما أنا عليه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة
فقال الصبر الصبر فقد روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر
المكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه علي أنه قال الصبر مطية لا تدبر
وسيف لا يكل وأنا أقول

لطيفة

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجله * عند الاله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلة * ألوت يداه بجبل غير منقطع
فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولكن قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه من أراد الفوز فليجزم
الزمان في ميدانه وليصبر على حدثانه وليكن للدهر مستسلما ولما أصابه منه مسلما
فان الدهر لا يعتذر الى أحد من الناس والطيش نقص والصبر عزم ثم قال وهو
منصرف

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرًا امذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو
ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدًا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة
ثم أخرجت من الحبس وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعته منه وانتفعت به ووقع
في نفسي انه بعض الابدال السائحين قيصه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني *
ومما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر ويسهل لذوى البصائر سلوك
طريقه الوعر افضاؤه بعدد ~~ك~~ كابد العسر الى سعة اليسر فانه قلما أخفق
مطلب صابر ولا انقلب الا وهو بما يحاوله أسعد ظافر * ولقد قرع أبواب مسامع
الاستفتاح ما يشهد بمدد الصبر بالفوز والنجاح وهو ما رواه أبو العباس
أحمد بن حماد الكاتب بطريقه عن أبي محمد المرمي قال قصدت أبا الجيش خمارويه
ابن أحمد بمصر ممتد حاله فأقت بيابه زمانا لا أصل اليه فرثي لي كل من عرف حالي
وأرشدت الى ~~ك~~ كنز المغني فصرت اليه وسألته أن يشفع لي فقال ما جرت
العادة أنتي أكله في أحد ولكن ان قدرت أن تعمل شعرا أغني به بحضرته
فان سألتني عن قائله عرفته من حالك ما يكون فيه عائدة صلاح عليك فعملت شعرا على
البدية وهو

هم علموني البكال اذقت فقد هم * ياليتهم علموني كيف أبتم
كتمت حبهم صونا وتكرمة * فنادى غيرا ضماري بلى وهم
فصاغ لهم ما لحنا وغني به فهم ما ثم قال من سعادتك أنهما مطربان فكن بالباب
ولازمه الى ان أجدا الفرصة في أمرك فأقت بياب أبي الجيش أيا ما وضاقت صدري
من مخالطة النفاطين ورجالة النبوة * ثم ورد الى كتاب العجوز تذكريه ما لحقها
من الضرورة ببعدي وما هي عليه ومن يلهم من الفاقة والضر فتأذى سري

بالوقوف على الكتاب ولحقني هم وغم وسهو فأنسيت المديح الذي عملته في أبي
الجيش في البيت الذي كنت آوى اليه وترنمت بأبيات من الشعر في معنى ما ورد به
كتاب العجوز وقضيت النهار في شوارع مصر فلما هجم الليل ضعفت نفسي عن
المسير الى دار أبي الجيش وسمعت من كثرة التردد وهجمت بالعود فقلت اصبر
اعل الصبر يعقبه فرجا فقويت نفسي وراجعت فكري ودخلت دهليزا
من دها ليزداره وبقيت أكثر ليلتي أردد فكري في وجوه المطالب وفيما أنا فيه
من عظيم التخير في أمري وأمر العجوز بما ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من
حجابه وبين يديه فراش يحمل شمعة والفراش ينادي أين المريمي فقلت ها أنا ذا
فقال أجب الأمير فنهضت وأنا آكل يدي نذما على تركي القصيدة ثم دخلت الى
حضرته فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع معنبر موكبي والخادم
محدقون به فلما رأيته قال هات يا مريمي فقبلت الارض وقلت أيها الأمير ان عظيم
ما أنا فيه أنساني ما عملته من المدح في الموضع الذي كنت فيه غير أني مترنم
بأبيات في معنى ما ورد به كتاب أمة مولانا الأمير والدتي فقال هات ما حضر
فأنشدت

كتبت تسأل الاياب وتوصيني بتعجيله أشد وصيه
واشتمكت علة لفقدى وقالت * صرايلا ولو بغير هديه
قد لبسنا ثوب التصبر من بعدك حتى لم يبق منه بقيه
أتشاغلت أم ما سكت بمصر * بضعة غضة الشباب طرية
فجعلت الجواب مهلا فاني * عن قليل آتيك بالامنيه
بالوف تروق عينك صفر * من خمارية ومن أحمدية

قال فلما سمعها بكى وقال والله ليصدقن ما وعدتها به وليصدقن ظنهابك ثم أسر
الى خادم من خدمه شيئا لم أعلمه فضى الخادم ومكث غير بعيد ثم أقبل وهو يحمل
منسديلا ثقيلًا فقال أبو الجيش تسلم يا مريمي الالوف التي وعدت عجوزك الوالدة بها
فأخذتها وهي ثلاثة آلاف دينار ثم أمر الخادم بشئ فضى ورجع عجلا فقال
ان مولانا أمر لك بجارية من جواريه فقبلت الارض فقال يا مريمي أردنا ان نحقق
ما طنت العجوز فدعوت له وأخذت ثلاثة آلاف دينار وجارية بجميع حلها
وثيابها ورحلتها وخادما وثلاثة آلاف درهم نفقة الطريق وانصرفت الى

أهلى فإمر ما كانت مكابدتي للصبر وما أحلى ما كانت عاقبته فلما وصلت الى أهلى نمت تلك الليلة فبينما أنا نائم وإذا بك نيزا الغنى قد دخل على فقمت اليه وقبلت وجهه وقلت له يا أخى جزاك الله عنى وعن أهلى خيرا فقال لي يا أبا محمد كيف رأيت ثمرة الصبر فى آخر الامر عليك فى أمورك كلها به فانه لا يخفق معه مسعى ولا يخيب لك أمل واعتبر قول الشاعر

ان الامور اذا استدتت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومد من قرع الابواب أن يلجا
لا تأيسن وان طالت مطالته * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ثم انصرف فاستيقظت فلم تزل وصيته والايات نصب عيني فالصبر لا يحتمله الا من رجا بالصبر حصول ما يتوقعه أو خاف ان لم يصبر من فوات نتائجه كما نقل أن رجلا كان يضرب بالسياط ويتجلد جلدا بليغا ولا يتكلم ويصبر ولا يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له فى ذلك أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى فقال لم لا تصيح فقال ان فى القوم الذين وقفوا على صديقالى يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت أن يذهب ماء وجهى عنده ويسوء ظنه بي فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك * ومما يعضد ذلك مما حكاه الامام القشيري رضى الله عنه فى كتاب التخيير عن عمرو بن عثمان الزاهد أنه قال كان فى أصحابي رجل فقير طال به المرض مدة وهو يصبر ولا يتكلم فدخلت عليه أعوده فقال لي يا سيدي معك من يقول شيئا فقلت نعم ثم أشرت الى واحد من أصحابي حسن الصوت والانشاد فقلت له قل فأنشد

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض عبدكم فأعود
وأشد من مرضى على صدودكم * فصدود من أهوى على شديد

فطرب الفتى ولم يزل يستعيد من المنشد وأخذ الوجد فصاح ورفع طرفه الى السماء وقال الهى علمت صبرى هلى ما قضيت وصدقي فى صبرى والآن فى الصبر وطالت المدة وطلبت النفس الخروج مع شيخى وأصحابي الى موطن عبادتك فأزل عنى المرض وأعدلى عافيتي قال الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السياحة كانه ما كان مريضا فقلت لأصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة ثمرة ومن لم يصبر فى موطن الصبر لا بد ان يجد ندامة كما نقل عن أبي الحسن

العلوي الهمداني قال كنت تلميذ الشيخ جعفر بن نصير رضي الله عنه فقال لي
يوما يا أبا الحسن اني قد حصل عندي خاطر أريد أن أقعد في مراقبة قلبي ومحاسبة
نفسي ثلاثة أيام ولياليه فتصبرمعي قلت كرامة فقعد وقعدت معه يومين
فلما كان آخر النهار جاء ولدي وقال لي قد اشترينا طيرا سمينا وقد عملناه في
التنور وتحت جوهابه فتقوم تحيىء الى البيت لاجل ذلك فقمتم معه فقال لي الشيخ
الى اين فقلت له ان ولدي قد طلبني لحالة عرضت ما يمكنني أن أصبر عنها ثم تركته
ولم أصبر معه وأتيت البيت وبت عند أهلي وقلبي متعلق بما في التنور فلما كان بكرة
أخرج الطير من التنور فوضع بين يدي وباب الدار مفتوح فدخل كلب وسلب
الطير وعدا فعدت الجارية خلفه فحترت بالجو دابة فبذته من القدر فقامت بسرعة
لاتسأل القدر قبل أن ينصب جميع ما فيها فاحترقت يدي وندمت على ما فعلت
فعدت الى الشيخ أبي جعفر فلما رأيته قال انظر عاقبة من لم يصبر كيف يسلط عليه
كلب يؤذيه ونار تحرق يده وانها لاهون عليه من نار الآخرة وفي هذه الواقعة تنبيه
على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى بهاد ليل على تطرق الندم الى من لم يصبر
ولقد أحسن القائل

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحصد منه الصبر فيما يصيبه
فن قل فيما يتقيه اصطباره * لقد قل مما يرتجيه نصيبه
* (بذكرة نافعه * وتبصرة جامعة) *

قيل ان رياضة النفس بنور العقل تورث التنزه في رياض عاقبة الصبر فن تفوق من
شراهم اجر عنة أنالته في الدنيا علوا القدر وفي الآخرة مرجو الاجر وقد جرت
أدوار الاقدار بما يصح ل عند حاكم التجربة حقيقة هذا الامر * كان يوسف
الصديق صلى الله عليه وعلى آبائه لما صبر ارتقى الى معارج العلا ومدارج الآلاء
ووصل الى جبل الممالك الفاخرة وطلل الارائك بالآخرة في أشرف مرتقى حتى
قيل له لما استندت مراحمي أمره واشتدت نواحي أزره وامتدت في النواحي
والاقطار مؤيدات ذكره وارتدت الاكرة بالمساحي من الجهات الى عمارة ريف
مصره بمنازل الملك ودانت لك الامور وذلت لديك العظماء وخضعت لامرك
الافراغنة وأطاعتك من عصي على سواك فقال مامعنا نلت ذلك بصببري على
ضباب الجب وضيق السجن وفراق الالف والبعد عن الوطن

هداية واضحة * وبداية صالحة

الصبر وان أمرت مواريده فستحلومصادره وان قصرت بواذره فستعلواواخره
 وكم من صابر أدرك غاية مأموله وبلغ بصبره نهاية سوله ومن نظر سر قوله تعالى حيث
 أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل
 وقف بصفاء بصيرته وضياء معرفته على ما في الصبر من موفور الفضل الوافي الوافر
 وما يحضل به من نور العقل الزاهي الزاهر ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل
 الا بالصبر ولم يرض الا أن كافئ ما كافهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم
 من الرسل واني والله لا صبرت كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم لما صبر كما أمر
 أسفروجه صبره عن ظفرو وناصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين
 الذين هم أولو العزم لما صبروا وظفروا وانتصروا * وقد اختلف أهل العلم فيهم
 على أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها كلها فانما أحسنها ما قاله ابن عباس
 رضي الله عنه وقاله قتادة هم نوح و ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقال
 مقاتل رضي الله عنه هم ستة نوح و ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف
 وأيوب صلى الله عليهم وبيان ما صبروا عليه حتى سماهم الله بسببه أولى العزم
 * (أما نوح صلى الله عليه وسلم) قال ابن عباس رضي الله عنه كان يضرب ثم يلف
 في لبد ويلقي في بئنه يرون أنه قد مات ثم يخرج الى قومه فيدعوهم الى الله هكذا
 حتى اذا يش من ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال لابنه
 يا بني هذا الشيخ انظر اليه واعرفه لا يغرك فقال له ابنه يا أبت أمكني من العصا
 فأخذها من أيده فضرب بها نوحا عليه السلام وشج بها رأسه فسال الدماء على
 وجهه فقال رب ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهداهم والا فصبرني
 الى ان تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس
 بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من الخشب يجري على
 وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال
 اني على ما أشاء قد ير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج
 عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم يستهزؤن به فلما أدرك
 الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال يارب كيف أخذ هذا البيت قال اجعله

قصة نوح

على ثلاث صور وبعث الله سبحانه وتعالى اليه جبريل يعلمه وأوحى اليه ان عجل
السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما نجزت السفينة جاء أمر الله تعالى
بانتصار نوح ونجاة واهلاك قومه وعذابهم الامن آمن معه وفار التور وظهر
الماء على وجه الارض وقذفت السماء بمطار كافواه القرب حتى عظم الماء
فصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربع ذراعا
وانتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام بصبره وجعله الأب
الثاني للبشر وفي تمام قصته كلام منبسط لاهل التفسير ليس هذا الكتاب
موضع بسطه فهذه زبدة صبر نوح وانتصاره * (وأما ابراهيم صلى الله عليه وسلم) *
فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قلبه ونصرة آلهتهم أبلغ
من احراقه فأخذوه وحبسوه بيت ثم بنوا حيزا كالخوش طول جداره ستون
ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم احتطبوا لاهراق ابراهيم ومن
يتخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف أحد منهم وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا
ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجدران وسدوا أبواب ذلك الحيز
وقذفوا فيه النار فارفع لهبها حتى كان الطائر ليرتبهما فيحترق من شدة
حرها ثم بنوا بنياناشا مخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم
على رأس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله
ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل
عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما إليك فلا فقال جبريل
فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا ناركوني بردا
وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فأجلسه على الارض وأخرج له
عين ماء عذب قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم غير كافه وأقام في ذلك الموضع
سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله ثم أهلك غمروا قومه بأخس الاشياء
وانتقم منهم وطفّر ابراهيم صلوات الله عليه بهم فهذا ثمره صبره على مثل هذه الحالة
العظمى فلم يجزع منها وفوض أمره الى الله وتوكل عليه ووثق به ثم جاءت قصة ذبح
ولده وأمره الله تعالى به فقابل أمره بالامتنان وسارع الى ذبحه من غير اھمال
ولا اھمال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر
صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عاوضه عن

قصة اسحاق

ذبح ولده وفداه واتخذ خليلا من بين خلقه واجتباها * (وأما اسحاق عليه السلام) * فانه لما صبر على بلية الذبح وتلخصها أن الله تعالى لما اتى ابراهيم وأمره بذبح ولده قال لولده اسحاق اني أريد أن أقرب قربانا فقم فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال له يا أبت أين قربانك قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشد رباطي حتى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش دمي فتراه أمي فيشتد خزيها وأسرع في امرار السكين على حلق ليكون أهون للموت على واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني فأقبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى * قال مجاهد لما أمر السكين ولم تقطع قال اطعن بها طعنا قال السدي جعل الله حلقه كحفيفة من نخاس لا يعمل فيه السكين شيئا فلما ظهر منه ما صدق التسليم فودى هذا فداه ابنك يا ابراهيم فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم ومعه كبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم حصل لاسحاق ما حصل ببركة هذا الصبر على هذا البلاء المبين أن جعله الله تعالى نبيا وبشر ابراهيم بذلك فقال عز وجل وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين * (وأما يعقوب عليه السلام) * فانه لما اتى بفقد ولده وذهب بصره واشتد اذخره قال فصبر جميل وكذا يوسف عليه السلام لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كما يبيع العبد وفراقه لابه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما ما جمع ثملهما واتسع القدر بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة * (وأما أيوب عليه السلام) * فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وأمواله وتتابع المرض والزمن والسقم حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ونذ كر شيئا مختصرا من ذلك وهو ان ملكا من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس فكلمه في الظلم جماعة من الانبياء وسكت عنه أيوب عليه السلام لاجل خيل كانت لا يوب في ملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب تركت كلامه لاجل خيلك لا طيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطني على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوا جميعا فقدوها في البحر وبعث بعضهم الى زرعهم وجنانه

قصة أيوب

فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازل أيوب وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا
 وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء إبليس الى أيوب وهو يصلي ويمشي له
 في صورة قيم من غلمانة فقال يا أيوب أنت تصلي ودوابك ورعائك قد هبت عليهم
 ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر وأخربت زروعك وانهدمت منازلك على
 أولادك فهلك الجميع ما هذه الصلاة قالت فت اليه وقال الحمد لله الذي رزقني ذلك
 كله ثم قبله مني وقام الى صلاته فرجع إبليس خائبا فقال يا رب سلطني على جسده
 فسلطه فنفخ في ابهام رجله فانتفخت ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن
 بانت منه امعاؤه وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله وكان الناس
 قد هجروه واستقذروه وألقوه خارج البيوت من نثر ريحه وكانت زوجته بنت
 افراثيم بن يوسف الصديق عليه السلام قد سلمت فتتردد اليه تفتقه فجاءها إبليس
 يوما في صورة شيخ ومعه نخلة وقال لها ليدبح أيوب هذه النخلة باسمي وتدبري
 فجاءته فأخبرته فقال لها ان شغاني الله لا جلد لك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير
 الله وطردتها عنه فذهبت عنه فبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا
 شراب ولا أحد من الناس خر ساجدا وقال الهى مسنى الضر وأنت أرحم
 الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على
 ما قبل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وأنه تلقى جميع ذلك باقبول وما شك الى
 مخلوق ما نزل به عاد تعالى بالطفاه عليه فقال عز وجل فكشفنا ما به من ضر وآتيناه
 أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنسا به بلوى نقمه ومنحه
 من أقسام كرمه أن أفتاه في عينه لتحلة قسمه وجمع له بين فتياه ومدحه في نص
 الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضعفا فاضرب به ولا تحنث انا وجدنا صابرا ناعم
 العبد انه أواب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله
 تعالى به رسوله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم
 أبواب مرادهم ومسؤولهم ومنحهم من لدنه غاية مرادهم ومأمولهم فأسعد من
 اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم

(إشارة مستعذبة المجاني وعبارة مستغربة المعاني)*

قبل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق
 يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تنهاى الامر تنزل الرحمة فالوفق

من رزق صبرا وأجرا والشقي من ساق اليه القدر جزعا ووزرا * وعما شنف السمع
من حجج هذه الاشارة وأتحف النفع في نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن
البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت
ماذا لك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحاج منذ ثلاث سنين فى أضيق
حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابرا لا أتكلم فلما كان بالامس
أخرج جماعة كلوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا
يضرب عنق فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى
فقلت اللهم استدأ الضر ونفد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره
فأخذتنى غشية وأنا بين النائم واليقظان اذا تانى آت فقال لى قم وصل ركعتين
وقل مثل ما أقول يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت
عالم بخفيات غيوب الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنظر الاعلى
وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أسرى
واكشف ضمرى فقد نفذ صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت وتلوت ما سمعته
منه ولم يختل على منه كلمة واحدة فقام القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت
فاذا أبواب السجن قد تفتحت فقمت وخرجت ولم يعارضنى أحد فأنادوا والله طليق
الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى
وانطلق يقصدا لجهاز

* (خاتمة هذا الباب * فى الفقر الموضوع * والدرر المسموعة) *

(منها) من صبر على ما يكره ولم يجزع كبت عدوه وسر صديقه (ومها) من
صبر على عدوه الى ان تلوح له الفرصة عليه أمكن نفسه من الانتقام واستأصل
شافته وقطع دابرته (ومنها) من استعجل فى أمر يحاوله كان جديرا ان ناله
أن لا يدوم له فان الخلل يلزم العجل (ومنها) يجب على الملك أن لا يعجل فى الانتقام
عن سعى به اليه حتى يكشف عن أغراض السعاة وما حملهم على السعاية فرب عدو
يضع زورا ويلقيه الى من يوقعه فى مسامع الملك ليسلطه على الكذب عليه
(ومنها) الصبر والتثبت حسن وهو فى الملوك أحسن والسرعة والاستعجال
فى الانتقام قبيح وهو من الملوك أقبح لاسيما اذا كان فى أمر لا يمكن تداركه (ومنها)
كم من صبر أفضى بصاحبه الى جذل وسرور وكم استعجال أشرف بصاحبه على

هم وندامة وعنوان ذلك ان الصابر يتوقع خيرا والمستعجل يتوقع زلا

*(الباب الثالث * في صفة الشكر ومدحه * وذم الكفران وقبحه)*

لما كان الشكر عظيم الموضع وافر الخطر وافي المكانه موجبا للزيادة في النعمة المشكورة أمر الله تعالى في كتابه العزيز بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قائل اذ كروني اذ كركم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قام في الصلاة حتى تورمت قدماه قيل له ان الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا * والشكر المتعارف بين الناس هو اظهر النعمة والتحدث بها وبسط اللسان بالحمد مدحة والتعظيم للمنعم بها والتنويه بذكره ورفع قدره وقد انعقد الاجماع على وجوب الشكر للمنعم عقلا وشرعا وان من أنعم الله عليه وأحسن اليه ولم يمدح المنعم ويشكر المحسن الجدير أن يحكم عليه بماؤمه وخساسته وأن يسلب النعمة أو ينقطع عنه مددها ولقد أنصف بعض بني أمية وقد سئل بعد زوال ملكهم وانقراض سعادتهم وانقضاء دوائهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم والبلاء النازل عليكم فقال قلة شكرنا الله تعالى على ما أنعم به علينا واشتغالنا بلذتنا عن النظر في مصالحنا وتقويضا أمورنا الى من لا دين له ولا أمانة عنده وظلم نوابنا لرعايانا وغفلتنا عنهم ففسدت علينا النبات واختلف علينا الجند لقلة عطاياهم فاستدعاهم أعداؤنا فأجابوهم وأعانوهم علينا واستترت عنا الاخبار لقلة الانصار فآل أمرنا الى ما آل ومما يعم نفعه ويعظم في هذا المقام وقوعه ويروق لذوى الافئدة المستيقظة سمعه ما قيل في حديث المحدث العرب عن بعض عظماء أهل المغرب حين تمت نعمته واتسعت بسطته وامتدت مدته ونفذت في دولة مخدومه كلمته فقال له يوما بعض من له جراءة في سؤاله ومعرفة بتقديم حاله واقلاله ما الذي أوصلك الى التقرب من الملك والتقلب في نواله وافضاله حتى ألحقك في احسانه اليك وانعامه عليك بخواص أهله وآله فقال ما معناه اعلم انه لما أحل هذا الصقع في تلك السنة التي سمعت بها في عام القحط واضطرب الناس واشتدت اللازمة وضاق الامر وكثر الجوع وقيل المسعد واستوى في الشدة المقل والمكثر ونفذت ذخائر الاغنياء وسحبت الميتة ذيل الهلال على الضعفاء بقيت أنا وأهلي أياما في قبضة الجوع والحاجة والقلة فدعت

غريبة

الضرورة الى أن كتبت الى الملك وريقة لطيفة وكان ذاميل الى الفضل ورعاية
لاهل العلم وبعثت بها اليه (وصورتها هذه) لقد عرضت فاقة أسقطت رداء
الحياء عن منكب الحرية وأنطقت لسان التعفف على خلاف العادة بالمسئلة
وأحوجت أهل الصيانة الى تحمل ذل الابتذال وقد وقع في النفس أن في رافة
الملك ما يكشف ضرر أو يسترق حر أو يستوجب على الأبد حمد وشكرا

فامن بما يفنى ويثمر دائما * حمد ايدوم على مدى الايام
فلما وقف عليها وقعت منه بموقع فأرسل غلاما على يده مادفع الحاجة وسد الخلة
فكتبت على يد الغلام كلاما كثيرا مشورا وأعقبته بهذين البيتين
شكرت نوالك كل قافية * تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأت بما مننت به * كف الرجاء وناظر الامل

فلما وقف عليها أطربته وقال هذا الرجل أهل للاحسان اليه فانه اذا كان هذا
شكره للقليل من برتنا فكيف يكون اذا أتحنفناه بانعامنا وألحقناه بنحو اصنا
فاستدعاني وخصني بلطائف بره وفعل بي ما هذا الذي رأيت به بعض أثره فبدلت
له ما في وسعي وجهدي من مناصحة وحمد وشكر وخدمة وجدير لمن شكر أن يشمله
المزيد ومن رعى الاحسان أن يبلغ فوق ما يريد فان رب العزة جلست قدرته وتعال
محظمتهم مع استغنائهم عن العالمين ولا يتفع بكثرة شكرهم ولا يضره زيادة كفرهم
قد بذل المزيد لمن شكر وأعد العذاب الشديد لمن كفر فتال سبحانه وتعالى لئن
شكرتم لا أزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فإظنك بالانسان الذي
يستميله نشر الشكر والدعاء ويطربه ذكرا الحمد والثناء وينفقه بجهود ما جاد به من
النعماء ويتأثر تأثيرا يظهر على بشرته بهذه الاشياء وكأن الشكر اذا انطق به
المنعم عليه من العبيد والاتباع والامثال والاشياء يعرضي لهم بزيادة الحياء
وادامة الاحسان على الآناء فكذلك اذا رأى السيد أو المنعم بعض أصحابه وخدمه
وحاشيته وحشمه قد أسفر فخر نصحه عن صبحه وأضاء ناد نجيحه لقدحه حمده على
حسن صنعه ومدحه بالقيام بما في جهده ووسعه فانه بهذا القول اليسير يسترق
رقاب الاحرار ويتخذ من مناصحتهم اخلاصا في الاعلان والاسرار حتى يهون
عليهم في تحصيل مراده ركوب الشدائد والاعطال ويسهل عندهم مكابدة
الصعاب لنيل ماله من المقاصد والاطوار * كما نقل عن المهلب بن أبي صفرة لما كان

في قتال الازارقة وكان معه من أهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب يوما
ومعه بنوه فقال لابنه يزيد يا بني تقدم الى هذه الطائفة من الازارقة فاكفني
أمرها فأخذ يزيد جماعة وتقدم فلما التقى الجمعان كان مع يزيد الحارث بن ربوع
من وجوه كندة فسكى الحارث في الازارقة نكابة عظيمة وأبلى بلاء حسنا والمهلب
واقف ينظر الى صنعهم ويتعجب من حملات الحارث وفعلاته دون الباقيين فلما جرت
الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحارث فلما رآه المهلب زاد
إكرامه وقال مثلك يا حارث من يسدى اليه المعروف ويستندب لدفع الكربة
ولقد بضت وجه قومك وصدعت بصحة بعثك وصدقت الخيلة فيك وأرضيت ربك
في دينه وأميرك في نصرته قال الحارث فلما سمعت هذا القول والقلب قوى
حرضني على القتال وهان على القاء نفسي وعشيرتي في غمرات الموت بين يديه فلما
أصبح ركب ابنه يزيد وأصحابه فجمعت عشيرتي وأخذت عنهم موافق الموت
أو الظفر فلما التقى الجمعان هيجت عشيرتي وحملت بهم فلا والله ما كان الا هزيمة حتى
هزمناهم وأوقعنا السيف فيهم وغنمناهم والمهلب ينظر فلما أتينا بالغنمة قال لي
المهلب بك وبعشيرتك يا حارث كسرهم يزيد فقلت لا أيها الملك بك كسرهم يزيد
فقال لي كيف وأنا واقف لم أتحرك فقلت له ذلك الشكر منك بالامس لي والكلام
الذي هو عند ذوى الفطنة واللب أعلى قدر من الملك هو الذي أوجب ما رأيت
ولولا خوف الاطالة لاملت من أمثال هذه الوقائع جملا ولضربت عند كل
قضية منها لمن يتأقلمها مثالا ويؤمن من شواهد ما يدل على ان الشاكر

بشكره أكل معرفة وأحسن عملا وما أحسن قول القائل

أوليتني نعماً ملكت ببعضها * رقي فوافقت مدحتي في شكرها

فلا تشكرنك ما حييت وإن أمت * فلتشكرنك أعظمي في قبرها

(تذكرة وتبصرة) كما ان شكر المنعم يستدرأ خلاف الزيادة ويبعث على امداده
بمعاودة الاسعاف والارفاق فكذلك كفران المنعم يعرض للزوال والنفاذ ويلبس
جاحدها بالباس سوء النعمة بين العباد وقد يماخص بالازدياد من شكر وحمل
الانتقام بمن كفر وفي قضية مكة حرسها الله تعالى وحال أهلها عبرة لمن استبصر
وموعظة لمن تذكر وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ
نعمه وجعلها بلداً آمناً وشرفه فوسمه بحرمه ومنحهم من لطائف رفته فضلاً ومنا

وأوسعهم غاية مرأهم غنى وأمننا فقال في كتابه العزيز وألم تمكن لهم حرماً آمناً
يحى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ثم بعث من بينهم محمداً عليه السلام رسولا من
أنفسهم فدعاهم إلى الإيمان وتلا عليهم القرآن وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن
المنكر وحرضهم على صلة الرحم وحشهم على مكارم الأخلاق فكذبوه وكفروا بنعمة الله
التي أنعمها عليهم فسلط عليهم أنواع الانتقام وضرب بهم المثل لأقوى الأفعال فقال
سبحانه وتعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من
كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وفي هذا تنبيه
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ومما نقل من الحكم المطربة
والكلمات الماثورة عن ذوى التجربة أن من قابل النعمة عليه بكفرانها وجازى
الحسن بالاساءة فقد استفتح باب سخط العزيز ذى الانتقام ولقد بلغني أن الخليفة
المنصور أمر المؤمنين لما أحسن إلى عبد الجبار وولاه امرأته خراسان وناط
بيده أزقة أمرها وفوض إليه حكم قتلها وكثرها وأفاض عليه من نعمه
ما شهدته به السنة نظم السير ونثرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن
سبيل شكرها وأغراه باتباع هواه فأرداه في مهواة كفرها فكتب صاحب
خبر المنصور إليه يخبره بما شاهده من برق عبد الجبار ولحمه من صفحات
وجهه وسمعه من فلتات لسانه فضاق المنصور بذلك ذرعاً وعظم لديه وقعها وأثار
اضطرابه منه في وجه كيفية عمله نقما وعلم أن الانتقام نازل بمن كفر النعمة وإن كان
أشد قوة وأكثر جمعا فاستحضر في الحال إليه من هو موثوق بدينه من الكبراء
ومرموق بعين الاصابة عند اشتباه الآراء ومنزه عن مواقف التهم بمتابعة الأهواء
ومتطلع بنور البصيرة على معالجة معضل الادواء وقد عاين قبل من استضاء بنور
الادلاء في ظلمات الخطوب هدى إلى الظفر بالمرغوب والمنجاة من المرهوب فلما
أطلعهم الخليفة المنصور على طالع ما طواع به من كفران عبد الجبار لا حسنة
وتغيره عما كان عليه من انقياده للطاعة واذعائه وتنكده على من عنده من
أنصار المنصور وأعوانه استشارهم في كيفية استدراجهم إلى الحضرة بمصيره
واتيانه قبل أن يجاهر بمخالفته وعصيانه فامهم الأمن استنزل من السماء
فهمه صيب صوابه وتل بيد فكره ورويته خبايا جعابه والخليفة مصغ إلى كلامهم

حكاية بليغة

لا يريد على أن يسمع ويرى ويعجم نهاية أفهامهم ليجتار أسدها في اصابة مقتل ما قد
 عرى فلما نثلوا كائن الافكار وخرجوا من عهدة الامانة الواجبة على المستشار
 حدهم على نصهم وأذن لهم في الانصراف وقد علق بقلبه مقال واحد منهم
 ويعرف بأبي أيوب الجوزي فانه استصوب رأيه بدقيق فمكره واستعذب قوله
 وتحقيق مشورته فاستحضره وحده وقد حسنت فيه موارده عقيدته فلما حضر
 استعاد منه مقاله وسأله عما كان ذكره في ذلك الوقت وقاله فقال له يا أمير المؤمنين
 بادرا الآن بالكتاب الى عبد الجبار وأعلمه بأنك تريد غزو الروم وقد استدعيت الجنود
 من جهاتها وأمره ليوجه اليك جند خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا
 منها وانفصلوا عنها سير من شئت الى عبد الجبار يحضره فإيقدر على الامتناع
 وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى عبد الجبار كتابا تلك الصورة
 فأجاب عبد الجبار عن كتابه بأن الترك قد جاشت وهي مجاورة لخراسان فان
 فرقت الجنود وتوجهت العساكر منها الى حضرة أمير المؤمنين ذهبت خراسان
 فلما وصل كتاب عبد الجبار بذلك استحضر المنصور أبا أيوب وألقى اليه كتاب عبد
 الجبار وقرأه وعلم ما قصده فقال يا أمير المؤمنين الآن أمكنك الله تعالى منه اكتب
 الآن اليه ان خراسان عندي أهم من غيرها وحيث قد ذكرت عن الترك أنهم
 قد جاشوا فحفظ خراسان معين علينا وأنا موجه بالجنود اليك ليكونوا بخراسان
 عندك لتستعين بهم على حفظها ثم يجهز أمير المؤمنين الجنود يسيرها الى خراسان
 فان بدا من عبد الجبار خلاف أخذوه بعنقه فكتب المنصور الكتاب وسيره فلما وصل
 كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره فكتب الى المنصور ان خراسان لم تكن
 قط أسوأ حالة منها في هذا العام وان دخلها الجند هلك أهلها الضيق ما هم عليه من
 غلاء السعر فلما ألقى المنصور كتاب عبد الجبار وقرأه دفعه الى أبي أيوب فقرأه وعلم
 مضمونه وقال يا أمير المؤمنين ان هذا رجل قد أبدى صفحة الخلاف وتقص بلباس
 كفر ان النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمد المهدي وأصحابه العساكر
 وقدم لمحاربته حازم بن خزيمة فتوجه محمد المهدي بالعساكر فنزل نيسابور وتوجه
 حازم بن خزيمة الى عبد الجبار وهو يومئذ بمرو والروم فبلغ ذلك أهلها وعلموا كفران
 عبد الجبار للنعمة المنصور ومخالفته لهم فخاف منهم فهرب واختفى فطلبوه حتى
 طفروا به وأسروه وسلموه اليه فألبسه حازم مدرعة صوف وأركبه على بعير وجعل

وجهه الى ذنبه وسيره الى المنصور ودمعه ولده وأصحابه فلما وصل هو وولده وأصحابه
المساعدون له على كفران النعمة ووجود الاحسان والمجاهرة بالمخافة والطغيان
صب المنصور عليهم أنواع العذاب والانتقام ثم في آخر الامر أمر بقطع يدي عبد
الجبار ورجليه وضرب عنقه واشهار ذلك ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران
وجازى بالاساءة على الاحسان

* خاتمة لهذا الباب في الحكم الحسن النازلة في جيد الزمان منزلة قلائد العقيان
(منها) اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعمة اذا شكرت
ولا بقاء لها اذا كفرت (ومنها) شكرك من أولك ما يستقل لك ببعثه على ان
يمنحك ما يستكثر في حق أمثالك (ومنها) من خطب النعمة بالشكر نكحها
بالدوام والعاقل يرغب في الشكر ويبدل امكانه في اقتنائه ويراه أفضل ما يقتنيه
من ذخائره (ومنها) من رفع عن الناس بترك بره مؤونة شكره وأراحهم
باهمالهم من تلاوة حمده فقد يثب من مكارم الاخلاق كما يثب الكفار من
أصحاب القبور (ومنها) النعم رزق يديمه الشكر والشكر موهبة يهدي اليها
العقل والعقل فطنة يوقظها التوفيق والتوفيق عناية ربانية منحها الله من يشاء
من خلقه فمن زال توفيقه رقد عقله ومن رقد عقله فقدت موهبته ومن فقدت
موهبته قل شكره ومن قل شكره حرم رزقه

* (الباب الرابع) * في المشورة وبركتها * وذم تركها ومجانبتها
من شرف المشاورة وعموم نفعها وعلو درجاتها وعظم وقعها ان الله تعالى أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم بهامع استغنائه عنها فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وقال
تعالى يمدح من وصفهم في كتابه العزيز بصفات حميدة لا يحوزها الا الموفقون
والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون فجعل أمرهم شورى بينهم وكفى ذلك في فضيلة المشورة دليلا والى خرج
فضلها سبيلا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطن كثيرة لأصحابه
أشيروا عليّ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزم فقال أن تسترشد
وقال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وقال عليه السلام
ما شقي عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأيه وفي التوراة من لم يستشر في أمره

يندم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر استشارة لأصحابه من
النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاور أصحابه في قصص كثيرة وقضايا متعددة (منها)
لما أراد مصالحة عيينة بن حصن والحارث بن عوف حين قصده الأحزاب يوم
الخنندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعان عنه بمن معه ما من غطفان
فقال صلى الله عليه وسلم حتى أشاور السعديين سعد بن معاذ وسعد بن عباد
وسعد بن قزارة فشاورهم فأشاروا أن لا يعطيهم شيئا فعمل بمشورتهم (ومنها)
استشارته في أسارى بدر فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالفداء وأشار عمر رضي الله
عنه بالقتل فعمل صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر (ومنها) لما نزل صلى الله عليه وسلم
ببدر بأدنى ماء هناك قال له الحباب بن المنذر يا رسول الله أرايت هذا المنزل منزل
أنزل لك الله تعالى ليس لنا عنه متقدم ولا متأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب فان هذا
ليس بمنزل فانفض يا رسول الله بالناس حتى نأق أدنى منزل من القوم فنزل على
مائه ثم تغير ما وراءه من القلب والآبار ونعمل لك حوضا فتملؤوه ماء ثم نقاتل القوم
فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونفض
صلى الله عليه وسلم ومن معه وسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه وعمل ما
أشار به الحباب بن المنذر * وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في
المشورة سبيع خصال استنباط الصواب واكتساب الرأى والتحصن من
السقطة وحرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة القلوب واتباع الأثر وقال
أقمان لابنه يا بني اجعل عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجة الى فعله فقال ابنه
كيف اجعل عقل غيري لي قال تشاوره في أمرك وقال اذا استخار الرجل ربه
واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما يحب وقيل
للاحنف بن قيس بأى شيء أكثر صوابك ويقل خطأك فيما تأتبه من الأمور
وتبشره من الوقائع قال بالمشورة لذى التجارب ومخضز بدة الآراء

*(تهذيب واضح * وتنبه لائح) * من واردات الحكم ومسندها عن اكبر
أساطين الحكمة وموردها وقد سئل ما بال العاقل ذواللب مشورته على
نفسه تقصر عن اصابة الصواب وادراك المطلوب ومشورة غيره له تظفر بذلك
فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة بالهوى ومشورة غيره له شاملة من ذلك

ولما صاب مع الهوى وقد بما قيل سبعة لا ينبغي لذي لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتنى زوال النعمة والمرأى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفة ومما يقطع بصحة هذا المقال وصدقه ويطلع أنوار تحفة من مطالع أفقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل واحد منهما صارقا عن الحق المبين وواقفا في وجه السنن المستبين

* (إشارة عزيزة * وعبارة وجيزة) * لا بد في أهلية المشورة من صفاء فكر وضياء حس وجودة فهم وقوة نفس وسبق تجربة وصحة حدس والاطلاع على مختلفات الأمور ومفارقة قول الزور فاذا حصلت هذه الزايا أطلع الله بنور بصيرته على ما وراء الحجاب المستور فأصاب عند مشورته أصدق فكره مواقع المقدور وحصل بالعمل بما أشار به خروج من الظلمات إلى النور وشفاء لما في الصدور * ومما قرع المسامع والطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بأن المهتدي بنور الإشارة صيب لسواء السبيل وكيف يضل من بين يديه من اتباع الشرع وضياء العقل أوضح دليل وتلخيص القضية بعد إفراغها في قالب الاختصار وإبلاغها مستحقها من البيان مع مجانبة الإفراط والاقتصار ما أورد معناه ذوو الاستبصار من فضلاء الأمصار إن الشعبي رحمه الله لما قدم به على الحاج في الواقعة التي أخذت فيها شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكل من مال إليهم حين خرجوا عليه فظفروا بهم فسفك وقتل وقتل وهتك واستباح المحظور وارتكب من النكال ما جاوز حد الانتقام وكان من يعتذر إليه في موافقتهم وليس منهم يقبل عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحاج صديقاً لي فقال يا شعبي اعتذر إليه هالك تنجو من أذاه فحدثتني نفسي بأن أخلق أعذاراً يقبلها فلما كان الليل طفت على أقوام لي على عقولهم اهتقاد وفي رأيهم حسن ظن فقلت لهم ما تشيرون فغدا يبدأني الحاج في أول مجلسه فاتفقت أشارتهم مع اختلاف عباراتهم على أن الصدق أولى ما نطقت به فاعتمده معه فلما أصبحت ودخلت عليه سلمت عليه بالأمرة وقلت أصلى الله الأمير أن الاعتذار بغير ما يعلم

الله انه لحق لقبيح عند من هودون مكاتك وأيم الله لا أقول في مقامى هذا الا الحق
والصدق ولقد جهدنا وحرصنا فما كآبالا قويا الفجرة ولا بالاتقياء البررة
ولقد نصرنا الله علينا وطفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك
والحجة لك علينا ففحك الحاج بعد قطوبه وسكن بعد وثوبه وقال والله أنت
أحب الناس اقولا لصدقك ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دماثنا ويهتذر ويقول
ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير اكتبك بعدك السهر
واستشعرت الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد بعدك خلفا فقال صدقت
فطب نفسا وابسط أملنا فخرجت من عنده وقد أمنت ببركة المشورة واستعمال
الصدق وقد قبل ما عرض أحد عن قبول المشير الا واستغشى لباس الندم على
التقصير وقد بما قبل ماضل من استخار ولازل من استشار * وقد نقل ابن عباس
رضي الله عنه قال لما قتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الواقعة
المشهورة خرج على رضي الله عنه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والكرامة تبين من وجهه فقال رحم الله عمي العباس كأنما كان يطالع على الغيب
من وراء سترة قريب صدق والله ما نلت من هذا الامر شيئا الا بعد شر لا خير معه
فقلت يا أمير المؤمنين لو قبلت مشورته لاسترحمت فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا
قال ابن عباس فسألتني بعض أصحابه عن مشورة العباس فقلت فعد العباس وعلى
رضي الله عنهما في أيام عثمان فقال لعلي يا ابن أخي كنت أشرت عليك بأشياء ولم
تقبل مني فقرأيت في عاقبتها ما كرهت وها أنا الآن أشير عليك يا ابن أخي فان قبلت
والا نالك ما تكره كنت أشرت عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن تسأله ان كان الامر فينا أعطاناه وان كان في غيرنا أوصى بنا فقلت ان منعناه
لم يعطنا أحد بعده فضت تلك ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو سفيان
ابن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت ابسط يدك نبايعك فاننا ان بايعناك
لم يختلف عليك منا في وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي وان بايعتك
قريش لم يختلف عليك عربي فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل
ولن يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ما هذا يا عم فقلت
مادعوناك اليه ثم لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرت عليك أن لا تدخل
معه في الشورى فانك ان اعزلتهم قدموك وان ساويتهم لم يقدموك فدخلت

معه فكان ما رأيت وما أنا أقول لك الآن أرى هذا الرجل يغني عثمان رضي الله عنه يؤخذ في أمور ولكاني بالعرب وقد سارت اليه حتى ينحرك كما ينحرك الجزور والله لئن كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه وان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيئا الا بشرا لا خير معه فهذا كان رأي العباس ومشورته ولكن حاجزا القدر منع من العمل بهذه المشورة ليقضي الله أمرا كان مفعولا وقد كان عمر رضي الله عنه يشاور في كثير من الوقائع حتى قال يوما لاصحابه أشيروا علي ودلوني على رجل أستعمله على أمر قد دهمني فقولوا ما عندكم فاني أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كانه واذا كان أميرهم كان كانه واخدمهم فقالوا انري لهذه الصفة الربيع بن زياد الحارثي فنشير على أمير المؤمنين به فاحضره وولاه ففوق في عمله وقام فيه بجأريه على رجاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيه وأمله فشكر عمر رضي الله عنه من أشار عليه بولاية الربيع وكان يحث على المشورة في الامر الكبير الرفيع والحقير والوضيع وقد قيل في ذلك من استشار فقد اعتصم من الرأي بالعقل المبيع ومن استبد فلا يأمن ان يختل مراده ويضيع وعلى الجملة فقل الفريقين كلاهمي والاصم والبصير والسميع وطالما أدرك المستشير بغيته فانقلب بقصد الفاترين ولولا الاستشارة لكان عن ادراك ما موله من العاجزين وقد ورد من مستحسنات ما يطرب عن بعض ساكني يثرب يعرف بالاسلمى قال

ركبني دين أثقل كاهلني وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه فضاقت على الارض ولم أهتم الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأي فأشار علي بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له يمنعني بعد الشقة وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره لي الصديق الا قول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلى الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت بأبكاك الابل من يثرب فانه أشار علي ذوو الحجي والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتينا بوسيلة أو قرابة أو عشيرة فقلت لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فانقت بها فانت أهل لذلك وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أياس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فأخذني معه فوجد في خزانته

ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحاً وسروراً
وأعادني اليه مسرعاً فقال هل وصلك ما يقوم بدفع حاجتك فقلت نعم أيها الأمير
وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتناك جنى مشورتك واتصديق ظن من
أشار عليك بقصدنا قال الأسلى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا
واقف بين يديه * شعر

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الأرض قاطبة * فأنت والجود مخـلوقان من عود
من استشار فيباب النجج منفج * لديه في دبغاه غير مسدود
ثم عدت الى المدينة وقضيت ديني ووسعت على أهلي وخزيت المشيرين على وعاهدت
الله تعالى اني لا أترك الاشارة في جميع أمري ما عشت * وكم من نبيه دهمته حادثة
أظلم من الليل اذا تغشى فهدته الاستشارة الى كشف كربته نهجاً أوضح من النهار
اذا تجلى فأمن سربه وزال كربته اذا سمعته المشورة لا تخف انك أنت الاعلى * وقد
ورد من معجبات القصص ومستهغربات القصص ما يصف هذا القول بالصواب
ويكشف عن وجه تصديقه نقاب الارتباب ويقذف في نفس سامعه أن حدس
واصفه قد أصاب وان سحاب فهمه ورباب علمه قد تنزل بالحكمة وصاب * فانه قيل
في مسطور السير ومن ربور وقائع العبر ما معناه ان الخليقة المنصور كان قد صدر من
عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا يحتملها حراسة الخلافة ولا
يتجاوز عنها سياسة الملك والابالة فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن
علي وكان والياً على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجهه ميلاً اليه
عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأثر في جفنه وقل أمنه وترادف خوفه وخزته
وقد بما قيل من جاءته الاساءة من جانب توقع الاسعاف منه كان ألمه أشد ونكاية قرحه
أعظم ومن خامر قلبه استئثار زوال ملكه وتوهم تطلع القلوب الى دماره
وهلكه كان جديراً به مجانبية الرقاد ومخالفة السهاد ومجافاة جنبه عن المهاد واعمال
فكره وتحيله في اصلاح ماعرا أمره من الفساد فأدّت فكرة المنصور الى أمر
دبره وفسكر كتمه عن جميع حاشيته وستره واستخصر ابن عمه عيسى بن موسى
وأجراه على عادة كرامه وأخرج من كان بحضرته ثم قال له ما معناه يا ابن عم اني
مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا سوالك مسعد الى على حمل ثقله فهل

غريبة

أنت في موضع ظني بك وعامل على ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي
فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي
وعملك عبد الله قد فسدت بطائفة واعتمد ما في بعضه ما يبيع دمه وفي قتله صلاح
ملكنا فذه اليك واقتله سرًا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرًا ان ابن عمه
عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله
ليقيم دونه ويقتلوه قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال
عيسى فلما أخذت عمي وأفكرت في قتله رأيت من الرأي ان أشاور في قضيته من
له رأي عسى ان أصيب الصواب فيها فأحضرت يونس بن فروة الكاتب وكان
لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين سلم الي
عمه وأمرني بقتله واخفاء أمره فأرأيت فيه وماتش على به فقال لي يونس أيها
الأمير احفظ نفسك بحفظ عملك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله الى مكان
داخل دارك وتسكتم أمره عن كل من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرا به
اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وتجعل بين كل من هو من بطائنتك وبين المعرفة بهذه
الحال حجابا وأظهر لأمير المؤمنين انك أنفذت أمره وانتهيت الى العمل بطاعته
فكأنى به اذا تحقق انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس
الأشهاد فان اعترفت انك قتلت به بأمره أنككر أمره لك وواخذك بقتله وقتلك به
قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأدخلت عمي الى خزانة في
داخل داري وأفردت له موضعا وتركت عنده ما يأكله ويشربه أيا ما
وأغلقت عليه أبوابا وأقفالا وجعلت مفاتيحها معي وأظهرت لأمير المؤمنين أني
أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه اني قتلت عمه
عبد الله أتاه أعمامه يهتفون ويستوهبوه منه وأطمعهم في اجابتهم فخاؤا اليه
وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم حقوقكم
تقضى باسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام
الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت
اليك قبل خروجي الى الحج عبد الله عمي وعملك ليكون عندك في منزلك الي
حين رجوعي قال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال قد سألتني فيه عمومتك
وقدر أيت الصغ منه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأتاه قال

عيسى بن موسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك فقال المنصور كذبت ما أمرتك بذلك ولو أردت قتله لسلّمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد اعترف وأقر بقتل أخيكم مدعيًا الى أمرته بذلك وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني الى الرحبة واجتمع على الناس فقام واحد من عمومي الى وسيل سيفه ليضربني فقلت له يا عم أفاعل أنت قال اي والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي فقلت لهم لا تعجلوا ردوني الى أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت له يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمني الله من فعله وهذا عملك باق حتى سوى وان أمرتني بدفعه اليهم دفعته فأطرق المنصور وعلم ان ربح فصكره صادفت اعصارا وأن انفراده بتدبيره قارف خسارا وقد بما قيل من اتبع هواه وشرع فيما يهواه وقطع نظره عن عواقب ما أتاه واقتنع برأيه عن مشاورة من سواه كان اخفاق مسعاه أقرب اليه مما أثله ورجاه فقال المنصور لعيسى اثنتابه فضى عيسى وأتى بعبد الله فلما رآه قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة المشورة ليونس وقبول اشارته والعمل بمشورته ثم ان المنصور أسكن عبد الله في بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليسلا فذاب الملح وسقط البيت فأت عبد الله ودفن في مقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مرامها البعيدة وقد وضع من غضون هذه القضية وأرجائها ان ترك الخليفة استعاضته بأنوار الافكار وآرائها قطع عنه مواده وأضعف قوى قصده واعضاده فلم تظفر نفسه المتألمة بشفاؤها ولا زال عنها ما خمرها من أدوائها بما اعتاده من طرق دوائها وان استسقاء عيسى ماء المشورة واستنزاه من سحاب سهامها واستضاءته بنور مشكاتها في دجى الحيرة وظلماتها أروى صداه وأهدى اليه هداه فخرت الاقدار بسلامة نفسه وبقائها وقلمارغب في المشورة احد وعمل بها الاغنى ولا زهد فيها وأعرض عن قبولها الاندم * بلغني ان أمير المؤمنين محمد الامين لما قصده عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون وحصر به بغداد واشتد عليه الامر وضاق بين يديه المسلك الى النجاة قال من استشار ذا رأي ومعرفة وخالفه وقع فيما يكره وندم على التفريط فانه لما حصل عندي من

حكاية

أخى حاله أحضرت الشيخ أبا الحسن القطيفي وكان ذارأي ومعرفة بموارد
الحوادث ومصادرها فحادثته في أخى المأمون وما الذي أعتمده حتى يقع في يدي
وأطلعته على حقيقة الحال واستشرته في كيفية العمل في ذلك فقال لي ان استعجلت
لم تنتفع برأي ولا فعل وان تمهلت وقبلت مشورتي وعملت بما أقوله ~~تمهلت~~ كنت من
أخيك وبلغت ما تأمله وذلك انك تدعو حجاج خراسان اذا قدمها بغداد وتجلس
لهم مجلسا عاما وتقول لهم ان أخى كتب الي يمدحكم ويذكر حسن طاعتكم
وجميل انقيادكم وحميد مذاهبكم وتجزيهم خيرا ثم تقول لهم قد أطلقت هنكم
الخراج سنة وأخوك في خراسان وهي بلاد رجال بلا مال وليس له في رد قولك حيلة
وسيناله من ذلك خلل عظيم ثم ينتقض عليه أكثر أمره ثم تفعل في السنة المقبلة
مثل ذلك وتسقط عنهم خراج سنتين فان لم يوت في السنة الثالثة بأخيك في وثاق
والا فاضرب عنقي ان كنت حيا فخالفته وما قبلت مشورته وعملت الى خلع المأمون
وعقدت الامر لأخي حتى وقع ما وقع فن خالف المشير ندم على التقصير (قيل
ما معناه) ان بعض صدور العراق كان له رواء وروية ومكانة من ذي الخلافة
عليه وعليه من ملابس النباهة حلة سنية وتحمله من الولاية مطية وطية ففوقت
اليه الايام من حوادثها سهما وأقامت له من الحاسدين القاصدين خهما فأبرم له
محبلا احتياله ليسومه باغتياله ظلما وهظما وكان قد علم ان التوفيق عهد
بالاستشارة لكن فتنى ولم يجده عزمه فأعرض عن الاستشارة فيما عراه
استبكارا ولم يرض لنفسه أن يقلد في أمره مستشارا فأهواه تيهه عن مهواة
الحيرة عثارا ولم يجده على دفع ما كاده به الحاسد القاصد انصارا قال فخشيت
ظهور المرامي لاسهم الرامي وضائق عليه في المدافعة فسيحات المرامي فأغفيت
اغفاءة فرأيت في منامي انسا نا واقفا أمامي وهو يقول لي عليك بشعر الازدي
فقلت وما قال الازدي فقال قوله

تمسك بأهداب المشورة واستعن * بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوا في قوة للقادم

فاستيقظت وقد حفظت البيتين فسألت عنهما ما لهما فأخبرت انهما للشيخ
الازدي كما قال لي ذلك القائل فعملت بهما وشاورت فيما حدث لي واعتمدت العمل
بالمشورة فاندفع عني ما كنت أتوقعه من الازدي المردي والتلف المتوقع فها حدثت

الله تعالى بعدها أن لا أترك مشاورة أهل الرأي وذوى المعرفة في جميع ما يعرض
لي ولزمت ذلك فربحت واسترحت (قيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم
في مباشرة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه قال نحن ألف رجل وفينا رجل واحد
حازم ذورأي ومعرفة فنحن نشاوره في الجليل والحفير ونعمل برأيه فكأننا إذا
أصدرنا عن رأيه مشورته في ألف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا * وقد عينا
قيل شعر

إذا ما عرى خطب ورمت وروده * فشاور فكم نصح هدته المشاوره
وأنفع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فابصر بعده من تشاوره
(خاتمة لهذا الباب) في الحكم المقولة والالفاظ المتقوله (منها) لاعمين
أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل فالمشورة تقوى العزم وتفتح النصح وتوضح
الحق وترشد الى الاصابة وتبسط العذر وترخرج عن مواقف الندامة والعقل
يهدى صاحبه الى اجتناء ثمرة المشورة (ومنها) من استشار ذوى الرأي
والمعرفة في فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بأرائهم فيها ولم يعدل عنها وعن
قويم نصحها قل ان يخفق مسعاه ويفوت مطلبه فان أحجزه القدر فهو معذور غير
ملوم (ومنها) من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار هدا فالسهم
اللام ومضغة في أفواه العاذلين (ومنها) من فضل المشورة انها تكشف لك
طبائع الرجال فتى طلبت اختبار رجل فشاور به في أمر من الأمور يظهر لك من
رأيه وفكره وعدله وجوره وخيره وشره (ومنها) من أكثر الاستشارة لم يعدم
عند الاصابة مادحا وعند الخطأ عاذرا

(الباب الخامس في الانصاف والعدل)

في الرعية والظلم والاحفاف في البرية قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان
وايتاء ذى القربى الآية وقبل الشروع في مقصود هذا الباب وكشف الغطاء عن
وجه المطلوب فيه لا بد من الاشارة الى معنى هذه الآية الجامعة لهذه الصفات
الجميلة والخلال الحميدة * فاقول نقل عن قتادة رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى
أمر عباده في هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفاسف الاخلاق
ومذاتها وقال أيضا انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به
ويعظمونه الا أمر الله تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يتعاورونه بينهم الا

نهي الله عنه * بلغني ان الشعبي قال جاء شتر ومسروق فقال شتر اما ان تحدثت
ما سمعت من عبد الله بن مسعود فأصدقك واما ان أحدث فتصدقني فقال مسروق
لا بل حدث فأصدقك قال سمعت عبد الله يقول ان اجمع آية في القرآن خير أو شر
في النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى قال مسروق صدقت وقال ابن عباس رضى الله عنه بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالسا اذ مر به عثمان بن مظعون فكشرا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجلس
بجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلا فيبيننا هو يحدثك اذ شخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فنظر ساعة وأخذ يضع بصره حتى
وضعه عن يمينه في الارض فتحترف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان
الى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه حتى كأنه يستفقه ما يقول له ثم شخص
رسول الله ببصره الى السماء كما شخص أول مرة فأتابعه بصره حتى توارى بالسماء
فأقبل على عثمان بكلمته الاولى فقال عثمان يا محمد قد كنت أجالسك وأتيتك
فأرايتك تفعل فعلتك هذه قال وما رأيتني فعلت قال رأيتك قد شخص بصرك الى
السماء ثم وضعته عن يمينك فتحرفت اليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك
تستفقه شيئا يقال لك قال أوفطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال أتاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم آنفا وأنت جالس قال عثمان رسول الله أتاك قال نعم قال فما
قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون قال عثمان فذاك حين استقر الايمان
في قلبي واذا حببت محمدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على الوليد
وكان كبيرا في قریش فقال له يا ابن أخي أعد على فأعاده النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ان له خللاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمورق وما
هو بقول البشر والمراد بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ما هو عدل ونصفه والمراد
بالاحسان العفو عن الناس واسداء المعروف والمراد بايتاء ذى القربى صلة الرحم
فلا تقطعها والمراد بالنهي عن الفحشاء ما قبح من الافعال والاقوال وبالمنكر
ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وبالبغي الظلم والعدوان وفي هذه الآية مقنع في فضل
العدل وعلو درجته وكمال منقبته والحث على اجتهاد الانسان في التحلي بصفته وقال

سبحانه وتعالى واذا قلتم فاعدلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
 عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه
 وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم الى الله وأبعدهم
 السلطان الجائر وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده
 انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وقال صلى الله عليه
 وسلم حديثا في الارض خير من أن تمطر أربعين صباحا وقال صلى الله عليه وسلم
 ان المقسطين في الدنيا على منابر من أول يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا
 في الدنيا وروى بلفظ آخر ان المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين
 الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا وروى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال ما من عبد ولا هالة الله تعالى أمر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم
 يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من
 أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال يتعدى الحدود وقد قيل ان الملك يدوم
 مع العدل وان كان صاحبه كافرا ولا يدوم مع الظلم وان كان صاحبه مؤمنا وكان
 كسرى أنوشروان يسمى بالملك العادل ويكفيه في الشرف والفخر وعلو الذكر
 والقدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حيث قال ولدت في زمن الملك
 العادل ولما قيل لكسرى بماذا استحق الملك هذه الصفة قال لاني جعلت العدل
 اكبرهمي وحملي عليه قول الحكيم الفاضل * لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال
 ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت
 عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد * وقد نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 كرم الله وجهه في هذا المقام ما هو أفصح وضعا وأعظم وقعا وأتم نفعا وأبلغ
 لأنواع البلاغة والفصاحة جمعا وهو قوله العالم حديقة سياجها الشريعة
 والشريعة سلطان يجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع
 يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمع به الرعية
 والرعية سواد يستعبد لهم العدل والعدل أساس قوام العالم
 * (اعتبار واستبصار) * بلغني ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي
 الخلافة كتب الى الحسن البصري أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فنكتب
 اليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصده كل

حائر وصالح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفرع كل ملهوف
والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق الحازم الرفيق الذي يرتاد لها
أطيب المراعى ويدودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكفيها من أذى
الحر والقر والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم
صغاراً ويعلمهم كباراً ويكسب لهم في حياته ويدخلهم بعد وفاته والامام العادل
يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البررة الرفيعة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته
طفلاً تسهر لسهره وتسكن لسكونه ترضعه تارة وتقطمه أخرى تفرح لعافيته وتغتم
لشكايته والامام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده
والامام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر
إلى الله ويرىهم وينقاد لله ويقودهم إليه ولا تسكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله
كعبداً تئنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرّد العيال فأفقر أهله
وأهلك ماله واعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث
والفواحش فكيف إذا أتاهم من يلها وإن الله تعالى أنزل القصاص حياة
لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المقالة فلما قدم كتاب الحسن
البصري على عمر بن عبد العزيز وقع منه بموقع وعظه ومحل يقظه

*(ومن متداول الالسنه * على طول الازمنه)* قولهم عدل السلطان
يقوم مقام خصب الزمان زعمت الفرس أن فير وز بن يزدجرد بن بهرام جور كان
ملكاً عادلاً واتفق أن الناس قطوا في زمانه سنوات متواليه حتى غارت
الأنهار والعيون ونقلت الأشجار والغياض وهلكت جملة من الوحوش
والطيور وصارت الدواب والأنعام لا تطيق حمولة لشدة القحط وقلة القوت
فبسط من إحسانه ونشر من آثار عدله وكف عن جباية الحقوق واستخراج
الخراج والمستحقات وأخرج من بيوت الأموال ما فرقه وأمر بأخراج ما في الأهرام
والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستئثار به وسأوى في ذلك بين غنيهم
وفقيرهم وأخبر رعاياه أنه متى بلغه أن إنساناً مات جوعاً عاقب أهل تلك البقعة
ونسكل بهم فقيل أنه لم يمت في تلك الجماعة العظيمة إلا رجل واحد من كورة
أزدشير فقام عدله في الرعية مقام الخصب حتى جاء الخصب وعادت السعة ورعاياه
على ما يؤثرون وقد كان يوصي عماله فيقول سوسوا الناس بالعدلة واحملوهم على

النصفة واحذروا أن تلبسونا جلودهم أو تطعمونا لحومهم أو تسقونا دماءهم * قيل
 ان قيصر ملك الروم سير رسولا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 ليشاهد أحواله ويكشف أفعاله ويسمع أقواله فلما وصل الرسول الى المدينة قال
 لأهلها أين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة
 فخرج الرسول في طلبه فرآه نائما في الشمس على الأرض فوق الرمل وقد وضع
 درته كالحذوة له والعرق يسقط من جبينه فلما رآه الرسول على هذه الحالة وقع
 الخشوع في قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الأرض لا يقر لهم قرار من هيئته
 وتكون هذه حالته ولست بك يا عمر عدات فأمنت فمت وملكنا يجوز فلا جرم لا يزال
 خائفا ساهرا أشهد أن دينكم لدين الحق ولولا أنني رسول لاسلمت ولكني سأعود
 بعد هذا وأسلم * وقد قيل من سعادة الملك محبته للعدل ومن علامة محبته للعدل
 مخالطته لأهل العلم ذوى الدين ورغبته في محادثتهم ليدركوه بما يجب عليه من
 العدل الذى هو سعادته فى الآخرة ودوام ملكه فى الدنيا وحسن سمته فى العالم
 وميل القلوب اليه وجرى ان الحسن باللسن بالدعاء له كما نقل عن أمير المؤمنين هارون
 الرشيد أنه أحب أن يرى شقيق البلخي رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له أنت
 شقيق الزاهد قال أنا شقيق ولست بزاهد فقال أوصنى قال عليك بالعدل فانه أول
 ما يطلبك الله به واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أجلسك فى موضع أبى بكر
 الصديق وهو يطلب منك الصدق مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب
 الفاروق وهو يطلب منك أن تفرق بين الحق والباطل وأحلك محل
 عثمان بن عفان وهو يطلب منك مثل قيامه فى الرعية وأقعذك موضع على
 ابن أبى طالب وهو يطلب منك العدل والعمل به كما يطلب منه فانظر لنفسك
 يا أمير المؤمنين قال الرشيد فانتفعت بكلامه ورسخ فى نفسه ما نفعنى الله به
 وقد يمانقل انه قيل ليزدجرد ملك الفرس ما الذى أوجب للموكم انتظام الامور
 ودوام السرور فقال ما معناه انا استعملنا العدل والانصاف فعمرت بلادنا واستعملنا
 تأديب الخائن وتقريب المشفق الامين فمضى ملكنا واستعملنا الاحسان الى رعايانا
 فلا كنا قلوبهم واستعملنا الصدق فدانت لنا ملوك الطوائف واستعملنا مكارم
 الاخلاق فاكسبنا حسن السمعة وبقاء الذكركر ولم يختلف علينا من نكره
 خلافه لنا فاستقامت لذلك أمورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى البسيط بهذا

القول الوجيز ومن استعمل ذلك فقد أسعده بتوفيقه ولكن التوفيق عزيز
 * (اعتبار نافع وتذكار جامع) * قرع المسامع ان عمر بن العزيز رضى الله عنه
 لما آل أمر الخلافة اليه بذل جهده في اقامة العدل واستعمال القسط ودحض
 الظلم ومعاملة العالم بالانصاف فكتب اليه عدي بن ارطاة كتابا مختصرا مضمونه
 أما بعد فان قبلنا ناسا لا يؤدون ما في جهتهم من الخراج الا أن يسهم شيء من
 العذاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز أما بعد فالعجب كل العجب من
 استئذانك اياي في عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله تعالى أو كأن رضائي
 ينجيك من سخط الله تعالى فاذا أتاك كتابي هذا فن أعطاك ما قبله عفوفا قبله
 ومن أنكر ما قبله فاستخلفه فوالله لا أن نلقى الله تعالى بخياناتهم أحب الي من
 أن نلقى الله بعذابهم * ونقلت الرواة الثقات والنقلة الاثبات ان مالك بن أنس
 امام دار الهجرة رضى الله عنه قال بعث الي أبو جعفر المنصور والى ابن طائوس
 فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه أنطاخ قد بسطت
 وجلاذ زهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس فأومأ لنا بالجلوس وأطرق
 عنا طويلا ثم التفت الى ابن طائوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي
 يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
 أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله قال مالك فضممت ثيابي مخافة
 أن يملأني دمه ثم التفت اليه أبو جعفر فقال عطني يا ابن طائوس قال نعم أما سمعت
 الله يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات الحماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
 وحمود الذين جابوا الصخر بالواد الى قوله لبسا المرصاد قال مالك فضممت ثيابي أيضا
 مخافة أن يملأني دمه فأمسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طائوس تناولني الدواة
 فأمسك ابن طائوس ولم يتناولها وهي في يده فقال ما يمنعك أن تتناولنيها قال
 أخشى ان تكتب بهامصية لله فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك المنصور قال
 فوما عني قال ابن طائوس ذلك ما كنت ينبغي قال مالك فازلت أعرف لابن طائوس
 بعد هذا فضله * وقد يما قيل ما نسب الى سقراط الحكيم ينبوع فرح الانسان
 وحفظ بدنه القلب المعتدل وينبوع فرح العالم وحفظه السلطان العادل وينبوع
 حزن الانسان القلب المختلف المزاج وينبوع حزن العالم وفساده السلطان الجائر
 روى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للظالم يوما فلما انتفض المجلس

لطيفة

نادرة

رأى رجلا جالسا فقال ألك حاجة قال نعم تدنني إليك فاني مظلوم قد أعوزني العدل
والانصاف قال من ظلمك قال أنت ولست أصل إليك فأذ كر حاجتي قال وما يحجبك
وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك والطراد
جحتك فقال ففهم ظلمتك قال في ضيعة الفلانية أخذها وكيلك غصبا مني بغير إذن
فاذا وجب عليها خراج أدية باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيطلم مدكي
فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدى خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد
هذا قول يحتاج الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه
حتى أجيب قال نعم قد أتمتلك قال البينة هم الشهود وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم
الى شيء آخر فامعنى قولك بينة وشهود وأشياء ايش هذه الاشياء الا الهى والخصر
والتعطرس وعدوك عن العدل فضحك محمد وقال قد صدقت والبلاء موكل بالمنطق
واني لاوى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له كرت حنطة وكرت شعير ومائة
دينار يستعين بها على قيام ضيعته وصيره من أصحابه وكان قبل ان يتوصل الى
الانصاف واعادة ضيعته يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينتصر
وظالم لا ينصف فلما صار من أصحاب عبد الملك ورد عليه ضيعته قال له ليلة كيف
الناس الآن قال بخير قد اعتمد معهم الانصاف ودفع عنهم الاحجاف وردت عليهم
الغصوب وكشفت عنهم الكروب وانا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب (قيل)
ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان ابن هريرة نائبك
قد ظلمني فأنا نصفني منه وأذقني حلاوة العدل فلم يقض حاجته ثم عاد ووقف له مرة
ثانية ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت اليه فقال اليهودي يا أمير المؤمنين انا نجد
في التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكا في ظلم أحد ولا جورا
حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ولم يغيره شره في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك قوله
فزع منه وأنفذ في الحال الى هريرة وعزله وأخذ بحق اليهودي منه * ومن الوقائع
المستحسنات ما رواه محمد بن صفوان الضبي قال كنت أقوم على رأس سليمان
بن عبد الملك فدخل عليه يوما رجل من حضرموت من عقلائهم فقال له سليمان
تكلم بحاجتك فقال من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الارادة
أو في كلامه على السلامة واني أعوذ بالذي استخصني من أهلي حتى أوفدني عليك
أن ينطقني بغير الحق وأن يذل لساني بما فيه سخط على وان أقصر الخطبة أبلغ

في أفئدة أولى الفهم من الاطالة والتشديق في البلاغة الاوان من البلاغة يا أمير المؤمنين ما يفهم وان قل واني مقتصر على الاقتصار بجانب لكثير من الاكثار أشخصني اليك وال عسوف ورعية ضائعة وانك ان تجعل تدرك ما فات وان تقصر تترك رعيته هناك ضياعا نخذها اليك قصيرة موجزة فقال سليمان لمحمد ادع رجلا من الحرس فاحمله على البريد وقل له اذا أتيت البلاد فلا تنزل منزلك حتى تغزله ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه ثم أمر لذلك الرجل بمال فأبى أن يقبله وقال اني احتسبت سفرى هذا على الله يا أمير المؤمنين واني أكره أن آخذ عليه أجرا من غيره فقال له سليمان انطلق بارك الله فيك وكثرنا من بوقظنا لاقامة العدل من أمثالك فلما ولى الرجل خارجا قال سليمان لاصحابه ما أعظم بركة الرحمن في كل شيء * ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية تؤثر في النفس الزكية سمعها ويحسن عند ذوى المعرفة والتوفيق وقعها وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية فذا الحكم فيها مهيا مخوفا يقوم بسياسة الملك ويعلى كلمة العدل وبأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المسرف وكان يجلس للظالم ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجماعة من الفقهاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعي وكان ابن طولون اذا جلس للظالم يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ويكشف ظلامته ويجلسه بين يديه مقرر باليه قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي العقيه اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدى سلامة فاحتجت الى الدخول اليه والتظلم مما جرى لي وأنا يومئذ شاب الا أن العلم والمعرفة بالحاضر بن بسطني على الكلام والتمكن من الحجة فلما طبت في أمر الضيعة فاحتج على بحجج كثيرة وأجبت عنها بما الزمه الرجوع اليه ثم ناظرني مناظرة الحصوم بغير انتهاز ولا سطوة على وأنا أجيبه وأحل حججه الى أن وقف ولم يبق له حجة فأمسك عنى ساعة ثم قال لي الى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك والحجة قد ظهرت لك ولست أكن أجلسا ثلاثة أيام فان ظهرت لك حجة والاسلمت الضيعة اليك فقامت منصرفا فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي للحاضر بن ما أقبح ما أشهدتكم على نفسي أقول لرجل من رعيته ظهرت لك حجة أجلى ثلاثة أيام الى أن أطلب حجة وأبطل الحكم الذي قد أوجبه بحجته من يمنعي اذا وجبت لي حجة أن أحضره وألزمه اياها هذا والله الغصب وأنتم تسلمون اليه

نفيضة

باني قد ألزمت بحجته وأزلت الاعتراض عن الضيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقدر أن يؤخذ الحق لضعيفها من قويعها وتقدم بالكتاب له وعرف الطحاوي الحال من الحاضرين فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة وصارت هذه تتلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل وإقامة ميزان القسط وكان من محبته للعدل وإقامته وتأثيره الحق وسلوك طريقته يميل إلى كل من كان ذلك من صفته ويقرب إليه من علم التحقيق من خليفته حتى أنه في بعض الأيام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال إلى حضرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه العدول بحيث يشهدون على القاضي فكتب الشهود خطوطهم وقد عاينوا المال وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار فلما بلغ الكتاب إلى سليم وهو بعض الشهود ألقاه إلى الخادم من يده وقال أيها الأمير استأشده حتى يوزن المال بحضرتي فغاطه ذلك منه لتأخر الانفاذ ثم قال للوزانين زنوه فلما فرغوا من وزنه قالوا أشهد قال بقي لي النقد فدعا بالنقد فتنقده وسليم جالس معهم حتى فرغ وختمت الأكاس وتسلمها حاملها فكتب شهادة وانصرف فقال ابن طولون مثل هذا ينبغي أن يعتمد عليه ويمال إليه فإن من لا دين له لا أمانة له ومن لا أمانة فيه جدير بالابعاد وأن لا يولى شيئاً من أمور المسلمين وكانت هذه الحالة سبباً لتقريره لسليم واعتماده عليه وتقويض أمور إليه * ومما تضمنه أخبار الأحيار ما رواه أنس قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر لقد عدت مخيب فإشأنك قال سأقت على فرسي ابن العرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الأكرم فبلغ ذلك عمر أباه فخشى أن آتيك فخبسني في السجن فأنقلت منه وهذا حين آتيتك فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيتك فقدم عمرو وشهد الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمر بن العاص وابنه إلى جانبه قام المصري فرمى إليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس ولقد ضربته ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحبيناً ان ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الأكرم قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلعة عمرو

عجبة

حكاية

فقال يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً فجعل يعتذرو ويقول اني لم أشعر بهذا فتعين على كل عاقل أن يكف يده عن الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله تعالى في السر والعلانية ويعلم ان الله سبحانه وتعالى يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم وفيما نقل من الآثار الاسرائيلية في زمن موسى عليه السلام ان رجلاً من ضعفاء بني اسرائيل كانت له عائلة وكان صياداً يصطاد السمك ويقيت منه أطفاله وزوجته فخرج يوماً للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فأخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقبته بعض العوانية فرأى السمكة معه فأخذها منه فغصه الصياد فرفع خشبة كانت في يده فضرب بها على رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه فقال الهى خلقتني ضعيفاً وخلقتني قوياً غنياً فخذني حتى منى عاجلاً فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان الغاصب انطلق بالسمكة الى زوجته وأمرها أن تشويهها فلما شوتها ووضعها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة فها وزكزت أصبعه نكزة أطارت بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فراها فقال دواؤها ان تقطع الاصبع لئلا يسرى الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الوجع الشديد الى اليد وزاد الألم وارتعدت من خوفه فرائسه فقال له الطبيب ينبغي ان تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الى الساعد فقطعها فانتقل الألم الى الساعد فزال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم الى الذي يليه فخرجها ثماً على وجهه مستغيثاً الى ربه ليكشف عنه ما قد نزل به فرأى شجرة فقصدتها فأخذها النوم فنام تحتها فرأى في منامه قائلاً يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضائك امض الى خصمك الذي ظلمته وأرضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فقال ضربت الصياد وأخذت السمكة منه غصبا وظلما وهي التي نكزت يدي فصاحبها خصمي فدخل المدينة وسأل عنه فوجده فوق بين يديه والتمس منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيئاً من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه وبات على فراشه تلك الليلة وأقلع عن خطيئته ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تدبره الله بلطفه ورحمته فرديده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى

وعزقي وجلالي لولا ان ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبت به مهما امتدت به حياته
 * (تذكرة وتبصرة) * من استمسك بحبل حب العدل ومال اليه سهل الله سبحانه
 سلوك سننه عليه وأوضح بدليل التوفيق والهداية مناهجه لديه وجعل من
 عدله يوم القيامة نورا يسهى بين يديه وأكفنه عناية ربانية تسدده في أحكامه
 وتبصره بمرامي العدل لا صابة سهامه حتى يبلغ به الى ان يرى الوقائع في منامه
 ويؤمر باقامة شريعة العدل والانصاف في أحلامه * مثلما قرع الاسماع وكما اشتهر
 وذاع من قصة الخليفة المعتمد على الله أبي العباس أحمد بن المتوكل رضى الله عنه
 فانه كان يحب الارتداء بجلباب الانصاف ويأخذ بنفسه بنشر شعار العدل
 في الجهات والاطراف فاطلع الله منه على صفاء سريره وصدق ميله الى المعدلة
 في ولايته فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فأمره باقامة شريعة
 معدلة وحذره من تأخره فيه وغفلته * وهو ما نقله الثقات ورواه النقلة
 الاثبات عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون قال انصرف جلساء المعتمد على
 الله ليلة عنه فانصرفت الى حجرة مرسومة لي في الدار فلما انتصف الليل اذا أنا
 بالخدم يدقون باب حجرتي فانزعجت فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمتم فلما صرت
 بحضرتي قال علي بصاحب الشرطة الساعة فلما حضر قال في حبسك رجل يعرف
 بفلان بن فلان الجمال قال نعم قال أحضره الساعة فحضر فقال له من أنت قال فلان
 ابن فلان الجمال قال منذ كم حبست قال منذ كذا وكذا سنة قال في أي شيء قال
 مظلوم لا جرم لي قال فاشرح لي قصتك قال أنا رجل من أهل الجبل وكان يتهلدا
 فلان الأمير فسخرجما لي فتظلمت اليه فلم ينفع فخرجت أمشي خلف الجمال الى
 قريب من حلوان فاستل الاكراد من الجمال جملا فضر بني وقيدني وقال أنت
 سرقت الجمل وما عليه فقلت غلمانك يعلمون ان الاكراد أخذوه قال ذلك بمواطاة
 منك ثم قيدني وطرحني في الحبس وأخذ الجمال فقال لبعض الخدم امض
 الساعة الى فلان الامير فاقعد على دماغه ولا تبرح الى أن ترد جمال هذا أو قيمتها
 وقال للخدام ادفع الى هذا كذا وكذا دينار او كسوة جميلة وأدخله الحمام وأطعمه
 ثم قال لصاحب الشرطة في حبسك فلان بن فلان الحداد قال نعم قال هاته فأحضره
 فقال ما قصتك قال ظلموا قص عليه قصة طويلة فقال للخدام خذه وغير
 من حاله وأدخل به الحمام وأطعمه وأعطه كذا وكذا ديناراً ثم رفع رأسه

غريبة

وقال الحمد لله الذي وفقني لهذا الفعل قال أحمد بن حمدون فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر في هذه الساعة بنفسه في مثل هذا الأمر وانزعج من نومه فقال لي ويحك رأيت الساعة رجلا من صفته كذا وكذا فقال في حبسك رجلان مظلومان يقال ل أحدهما فلان بن فلان الجمال وللآخر فلان بن فلان الحداد فأطلقهما وأنه فهم ما من خصومه ما وأحسن إليهما فانهتهن مذعورا فلعنت ابليس وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وتحولت إلى الجانب الآخر ونمت فما استلقيت حتى رأيت الشخص بعينه فقال أمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك ولا تفعل وكاد يمد يده إلى فقلت من أنت قال أنا محمد رسول الله وكأني قد قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فاجعل في أمرهما الساعة فانهتهن وفعلت ما رأيت وكان هذا ببركة حبه العدل وقيامه باقامة الحق والحكم والفصل وكذلك ابن أخيه المعتضد لما ولي من بعده بذل في العدل غاية جهده وقصد في سلوك حد الانصاف أمين قصده فأيداه الله تعالى في كشف القضاء باقامة الحق فيها بعناية من عنده فقد رسخ في الازهان ما سطره الرواة في منقولاتهم ورواه الثقات في مقولاتهم * وهو ما أخبر به أبو محمد الحسين بن محمد الصلحي قال أخبرني أحد خدام الخليفة المعتصم بالله المختصين به قال كنت حوالى سريره ذات يوم نصف النهار وقد نام بعد ان أكل فأتته منزعجا وقال يا خدام فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدر في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وجيئوني به واكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سميرة منحدر وهي فارغة فقبضنا عليه واكلنا بالسميرة وأصعدناه اليه فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتصم صيحة عظيمة كادت روحه تذهب معها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلها اليوم والاضربت عنقه قلت قال فتاعثم وقال نعم كنت اليوم في الشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجوهر فطمعت فيه واحتلت عليها حتى سددت فها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها وطرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلمها إلى بيتي لئلا يفسد والخبر على فعملت على الهرب والانحدار إلى واسط وصبرت إلى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعاقبني هؤلاء الخدم وحملوني فقال وأين الحلبي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري فقال المعتصم على به

الساعة فوضوا وأحضروه فقال خذوا الملاح الساعة وغرقوه ففعل به ذلك ثم أمر
أن ينادى ببغداد كلها على امرأة خرجت الى الشرعة الفلانية سكرت وعلها ثياب
وحلى فيحضر من يعرفها ويعطى صفة ما كان عليها ويأخذها فقد تلفت المرأة فحضر
في اليوم الثاني أهلها فأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم بعد أن علم
استحقاقهم قال فقلت بامولاي أوحى اليك بهذه الحالة فقال رأيت في منامي رجلا
شبحا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد خذ أول ملاح منحدرا
الساعة فاقبض عليه وقرّر دعه عن المرأة التي قتلها اليوم وسلمها ثيابها وأقم عليه
الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم * وله قصة مع بعض أتراك الامراء تشهد له
برغبته في العدل والانصاف وانتقامه من ذوى الظلم والاعتساف وهو ما حدثه
القاضي أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي ان شحنا من التجار كان له على
بعض القواد مال جليل فطلبه به مدة ووجدته واستخف به قال وحملت على الظلم منه
الى المعتضد بالله لاني كنت استشفعت اليه وتظلمت الى الوزير فنانفعني فقال لي
بعض اخواني أنا أدلك على من يأخذك المال ولا تحتاج الى أن تتظلم الى المعتضد
قم معي فقمتم معه فجاءني الى رجل خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس في مسجد
يخط ويقرأ القرآن فقص عليه صاحبي قصتي فقام معنا فلما صار بباب
الرجل وكنت قد تأخرت عنه وقلت لصديقي انك قد عرضتنا ونفسك وهذا الشيخ
الى مكروه فقال لا تخف وامش على ركة الله تعالى قلت انه لم يفر في شفاعته
أحد من الكبراء ولا في كلام الوزراء ففعلك الرجل وقال لا عليك امش واسكت
فلما رأونا غلمان الرجل تلمقوا الشيخ فقبلوا يده والارض فنعهم فقالوا ما جاء بالشيخ
فسألهم عن صاحبهم فقالوا هو راكب فان كنت آمرا فأمرنا بفعله نباذ اليه
والا فادخل واجلس الى حين وروده فدخل ودخلنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط
أعظمه اعظاما تاما وقال لا أنزع ثيابي أو تأمرني بأمرك فخاطبه في أمرى فقال
والله ما عندي الا خمسة آلاف درهم فسله أخذها وأخذرهن على ما بقي له الى
شهر واحد فقلت السمع والطاعة فأحضر الدراهم وأحضر حليا قيمته زيادة على
الباقى فقبضت ذلك وأشهدت عليه الخياط وصديقي بأن الرهن على البقية الى شهر
واحد فان جاوز الاجل فأنا وكيل في بيع الحلي لا يفاء الباقي فشهدا عليه بذلك
وخرجا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت له أيها الشيخ ان الله

قدرة على هذا المال ببركتك وأحب أن تأخذ منه ربعة أو ثلثة ويطيب قلبي فقال لي يا هذا ما أسرع ما كفتنا بالبيع انصرف بمالك ما أحتاج الى شيء فقلت قد بقيت لي حاجة قال قل قلت تخبرني بسبب طاعة هذا الرجل لك معتمداً وأنه بأكثر الدولة قال يا هذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي وما أعيش منه فألحت عليه فقال أعلم اني رجل أوذن وأوم الناس من سنين كثيرة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها فكنت من مدة قد صليت المغرب وخرجت أريد بيتي فاجترت بتركي كان في هذه الدار وأومأ الى دار تجاه المسجد وامرأة جميلة مجتازة فتعلق بها وهو سكران ليدخلها الى داره وهي تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعها منها وتقول في جملة كلامها ان زوجي حلف علي بالطلاق أن لا أبيت الا عنده فان عوقيت هذا خرب بيتي مع ما أرتكبه من المعصية فحثت الى التركي ووقفت عنده وسألته تركها فضرب رأسي بدبوس كان في يده فثجني وأدخل المرأة داره فصرت الى منزلي وغسلت الدم وشددت الشجة واسترحمت وخرجت أصلي العشاء فلما فرغنا منها قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي نجس عليه ولا تبرح حتى تخرج المرأة فهكنا به فخرج في عدة من غلماناه فأوقع بنا وقصدني من بين الجماعة وضربني ضرباً شديداً كدت أتلف معه فحملني الجيران الى منزلي كالتألف فحملني أهلي يومئتي قليلاً وأفقت قبل نصف الليل وما حملني النوم من شدة التألم والفكر في القضية وقلت هذا قد شرب الى الآن ولا يعرف الاوقات فلو قت وأذنت سمع فظن أنه قد طلع الفجر فأطلق المرأة ومضت الى بيتها في الليل فخرجت الى المسجد متحاملة وصعدت الى المنارة وأذنت وجلست أطلع الى الطريق أرتقب خروج المرأة فان خرجت والاقت الصلاة ليشك في الصباح فيخرجها فامضت الا ساعة والمرأة عنده واذا بالشارع قد امتلأ رجلاً وخيلاً ومشاعل وهم يقولون من هذا الذي قد أذن الساعة ففرغت وسكت ثم قلت اكلمهم لعل أستعين بهم على خروج المرأة فهتت من المنارة أنا أذنت فقالوا أنزل وأجب أمير المؤمنين فقلت جاء الفرج ونزلت فاذا بهدرا الحرمي وعدة من الغلمان معه فحملني وأدخلني على المعتض بالله فلما رأي ورأيت به هتته وارتعدت فلما سكن روعي قال ما حملك على ان تغر المسلمين بأذانتك في غير وقته فتخرج ذوو الحاجة في غير حينها ويمسك المريد للصوم في وقت أبيع له فيه الاكل ويتقطع العسس عن الحرس فقلت يؤمنني أمير

المؤمنين لا صدقه قال أنت آمن فقصصت عليه قصتي وقصة التركي وأريته الآثار
في فقال يا بدر علي بالغلام التركي والمرأة الساعة فبأعجابهما فسأل المرأة فأخبرته
بمثل ما قلت فقال يا بدر يا بدر بها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها عليه ويشرح
لزوجها القصة ويأمره عني بالتسلط بها والا حسان اليها ثم لست مدعاني وجعل
يخاطب الغلام التركي وأنا أسمع فقال له كم جراتك قال كذا وكذا قال كم صلتك قال
كذا وكذا قال كم لك من جارية قال كذا وكذا قال ما كان لك من صبر وأنت في
هذه النعمة عن ارتكاب القبيح ومعاصي الله عز وجل وهية سلطاننا واعتماد الظلم
والعدوان حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت الى الوثوب على من أمرك
بالمعروف قال فستط في يد الغلام ولم يدري ما يقول فقال ها توأجوالق ومداد الجص
وقيودا فقيده وأدخلوه الجوالق وأمر الفراسين ان يدقوه بالمداق وهو يصيح حتى
مات فأمر به فغرق في الدجلة وتقدم الى بدر بحمل ما في داره ثم قال أي شيء رأيت
من أجناس المنكر فأذكره صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا أو ما بيده الى بدر وان
جري عليك شيء ولم يقبل منك فالعلامة بيننا الاذان في ذلك الوقت فدعوت له
وانصرف فانتشر الخبر في الغلمان والاولياء والبلد فخطبت أحد ابعدا جرى
ذلك في انصاف أحد أو كفف عن قبيح الاطاموعني وكف خوفا من المعتضد وما
احتجت الى الآن ان أؤذن في ذلك الوقت * (شفاء وموعظة وأشياء موقظة) * قد
قبل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها ولا يخوفها عاقبة رداها ولا يصرف زمامها
بيد تقواها اساقته الى قرارة عطب لا نجاة لمن رآها وزينت له ارتكاب ما يظلم به
نفسه فكيف لا يظلم سواها فسبيل من أيقظه الله من رقدة هواه وأفاض عليه من
أنوار هدايه أن يعتبر بعاقبة من أوثقه الظلم فأرداه ويعلم ان الظالم يؤاخذ بظلمه
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فان أدلة الشرع وقضايا العقل متطابقة على ان مرتع
الظلم وخيم والصحيح به سقيم والغنى منه عديم والسالم فيه سليم والمسا هم عليه ملهم
وقد ورد فيه من قوارع الآيات وصحيح الاخبار ما في بعضه أعظم باعث على الانزجار
وأقوى صارف عن الظلم لذوى الاستبصار فان الله سبحانه وتعالى قطع عن الظالمين
طرق الاعتذار وجعل جزاءهم ان لم يتوبوا عذاب دار البوار فقال عز من قائل يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقيل ان الظلم على شقاوة
متعاطيه أوضح علامة ويسم وجهه عاقبه بسمة الخسارة والندامة ويسلكه لقم

النقم ويعدل به عن نزع السلامة وهو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة وكيف يفلح ظالم والدعاء عليه مستجاب أو يأمن وثبات البلاء وتأخير
عطبه شيء عجيب أو يطمع في النجاة وعليه بما اجترمه شاهد وكاتب وقد حذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذوا وهو من أجل الحماية حين بعثه إلى اليمن فقال
اتق دعوة المظلوم فانه ليس بيننا وبين الله حجاب وقد ورد في الأحاديث النبوية التي
أخرجها الإمامان مسلم والبخاري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن الله يميل للظالم حتى إذا أخذه لم يكد يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ
القرى وهي ظالمة إن أخذه اليه شديد* (ومما نظم)* في عقد العبر وزين بذكره
تيجان السير وجرى به قلم القضاء والقدر مما نقله وهب بن منبه عن جبار من
الجبابرة ممن غير وثر فقال ما معناه إن جبارا بنى قصر افشيد في أرضه وأعلاه
وجعله قيد القلوب والنواظر فزاره راء الاستهواء فجاءت عجوز من السائحات
إلى ظهر القصر فعملت كوخا في مكان مباح تعبد الله تعالى فيه فركب الجبار يوما
من الأيام وطاف بفناء القصر فرأى الكوخ فقال ما هذا فقيل له امرأة هاهنا
تأوى اليه وتسوح فأمر به فهدم ولم تكن العجوز حاضرة فجاءت فرأته قد هدم
فقالت من هدم هذا فقالوا لها الملك ركب فرأه فهدمه فرفعت طرفها إلى السماء
وقالت يا رب انالم أكن هنا فأين كنت أنت قال وهب بن منبه فأمر الله عز وجل
جبريل أن يقلب القصر على من فيه فأصبح عبرة للناظرين * ومما حوته بطون
الأوراق وأوضحته الرواة في الآفاق من القضايا التي فيها معتبر ومردجر
بالاتفاق قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة على ما ذكره سليمان بن أبي جعفر
قال كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده جماعة فتذاكرنا والملك بنى أمية
فقال بعضهم يا أمير المؤمنين في حبسك عبد الله بن مروان بن محمد وقد كانت له قضية
عجيبة مع ملك النوبة فابعث اليه واسأله عنها فقال المنصور يا مسيب علي به فأخرج
الرجل وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقيل فقتل بين يديه وقال السلام عليك يا أمير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له يا عبد الله ردة السلام أمن ولم تسهم نفسي لك
بذلك بعد ولكن أعد فخا وأبوسادة فثبث وقعد عليها فقال له بلغني انه كان لك قصة
عجيبة مع ملك النوبة فما هي قال يا أمير المؤمنين والذي أكرمك بالخلافة ما أقدر على
النفس من ثقل الحديد ولقد صدني قيدي من رشاش البول وصب الماء عليه في

نادرة

أوقات الصلوات فقال المنصور يا مسيب أطلق عنه قيده ثم قال نعم يا أمير المؤمنين لما
 قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين النبا كنت أنا المطلوب أكثر من الجماعة لاني
 كنت ولي عهد أبي من بعده فدخلت الى خزانه لنا فاستخرجت منها عشرة
 آلاف دينار ثم دعوت عشرة من علماني وحملت كل واحد على دابة ودفعت اليه
 ألف دينار وأوقرت خمسة أبعال مما يحتاجه وشددت على وسطى جوهره
 قيمة مع شيء من الذهب وخرجت هارباً الى بلاد النوبة فسرت فيها ثلاثاً فوقعت
 الى مدينة خراب فأمرت الغلمان فعزلوا اليها فكنحووا منها ما كان قدرا ثم
 فرشوا بعض تلك الفرش ودعوت غلاماً الى كنت أثق به وبعقله فقلت انطلق الى
 الملك وأقره عني السلام وخذلي منه الامان وابسع لي ميرة قال فضي وأبطأ عني
 حتى أسأت الظن به ثم أقبل ومعه رجل آخر فلما دخل كبر ثم قعد بين يدي وقال لي
 الملك يقربك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادى أمحارب لي أم
 راغب لي أم مستجير فقلت ترد علي الملك السلام وتقول له أما محارب لك فعدا الله
 وأما راغب في دينك فما كنت لا بغى بيدي بديلاً وأما مستجير بك فنعيم قال فذهب
 ثم رجع الى وقال ان الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك أنا صائر اليك غداً فلا
 تتحدثن في نفسك حديثاً ولا تتخذ شيئاً من ميرة فانها تأتيناك وما تحتاج اليه فأقبلت
 الميرة فأمرت علماني يفرشون ذلك الفرش كله وأمرت بفرش نصب له ولي بمثله
 وأقبلت من غد أرقب محييه فيينا انا كذلك اذا قبل علماني يحضرون وقالوا ان
 الملك قد أقبل فقم بين شرفتين من شرف القصر أنظر اليه فاذا برجل قد لبس
 بردين اتررباً أحدهما وارتي الأخر حاف راجل واذا عشرة معهم الخراب ثلاثة
 يقد مونه وسبعة خلفه واذا الرجل الموجه الى جنبه فاستصغرت أمره وسوات لي
 نفسي قتله فلما قرب من الدار اذا أنا بسواد عظيم فقلت ما هذا السواد قيل الخيل
 فوافي يا أمير المؤمنين زها عشرة آلاف عنان فكان موافاة الخيل الى الدار
 وقت دخوله فأحدثت به ما قد خل الى وقال لترجمانه أين الرجل فلما نظروا الى وثبت
 اليه فاعظم ذلك وأخذ يدي فقبلها وجعلها على صدره وجعل يدفع البساط برجله
 فشوش البساط فظننت ان ذلك شيء يحلونه أن يطئوا على مثله حتى انتهى الى
 الفرش فقلت لترجمانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذي وطئ له فقال قل له
 اني ملك وحق الملك أن يكون متواضعاً لله سبحانه وتعالى اذ رفعه الله ثم أقبل

نسكت في الارض طويلا بأصبعه ثم رفع رأسه فقال لي كيف سلبتم نعمتكم وزال
عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب الى نبيكم من الناس جميعا فقلت جاء من
هو أقرب الى نبينا قرابة منا فسلمنا وطردنا وقتلنا فخرجت اليك مستجير بالله
تعالى ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت فعل
ذلك عيى وأتباع وأعاجم دخلوا في ملكك بغير رأينا قال فلم كنتم تركبون على
دوابكم بمرأكب الذهب والفضة والدياباج وقد حرم عليكم فعل ذلك عيى وأتباع
قال ولم كنتم اذا خرجتم الى صيدكم تقسمتم على القرى وكافتم أهلها مالا طاقة لهم
به بالضرب الموجه ثم لا يقنعكم ذلك حتى تمشوا في زروعهم فتفسدوها في طلب
درأج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لاشئ والفساد محرم عليكم في دينكم قلت
فعل ذلك عيى وأتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وفعلتم ما نهاكم
الله عنه وأحببتم الظلم وكرهتم العدل فسلمكم الله العز والذل ولله فيكم نعمة لم
تأت غايتها بعد واني أتخوف أن تنزل النعمة بك اذا كنت من الظلمة فتشملني معك فان
النعمة اذا نزلت عمت والبليّة اذا حلت شملت فاخرج بعد ثلاث من أرضي فاني ان
وجدتك قتلتك وقتلت من معك وأخذت جميع ما معك ثم وثب وخرج فكثمت
ثلاثا ثم خرجت الى مصر فأخذني واليكت فبعث بي اليك وها أنا الآن بين يديك
والموت أحب الى من الحياة فهم المنصور باطلاقة فقال له اسماعيل بن علي
في عنقي بيعة له قال فماذا ترى قال يترك في دار من دورنا ويجري عليه ما يليق به
ففعل به ذلك

(خاتمة لهذا الباب) في الحكم الواردة والالفاظ الحاكمة بحصول الفائدة
(منها) العدل يزيد في الملك فيريح السر ويذهب الخوف ويرضى الرب ويعمر ما أخربه
الجور (ومنها) اذا جارا الملك في رعاياه كثرا رجاف الناس بزوال ملكه وأحبوا
ظهور أعدائه عليه (ومنها) أعظم أسباب العدل أن لا يغفل الملك عن التطلع الى
أحوال أعوانه مع رعاياه وقضايا تنوّه في اطراف بلاده (ومنها) زمان الجائر من
الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح وافساد الشئ أسرع
من اصلاحه (ومنها) لا يزال الجائر مهلا في جورته الى أن يتخطى أركان العمارة من
مباني الشريعة فاذا قصدها قرب دماره وشارفت الزوال مدته

(الباب السادس في الاتفاق والاتلاف وذم الشقاق والخلاف)

من أوضح الدلائل السالمة من الاعتراض الحاسمة أبواب المنع والانتقاض
الحاكمة لدى العظماء ان الاتفاق والائتلاف من أكمل الأغراض ماورد
في الكتاب العزيز في آيات متصفة بالاحكام مختلفة الالفاظ متفقة الاحكام
متعددة في مواضع من التنزيل المتلوق بلسان الخاص والعام كقوله تعالى في
القرآن الكريم والذكر الحكيم مخاطبا للنبيه المصطفى من الدرجة الهاشمية
المستخرجة في الشرف من الصميم المرسل داعيا الى الدين القويم وهاديا الى
الصراط المستقيم هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لم لو أنفقت
ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقوله
عز وجل وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكتوله تبارك
وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذا كروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أهداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الآية
المعتصم به هو القرآن الكريم وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير واستدلوا عليه
بما روى الحارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا
في الاختلاف فأتيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى
الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف قال وقد فعلوها فقلت نعم
فقال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة فقلت
يا رسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحيكم
ما بينكم هو الفصل الذي ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى
الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط
المستقيم وهو الذي لا تزيغه الاهواء ولا تلبس به الالسنق ولا يشبع منه العلماء
ولا يخلق على كثرة الرداد ولا تنقضني عجائبه هو الذي لم تثبت الجنة اذ سمعته حتى
قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشدا فآمنابه ولن نشرك بربنا أحدا من قال
به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم
ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى رضى لكم ثلاثا وكره
لكم ثلاثا رضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واسمعوا وأطيعوا المن ولا والله تعالى أمركم وكره لكم قيل وقال
واضاعة المال وكثرة السؤال فقد وضع بذلك ان الحبل المعتصم به هو القرآن

الكريم والتسليبه بوجب الاتفاق والاتلاف ويصد عن الشقاق والاختلاف
 وذكريصة ابن جابر قال لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 الى دمشق نزل بباب الجابية وقام خطيباً وقال للناس لقد قام فنادى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كفاي فيكم وقال من سره بحبوة الجنة فليزحم الجماعة وهذا
 صريح في التسليح بعروة الموافقة والتجنب لمعرة المخالفة وقد يما قيل ما من قوم وان
 قل عددهم وضعف مددهم فارتضعوا رحيق أفاويق الاتفاق وأشرى بواقي قلوبهم
 محبة الاتلاف وقابلوا بعددهم القليل فوما كثيرين قد نشأ بينهم الخلاف وعمهم
 التنازع الا أظهرهم الله تعالى مع قلتهم ومكنهم منهم وان كانوا أكثر عدداً وأشد
 قوة ومدداً * وفي قصة الخليفة الراشد بالله أبي جعفر المنصور بن المسترشد لما قتل
 وهو في معسكر السلطان مسعود وأراد الراشد وقد وقع له بالخلافة وهو ببغداد أن
 يأخذ بشار إليه ويقصد السلطان مسعود وأخذ في جمع العساكر وحشد الجيوش
 فأرسل الحاشرين واستدعى الناصرين واستحضر القادرين وسيراً فاحضر زنديكي بن
 آق سنقر من الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبور له من بلاد فارس فأنت اليه
 العساكر واجتمعت الجيوش عليه وتكامل له ما يزيد على ثلاثين ألف فارس بين يديه
 فلما عرف السلطان مسعود ذلك ولم يكن عنده الا سبعة آلاف فارس فسير السلطان
 في الباطن أشخاصاً يثق بهم عرفتهم ويعتمد على حسن توصلهم فدخلوا بين عساكر
 الراشد ومقدمهم وقد حووا بينهم زناد الخلف فوري وأوقد بينهم نار التنازع فذب
 احراقها وسرى وشكذوا أسياف الاختلاف والتباين حتى قطع عرى الاتلاف
 وبرى فلما أحس السلطان مسعود بتبليج نبح سعيه المسفر من أسارىه وتأرج
 ربا اصابه صنعه بنفحات ارباح تدبيره وتبرج مخدرات رأيه الصائب في حلي
 الملابس الموشاة بتعبيره أماط عن محيا خرمه منسدل نقابه وناط بصائب عزمه
 نهج صوابه واستعذب من نيل مرامه وطلابه من مشاق أوصابه مستكره صابه
 واستحب في انصاره وأعوانه اتفاق أصحابه فأركبهم وقد ضرب الليل سرادق
 ظلماته بجمتدأ طنابه ورتبهم ترتيب من قضت له التجربة من الاستيقاظ بتكميل
 نصابه وعرفته الوقائع والحروب كيفية ترتيب الطلابة وساق وقد جمعت قلوب
 جنده في سلك المسارعة المتسق نظامها والمتابعة المتفق سيد الالفة الشامها
 والطاعة المفوقة لاصابة الاغراض سهامها والضراعة اليه في ابتدارهم الى

حكاية

نفوس أعدائه فقد استعجلهم حمامها فأجاب بسرعة داعي البدار وأصاب
بمبادرته مواقع الاقدار وصاب بذلك بحباب صوابه المدرار واستجاب له كمين
الانتصار وضمن الاستظهار وساق مجدا سواق حثيثا واتخذ من اتحاد كلمة جنده
واتفاقهم بعد توفيق الله سبحانه دعينا ومغيثا فذقرب من ذلك الجمع الجهم
والعسكر الذي لهم وعم اضطربوا اضطراب أمواج اليم وأشربوا الخوف
ولكن لم ينزل عليهم أمنية من الغم فأكثروا الخلاف وأظهروا الانحراف
واستبصروا الانصراف فولى زكي ابن آق سنقر طالبا طريق الشام مسرعا
في ذهابه واقتفى داود بن محمد راكبا طريق اذربيجان راكضا فرقه خيله وسبق
ركابه واتبعهما بور له سال كاسن السلامة الى بلاد فارس في زمرة وأصحابه ولم
يبق عند الخليفة الراشد سوى ثلاثة آلاف من خولص حضرته وخدم سدة
فبقى بعده هؤلاء المتفرقين أشمتا المتفرقين بيد المخافة رفاتا العدو دين في حبال
جتوفهم لا خلافتهم أمواتا الشاربين من الملام لفشلهم مع كثرتهم ماء أجا
لاماء فراتا وبات تلك الليلة راكبا مطايا حيرة اعترته لتفرق الانتصار طالبا
وطاء قدرة يخدمها ضرام هذه النار فلم يجده أحزم من مجانبه المقام والاستقرار
ولا أسلم من الاقتداء لتنازعهم بموسى صلى الله عليه وسلم فيما أعده عند المخافة
من الخروج والفرار فلم يبت سوى ليلة واحدة بعد الجمع المفرق والجند الممزق
ثم رحل متوجها الى الموصل فركب متن طريقها فدخل السلطان مسعود بغداد
واسـ تحوذ على البلاد وأجرى الناس على السن المعتاد وخلع الراشد نفسه من
الخلافة خلعا سلك طريقه وسدد اليه تفويقه وأخرج أباعبد الله محمد بن المستظهر
بالله أمير المؤمنين وبايعه بالخلافة وجمع الناس لبيعته وشدد وسطه بنطاق
اخلاص عبوديته وقام بين يديه بمقتضى طاعته وواجب خدمته ولازم
نصرته وهو المقتضى لأمير المؤمنين والد الامام المستنجد بالله أمير المؤمنين
والد الامام المستنضي بأمير المؤمنين والد الامام الناصر لدين الله أمير
المؤمنين والد الامام الظاهر بأمير المؤمنين والد الامام المستنصر بالله أمير
المؤمنين والد الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين وآل أمر الراشد الى قضاي
لا يجري شرحها في مضمار مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيفائها
واستقصائها مخافة الاطالة والاطناب كان آخرها انه قتل بباب أصفهان بعد ثقلبه

في يد الاقدار في أطوار الزمان وفي ظهور سبعة آلاف متفقين على ثلاثين ألفا
مختلفين أقوى دليل على أن الاتفاق ناصر لا يخذل والاختلاف خاذل لا ينصر وان
طالب الموافقة أبدا لا يعذل وطالب المخالفة أبدا لا يعذر* (زيادة ايضاح وبيان
وافادة ملح حسان)* مما يشنف الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن
مشور الفضل المرهوب أن نور التألف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب ويكون ستر
من هجوم الحوادث وسدا في وجه الخطوب وقديما شبت نار العداوة في القبائل
والفصائل فأحرقت وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت
فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففرت وضرقت وأسليت عليهم سيول الشكنا فلمعت
بروقها بالتقابل والتقاتل قتالقت فهبت عليها رياح التألف فأطفأت ضرامها
وصرفت غرامها وشفقت سقامها ونفت عنها ملامها وآلامها فتبدلوا بالاساءة
احسانا وبالمخالفة أمانا وبالمنافرة اذعانا وبالنقيصة رجحانا فعادوا بعد التباين
صنوانا وأصبحوا بنعمة الله اخوانا ومن ارتاب في صواب هذه المقالة ورغب في
اجتناء جنا هذه الحالة وأحب أن يسمع شرح حقيقتها بلسان الدلالة فلينظر في
سير السلف الغابرين ويعتبر برأحوال الغائبين والحاضرين ومآل الواردين
والصادرين يجد في وقائعهم أنجح سبيل وأنجح دليل لاسيما في أظهر الوقائع شئنا
وأكبرها اعتبارا وأعظمها اعتوا واقنارا وأقدمها تنازعا ونفارا وادومها علوا
واستبكارا حتى بلغ الشيطان بهم ومنهم أغراضا وأوطارا وأثار باثارة الفتن
والاحن بينهم أحقادا وأوتارا وأوقد من شواطئ حرمهم المدارة عليهم نارا الى
أن نظمهم الاتفاق في سلك التساعد والتعاوض اعلانا واسرارا فأصارهم ذلك
التألف لله ولرسوله أعوانا وأنصارا وهي قضية الاوس والخزرج* (وتلخيص
كنها)* بحذف اسنادها وشرح ما أتبعه الائتلاف من صلاحها بعدما أطلع به
الاختلاف من فسادها أن هاتين القيلتين قبيلة الاوس والخزرج كانت سوق
الحرب بينهما جامعة لا تشاب بكسادها وبروق الصوارم فيها لامعة لا تحجب
بأغنادها ودماؤها في لوايح الاسنة كحمر العصائب على رؤس معادها ووحوش
الدق وطيور الجوق تتبعها الاعتقادها انها كفلاء أقوات الاعيادها تناول ذلك من
جثث أجسادها ودام هذا التقابل والتقاتل بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار
أثر في وجه الدهر وخبر الى يوم الحشر ولم يسمع يقوم بينهم ما كان بين هؤلاء من

قصة الاوس
والخزرج

الضعف والوثر حتى أزال الله عنهم ذلك ونسخ تلك الأحقاد وذلك العناد منهم وكان
سبب تألفهم وارتفاع عداوتهم أن سويد بن الصامت قدم مكة حرسها الله تعالى
وكان رجلا شريفا في قومه شاعرا جلد ايسميه قومه الكامل لاجل ذلك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وأمر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى
سمع بسويد فتصدى له ودعاه الى الله سبحانه والاسلام فقال له سويد فلعل الذي
معلت مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فعلت قال حكمة
لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان
هذا لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا كلام أنزله الله عز وجل على نورا
وهدي فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الله عز وجل
والاسلام فلم يبعد عنه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم سويد المدينة
فلم يلبث أن قتله الخزرج في حربهم يوم بعاث وكان رجال من قومه يقولون اننا لئرا
قتل مسلما ثم قدم أنس بن رافع ومعه قتيبة من بني عبد الاشهل فيهم اياس ابن معاذ
الى مكة يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا وما ذاك
قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم أن لا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب ثم
ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم
والله هذا خير مما جئتم له فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه
اياس بن معاذ فقال دعنا منك فلقد جئنا لغيره هذا فصمت اياس وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس
والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحكة في الموسم كل من تهيئه من قبائل العرب يعرض عليه نفسه ويدعوه الى الله
سبحانه فبينما هو عند العقبة في الموسم اذ لقي رهطاً من الخزرج قال أمن موالي يهود
قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله
تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله تعالى أن يهود
كانوا معهم بيلاذهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكان هؤلاء أهل أوثان وشرك فكانوا
إذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا سبعوثا الآن قد أطل زمانه تتبعه ونقتلكم معه
فتلته فادوارم فلما كام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك التفرود دعاهم

الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا
يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا ان اتركنا قومنا ولا قوم بينهم من
العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجتمع بينهم بك وستقدم عليهم وتدعوهم الى
أمرك فان يجتمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعواهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار
من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام
المقبل وفي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج أسعد بن
زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة
ابن الصامت ويزيد بن خارجة وعبادة بن عامر وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر
ورجلان من الاوس ابوا لهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة فلقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيعة النساء أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يزونا الى آخر الآية المعروفة ببيعة
النساء في سورة الممتحنة ثم قال لهم ان وفيتم فلکم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك
فأخذتم بحدة في الدنيا فهو ك كفارة له وان ستر عليكم فأمركم الى الله ان شاء
عذبكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل أن يفرض عليه الجهاد فلما انصرف
القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم وأمره
أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان مصعب يسمى في المدينة المقرئ
وكان أول مقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد بن زرارة بن مسعود المذکور أولا
فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا
دارنا ليسفها ضعفاء نأفازجرهما فان أسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد
ابن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهم ما من بنى عبد الاشهل وكلاهما مشركان
فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى أسعد ومصعب وهما جالسان فى حائط
فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومك قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب
ان يجلس أكله قال فوقف عليه ما مشتقا فقال ما جاء بكما انسا تسفها نضعفانا
اعتزلا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا
قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلما

مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قال والله لقد عرفنا في وجهه الاسلام قبل
أن يتكلم في اشراقه وتسبله فقال ما أحسن هذا وأجله كيف تصنعون اذا
أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا له تغتسل وتطهر بثوبك وتشهد بشهادة الحق ثم
قام وركع ركعتين ثم قال لهم ما ان ورائي رجلا ان اتبعكم لم يختلف عنكم أحد من
قومه وسأرسله اليكم الآن فقام أسيد بن حضير ثم أخذ حريته وانصرف الى سعد
وقومه وهم جلوس فلما نظروا اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم
أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد
ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما وجدت بهما بأسا وقد غيبتهم فقالا لنفعل
ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم
عرفوا انه ابن خالتك ليخفروا فقام سعد مغاضبا مبادرا فأخذ الحربة منه وقال
والله ما أراك أغيت شيئا فجاههما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما
أراد أن يسمع منهم ما فوقف عليهم ما متشمتا ثم قال لا سعد بن زرارة أبا امامة لولا
ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني تغشانا في ديارنا بما نكره وقد قال
أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالك ذلك منهم أحد فقال له مصعب
أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك قال سعد
أنصفت ثم ركز حريته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالوا
فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسبله ثم قال كيف
تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالوا تغتسل وتطهر بثيابك ثم تشهد بشهادة
الحق وتصلى ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر بثوبيه وشهد بشهادة الحق وركع
ركعتين ثم أخذ حريته وأقبل عائدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآوه
مقبلا قالوا انقسم بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف عليهم قال يابني عبد الاشهل كيف تعملون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا
رأيا وأتمنا عقلا فقال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى يؤمنوا بالله
ورسوله قال فما أمسى في دار من دور بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما
أو مسلمة ورجع مصعب وأسعد بن زرارة الى منزل سعد فأقاما يدعوان الناس
الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال مسلمون خلا نفر ايسر
تأخروا ثم أسلموا ثم ان مصعبا رجع الى مكة ومعه سبعون رجلا مع حجاج من قومه

من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة
من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان شهد
ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام بن جابر أخبرنا وكنا نكتم من معنا من المشركين
من قومنا أمرنا وقلنا يا جابر نراك سيدا من ساداتنا وشريفا من أشرافنا
وانا نرغب بك عما أنت فيه ان تكون غدا خطيبا للنار ودعونا الى الاسلام فأسلم
وأخبرناه بجميعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا من
القباء فبينا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا
لما يعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسللنا مستخفين تسال القطا حتى اذا اجتمعنا
في الشعب ينتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد
المطلب عمه وهو يومئذ على دين قومه غير انه أحب أن يحضر مع ابن أخيه ويتوثق
له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج
وكانت العرب انما تسمى هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان
محمد امنا حيث علمتم وتدنينا من قومنا من هو على مثل رأينا وهو في عز من
قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللعوق بكم فان كنتم ترون
انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوذ من خالفه فأنتم وما تحملمتم من ذلك
وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه
في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذرك ولنفسك
ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل
ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم
فأخذ البراء بن معرور يده وقال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما تمنع منه أزونا
فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أهل الحرب ونحن أهل الخلافة ورثناها
كأبرار عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبو الهيثم بن التهمان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعنى العهود
ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أعظمرك الله أن ترجع الى قومك
وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الدم الدم والهدم الهدم أنتم منى
وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقد قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أخرجوا إلى من بينكم اثني عشر نقيا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس
كفلاء على قومهم بما فهم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم فأخرجنا اثني عشر
نقيا وقال العباس بن عباد الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون
هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الابيض والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت
أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا
والآخرة وان كنتم ترون انهم وافون له بما دعوتوه اليه على نهكة الأموال
وقتل الاشراف نخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذ به على مصيبة
الأموال وقتل الاولاد والاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفيما قال الجنة
قال ابط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع
القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة
بأنفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الجبا جب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا
على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله ساء ما رأى منكم
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع أي عدو الله والله لا فرغ لك ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى رجالكم فقال سعد بن عبادة والذي
بعثك بالحق نبيا لن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رجالكم قال فرجعنا الى
مضاجعنا فقمنا عامها حتى اذا أصبحنا غدت علينا أجلة قريش فجأوا فقالوا يا معشر
الخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه
على حربنا والله ما من حتى من العرب أبغض اليها ان ينشب الحرب
بيننا وبينهم منكم قال فانبعث هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما هذا من
شيء وما علمناه وصدقوا فانهم لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار
الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموا أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا
فأذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا وجارا ومنزلا وبلدا تأمنون به فأمرهم
بالهجرة الى المدينة والحق باخوانهم من الانصار فأخذوا في الهجرة الى
المدينة وتبايعوا اليها وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له
في الهجرة الى أن أذن الله تعالى له فقدم المدينة وأقام فجمع الله تعالى أهل المدينة

أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم ورفع من بينهم
العداوة والبغضاء ونسخ من صدورهم الاحن والشحناء فذلك قوله جل وعلا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء معناه بامعشر الانصار اذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وفي هذه القصة مقنع وبلاغ عن الطالة
بذكر غيرها من وقائع العالم وحوادث الايام

(خاتمة لهذا الباب) مما قيل في الاتفاق من الحکم وما ورد فيه من جواهر
الكلم (منها) اتفاق الايدي سلاح عبيد وعون حاضر وقوة تصول بها النفوس
على المخالف لها (ومنها) عليكم بالاتفاق والتعااض فان العز والانتصار
مع الاتحاد والاجتماع واجتنبوا الخلاف والتباين فان الذل والخذلان في التنازع
والافتراق (ومنها) كم من قوم عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا اسلبوا
عزهم ووهى ركنهم وكل حذهم وذاقوا وبال امرهم

(الباب السابع في مدح الوفاء وذم الغدر)

ان أرى حج دليل يتمسك الانسان به لبتغاه وأوضح سبيل يهدي سالكه الى بلوغ مناه
كتاب الله الذي من تمسك به هداة ومن استدل به أرشده هداة وقد دل بمنطوقه
أن الوفاء يجب على كل عاقل أن يرعاه ويحرم عليه أن ينقض عهده وينقض عراه
فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا وبعهد الله أوفوا
وقال تقيس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال علا وتقدس اسمه
وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدتوا كيدها وقال تعالى
وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا فهذه الآيات مع اختلاف محالها وتعدد
أسباب انزالها متفقة على وجوب الوفاء بالعهود والتمسك بحبالها والتجنب مهما
امكن من نقضها وابطالها ولو لم يكن في الوفاء فضيلة الا أن المتصف به يعد في
زمره الصادقين وينزه نفسه عن التحلي بسمه المنافقين فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما سئل عن صفات المنافق قال اذا عاهد غدر فالوفاء من شيم النفوس
الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبها في العيون وتصدق
فيه خطرات الظنون ويحل بين الناس في رتب أهل الكرامة ويحل أن يقارن
مواقف الندامة وأن ينصب له لواء الغدر يوم القيامة ومن نظربعين الاعتبار
وأبصر بنور الاستبصار وأصاخ سمعا الى ما ورد من الاخبار عن السلف

الاخيار وجد ملابس الحامد والثناء مغاضة على من سلك سبيل الوفاء ورأى
ذكرهم مخلد في الاحياء بعد ركوهم مطايا الفناء والعفاء * وقد نقل فيه من عجائب
الوقائع وغرائب البدائع ما قرع أبواب المسامع وتحقق به كل سامع أن الوفاء في
اكتساب المسكارم من أنفع الوسائل وأنجع الذرائع كقصة الطائي وشريك نديم
النعمان بن النذر وتلخيص معناه أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم يؤس
من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا
الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره وأبلاه القدر من قرب عسره
وبعديسه بما أنساه جميل صبره وأغراه بشكوى ضربه هذا الى اطفال وعيال
صحبهم من القلة سقم وجباههم عليهم من أثر الطوى أقيج وسم وقدودهم
كالقسي من الضعف وماله في شبعة سهم ولا فيما يستدبه الاجوفان قسم ولا قسم
فأحوجته الحاجة الى مزيلة قراره وأخرجته الفاقة من محل استقراره فخرج
يرتاد نجعة لصغاره ويحاول محادب ودرج شبعة يخدمهم من الجوع شعله ناره *
فبينما هو في اضطراب تطوافه واغتراب مرتبع الانتجاع ومصطافه وقد فتح له
من القوت ما هو حامله في جرابه على أكافه اذا وقع القدر في شرك النعمان في يوم
اهلا كه من رآه واتلافه فلما بصربه الطائي علم أنه مقتول وان دمه لمطلول فقال
حيا الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهي في طلب هذه
البلغة الحقيمة لهم واعلم أن سوء الحظ أقدمني على الملك في هذا اليوم العبوس
وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت
الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل اليهم
هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا وعلى عهد الله
أنى اذا أوصيت بهم أرجع الى الملك مساء وأسلم نفسي بين يديه انفاذا أمره فلما
سمع النعمان صورة مقالهم وحقيقة حاله ورأى تلهفه من ضياع اطفاله رقه
فقال لا آذن لك الا أن يضمنك رجل معنفا فلم ترجع قتلناه وشريك بن عدي بن
شرحيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

يا شريك ابن عدي * ما من الموت انهرامى
بل لا لطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام

يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي * بضمان والتزام
و لك الله بآني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي اصليح الله الملك على ضمانه فقرأ الطائي مسرعا والنعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولي ولم يرجع وشريك يقول ليس للبلغ على سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك ممثلا فيبينهم كذا وكذا اذا الطائي قد أقبل يستند في عده ومسرعا فقدم وقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي فعدوت ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منك أما أنت يا طائي فإتركت لا حدة في الوفاء مقام يقوم فيه ولا ذكرا يفخر به وأما أنت يا شريك فإتركت لكريم سماحة يدك بها في الكرماء فلا أكون أنا الأعم الثلاثة ألا واني قد رفعت يوم يؤسى عن الناس ونقضت يوم عادت كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي

ولقد دعيتي للخلاف عشيري * فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ معني الوفاء خليقة * وفعال كل مهذب مفضل

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه تلف نفسك قال ديني فمن لا دين له لا وفاء له فأحسن اليه النعمان ووصله وأعاده الى أهله * تنبيه يفي لذي الوفاء بغرضه ويكفي عمله به في القيام بمقتضيه ويشفي قواده باستعماله من بقايا مرضه فيل في قلائد المحامد المنظومة في أجياد الاجواد وفرائد الفوائد الموسومة بانتقاد النقاد أن صفة الارتداء برداء الوفاء واقية باقية على الآباد وحسنة مستحسنة الآماد بلا فناء ولا نفاذ وطريقة هادية الى ادراك كل مرام ونيل كل مراد وجنة مجنة من الاتصاف بأحد القبيحين ام بدناءة الهمة واما بفساد الاعتقاد وسجية التسميل الى صاحبها قلوب العباد بالوداد وتستنطق له أرباب الفصاحة واللسن بالاحماد وقد تبلى فجر الاسناد الى السلف فأسفر وتأرجح زهر النفل الى الخلف فعطر بورود ما قدر قم القلم وسطر وتحقيق ما شرح من ذلك وذكرا خط وزبر * أن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل

مكبل بالحديد فقال لي يا عباس خذ هذا اليك واسـتوثق منه واحفظه ولا يفـتـك
وبكر به الى واحذر عليه كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر
أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من
الاحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معي في بيتي فلما تركوه في مجلس لي في داري
أخذت أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله
دمشق وأهلها خيراً فن أنت من أهلها قال لا تريد أن تسألني فقلت له أتعرف فلانا
فقال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت كانت لي معه قصة قال ما أنا بمن يعرفك
خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فشغب
أهلها وخرجوا علينا حتى أت الوالى تدلى في زنبيل من قصر حجاج وهرب هو
وأصحابه وهربت في الجملة فاني في بعض الدروب اذا أنا بناس يعدون خلفي فازلت
أعدواقدامهم وفهم فررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره
فقلت أغثنى أغاثك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت امرأته
ادخل الجملة فدخلتها وثبت الرجل على باب الدار فاشعرت الابه وقد دخل الرجال
معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوا الدار حتى لم يبق سوى الجملة
وامرأته فهم اققالواهاها ففصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل
فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف في الجملة خائف فقالت المرأة اجلس
لا بأس عليك جلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك
شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزا الله خيراً ثم ما زال
يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها يطعمني معه وأفر دلى مكانا من داره ولم يحوجني
الى شئ وما تغير عن تفقد حالى فدمت عنده في أتم عيشة أربعة أشهر لا أظهر
الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال شرها وأثرها فقلت له تأذن لي في
الخروج حتى أتعرف بغيري فلعلني أقف منهم على خبر أولهم على أثر فأخذ على
المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمان فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه
وأعلمته الخبر وهو مع ذلك لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني إلا بالكنية
فقال لي علام تعزم فقلت قد هزمت على الشيوخ الى بغداد فان القافلة
بعد ثلاثة أيام تخرج وقد تفضلت هذه المدة ولك على عهد الله أنى لا أنسى
لك هذه اليد على ولا كافئتكم بها ما استطعت وأسألك أن تتم فعلك بأن

تعطيني ما أنفقته الى بغداد وألبسه الى أن أصل الى موضعي فقال يصنع الله خيرا
ثم قال لغلام له أسود انقل الفرس الفلاني وتقدم الى من في داره باعدا سفره
فقلت في نفسي ما أشك انه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فوقعوا يومهم
ذلك الى غدي كدتو تعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال يا فلان قم
فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي ها أعطاني وما وثق
بي ثم قلت فاذا هو وامر أنه يحملان لي خفين جديدين ورائات معولة وآلات السفر ثم
جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطى ثم تقدم بغلا يحمل عليه صندوقين
وفوقهما مفرش ودفع الى نسخة ما في الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم وقدم
الى الفرس الذي أنعله بسرجه ولجامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك
ويسوق خيلك وأقبل هو وامر أنه يعتذر ان من التقصير في أمري وركب معي من
يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لاني في بعدي له في مجازاته ومكافاته
وتواصلت خدمة باب أمير المؤمنين وأسفاره فلم أتفرغ لكثرة التنقل مع أمير
المؤمنين من مكان الى مكان فلما هذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد
أمكنتك الله تعالى من الوفاء له ومجازاته على فعله ومكافاته بصنعه بلا كافة عليك
ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير
عليك ما عرفت مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الى حتى أثبت
معرفة فإتاما لك أن قت وقبلت رأسه وقلت له فما الذي أصرارك الى ما أرى
فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت الى وبعث أمير
المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت وضربت الى أن أشرفت على الموت
وقيدت وبعثني الى أمير المؤمنين وأمري عنده غليظ وهو قاتلي لا محالة وقد
أخرجت من أهلي بلا وصية وقد تبغني من غلمان من ينصرف الى أهلي بخبري وهو
نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن تبعث تحضره لي حتى
أوصيه بما أريده وأتقدم اليه بما يكون وصية مني لأهلي فان فعلت ذلك فقد جاوزت
حد المكافأة وقت يوفائك بهذا فقال العباس يصنع الله خيرا ثم أحضر حذاداني
الليل وأمره فخل قيوده وأزال ما كان عليه من أنواع الانسكال وأدخله الى الحمام
وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ثم سير وأحضر غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه
فاستدعى العباس نائبه وقال على بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني

والبغلة الفلانية حتى عده عشرة ثم من الصناديق عشرة والنكسوة كذا وكذا ومن
الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه
خمس آلاف دينار وقال لنا ثبته في الشرطة بين يديه خذوه واعبروا إلى حد الانبار
فقلت له ان امرى عظيم وذنبى عند أمير المؤمنين غليظ وان أنت احتججت بأنى
هربت بعث أمير المؤمنين في طلبى كل من في بابه فأرد وأقتل فقال لى انج بنفسك
ودعنى أدير امرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان
احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب امره ان كان الامر على ما يقول
فليكن في موضع كذا فان أنا سلت في غداة غد أعلمه وان أنا قتلت كنت قد وقته
بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله ما قيمته درهم وتجتهد في
إخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصبرنى في مكان أثق به
وتفرغ العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتسكن قال العباس فلم أفرغ من صلاة
الصبح الا ورسل المأمون في طلبى يقولون أمير المؤمنين يقول لك هات الرجل معك
وقم قال فأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس وعليه ثيابه امام فراشه فقال أين
الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال أعطى الله
عهدا لئن ذكرت أنه هرب لا ضرب بن عنقك فقلت يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن
اسمع حديثى وحديثه ثم انت أعلم وما تفعله فى امرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين
كان من حديثى معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أنى أريد أن
أفنى له وأكافئه على ما فعل معى وأعبر به الى جهة الانبار وقلت أنا وسيدى أمير
المؤمنين بين امرين اما أن يصفح عني فأكون قد وفيت وكافيت ووقته بنفسى كما
وقانى بنفسه واما أن يقتلنى فقد تحنطت وها كفى فلما سمع المأمون الحديث قال
ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد
المعرفة والعهد بهذا لا غير ألا عرفتني خبره فسكنا تكافئه عنك ولا تقصر في وفائك
له فقلت يا أمير المؤمنين انه هاهنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتج
الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه حتى
تطيب نفسه وتسكن روعه وتعبر به الى حتى أتولى مكافأته فصرت اليه وقلت له
لنزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كبت وكبت فقال الحمد لله الذى لا يحمده على
السر والضرر اسواه ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما ملئ بين يدي أمير

نادرة

المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحده حتى حضر الغداء فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسر وجها ولجها وعشرة أبغال بالآتماء وعشر بدر وعشر نخوت وعشر مماليك بدوابهم وكتب إلى العامل بدمشق بالوصية به وأطلق خراجهم وأمره بمكاتبة بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد فيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك (تقريري بيان وتقرير برهان) كان الخليفة المأمون المقدم ذكره قد ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه فدخل على المأمون يوما بعض اخوته فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب وهو مع العلويين وكذا كان أبوه قبله فحصل عند المأمون من كلام أخيه شيء من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا ووضعه في زى النسك الزهاد العراة ودسه إلى عبد الله بن طاهر وقال تمضي إلى مصر وتخالط جماعة من الكبراء في السر وتستميلهم إلى القاسم بن محمد بن طباطبا العلوي وتذكر مناقبه ثم بعد ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بعد ذلك وادعه إلى القاسم بن محمد العلوي واكشف باطنه وابحث عن دفين نيتته واثنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه إلى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة إلى عبد الله ابن طاهر ودفعها إليه وقت ركوبه فلما انصرف الناس خرج الحاجب إليه فأدخله عليه وهو قاعد وحده فقال له قد فهمت ما قصدته فهات ما عندك قال ولي الأمان وثقة الله تعالى قال نعم لك ذلك فأظهر ما أراد ودعا إلى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أتصفني قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فتجيء إلى وأنا في هذه الحال التي تراها إلى خاتم في الشرق وخاتم في الغرب وما بينهما ما أمرى مطاع وقولي مقبول ثم اني ألتفت عن يميني وشمالى فأجد نعمة هذا الرجل غامرة لي قد ختم بها رقبتي فتدعوني إلى الكفر بهم هذه النعمة وتقول لي اغدر وجانب الوفاء والله لودعوتني إلى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف إلا على نفسك فأرحل من هذا البلد فلما أيسر الرجل وكشف باطنه وسمع كلامه جاء إلى المأمون فأخبره صورة الحال فسر ذلك وأردف احسانه

اليه وضاعف انعامه عليه وفي هذه القضية بيان شاف وبرهان كاف في أن
الوفاء بحسن السمعة ويؤمن الصرعة (تأكيد ايضاح وتجديد افتتاح) مما بعد
من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويبحث على الوفاء بالعهود والذم
مارواه حمزة بن الحسين الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطقي كآجلوسا
عند كافر الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة
والمكنة ونفاذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكرا ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت
المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال
امضوا الى عقبة التجارين واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك
فان كان حيا فاحضروه وان كان توفي اسألوا عن أولاده واكشفوا أمره قال
فخصينا الى هناك وسألنا عنه وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين احدهما
مزوجة والاخرى عاتق فعادنا الى كافر وأخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى
لكل واحدة منهم مادارا وأعطى لكل واحدة منهم مائتي بابل وكسوة وذهبا
كثيرا وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأشهرأتهما
من المتعلقةين به لرعاية أموره ما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعاون سبب
هذا قلنا لا نعلم فقال اعلوا أنى مررت يوما بالدهم ما المنجم وأنا في ملك ابن عباس
الكتاب بحالة الرثة فوقف عليه فنظر الى واستجلسني وقال أنت تصير الى رجل
جليل وتبلغ معه مبلغا كبيرا وتسال خيرا كثيرا وطلب مني شيئا فأعطيته درهمين
كلنا مهي ولم يكن مهي غيره ما فرمى به ما وقال أبشركم بهذه البشارة وتعطيني
درهمين ثم قال وأز يدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذ كرنى
اذا ما صرت الى ما وعدتك به ولا تنسني فبذلت له ذلك وقلت نعم فقال عاهدنى
انك تبنى لى ولا يشغلك الملك عن اقتقادى فعاهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم انى شغلت
عنه بما تجددلى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما
أكلنا اليوم ونمت رأيت فى المنام قد دخل على وقال أين الوفاء بعهدك واتمام
وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم فتمت هذه القضية بمصر
واشتهر احسانه الى بنات المنجم لوفائه لوالدهما فتضاعف الدعاء له والثناء
عليه (تنبيه واستبصار وتذكير واعتبار) الوفاء للكريم شعار ولصاحبه
فى مقام الاقتحار اشتهار والغدر بان اعتمده عار وشنار ونقض العهد عاقبة نار

جوهرة

وبوار ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق. وضربت به الامثال في الوفاء بالاتفاق (حديث السموأل ابن عادي) وتلخيص معناه ان امرء القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا تساوى جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس سير ملك كندة يطلب الدروع والسلاح المودع من السموأل فقال السموأل لا أدفعه الا الى مستحقه وأبى أن يدفع اليه منه شيئا فعاوده فأبى وقال لا أغدر بدنتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب علي فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر ذلك الملك به فأخذه أسيرا فلما جد في الحصار وطاف حول الحصن صاح بالسموأل فلما أشرف عليه من أعلا الحصن قال له ان ولدك قد أسرته وهما هو معي فان سلمت الي الدروع والسلاح الذي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدا وان امتنعت وأصررت على اباتك ذبحت ولدا هذا فاخترتهما ماشئت فقال السموأل ما كنت لا خفر ذماي وأبطل وفائي فاصنع ماشئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال بالوفاء تضرب بالسموأل واذا مدح أهل الذمام بين الانام ذكر السموأل في الاول (وقد قيل) رب تغادر لم يظفر فيما غدر فيه بدله الغادر وضائق عليه من موارد الهلكة فسحجات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه خطة خسف وورطة خفف فحاله من قوة ولا ناصر ويشهد لهذه الاسباب ويحكم بها عند أولى الالباب ويمنع منها وقوع محذور الاختلاف والاضطراب المجتنب من هذا الباب (قضية ثعلبية) بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما فقال يا رسول الله ادع لي أن يرزقني الله مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك

غريبة

في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً
وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا والذي
بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله على ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فممت
كما ينبغي الدود فضاقت عليه المدينة فتخلى عنها ونزل وادي من أوديتها وهي
تنحى كما ينبغي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر
ولا يصلي باقي الصلوات إلا في غنمه فكثرت وغمت حتى بعدت عن المدينة فصار
لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت أيضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان
يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما لا يسعها واد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلين رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لهما
أسباب الصدقة كيف يأخذانها وقال لهما ما ترا ثعلبة بن حاطب ورجل آخر
من بني سليم فخذوا صدقاتهم ما نخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الجزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا
حتى تفرغتما ثم عودا إلى ما نطلقا وسمع بهما السلي فنظرا إلى خييار أسنان ابله
فعرلها للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياها قال ما هذا قال خذاه فان نفسي به
طسة ففراهما إلى الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما
فقرأه ثم قال ما هذه الجزية ما هذه إلا أخت الجزية اذهب حتى أرى رأيي قال
فأقبلا فلما رأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتكهما قال يا ويح ثعلبة
فأنزل الله عز وجل قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوأه وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في
قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله
يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله
عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن
يقبل منه صدقة فقال إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة ففعل ثعلبة يحيى

التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك
فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى إلى أبي بكر رضي الله عنه
حين استخلف فقال قد علمت منزاتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضهي من
الأنصار فاقبل مني صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله
عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم لما ولي عمر
رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها وقبض عمر ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي
الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان فهذا الخيصر قضيته بنفسها
وشرح زبدها بنصها فانظر إلى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه
بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأى خزي أريج
من ترك الوفاء بالميثاق وأى سوء أفحج من غدر يسوق إلى النفاق وأى عار أفضح
من نقض العهد اذا عدت مكارم الاخلاق * (افادة تهذيب وزيادة تقريب) *
كم أعلى الوفاء رتبة من اعتلق بيديه وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق
الافواه لفاعله بإشياء عليه واستطلق الأيدي المقبوضة عنها بالاحسان إليه فاه
بلغ من وافدات المجالس ونادرات المجالس وواردات الموانس وخادرات
العرائس وسافرات العوايس * (ان الخليفة) * المنصور كان متطلعا إلى
الاحاطة بأمور الناس عموما وإلى معرفة أحوال بني أمية خصوصا فبلغه أن من
مشايخ أهل الشام شيخا معروفا وكان بطانة لهشام بن عبد الملك ابن مروان
فأرسل إليه المنصور وأحضره بين يديه وسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج
فوصف له الشيخ ما دبر وقال فعل رحمه الله كذا وكذا ودبر كذا وكذا فقال له
المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال الرجل وهو مول
يريد الخروج ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسل فلما سمعه المنصور
قال ردوه فلما رجع قال يا أمير المؤمنين ان أكثر الناس أوثما من لم يجعل دعاءه لمن
أحسن إليه وثناء عليه وحمده لمعروفه عنده وفاء له ولو أمكنني القدر وأقدرني
القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لوجدني أمير المؤمنين وافيًا له به فقال له

المنصور ارجع يا شيخ الى تمام حديثك أشهد أنك غيض حرو وولد رشدة ثم أقبل
المنصور على حديثه الى أن فرغ فدعا المنصور رجلا وكسوة وقال خذ
هذه الصلة منالاً فأخذ ذلك وقال والله يا أمير المؤمنين ما بي من حاجة ولقد مات عني
من كنت في ذلك فإكره فإخرجني الى وقوفي على باب أحد بعده ولولا جلالة أمير
المؤمنين ولزوم طاعته وإيثارى أمره لما لبست نعمة أحد بعده فقال المنصور لله
أنت لولم يكن لقومك غيرك لساكنت أبقى لهم ذكرا محمداً ومحمداً باقياً بوقائك لمن
أحسن اليك ثم أوصى المنصور برعاية أموره وقضاء حوائجه وصار يذكرك في خلواته
ويستحسن ما صدر منه * (ومما أجنه بطون الدفاتر) * واستحسنته عيون البصائر
ونقلته الأصاغر عن الأكابر وتداولته اللسان من الأوائل والأواخر وعدت من
جواهر الجواهر وصور المصاوير ونوادر النوادر ما رواه خادم أمير المؤمنين
المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا
وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخري نزار الخادم واذهب مسرعاً
أقوله لك فإن أصحاب الأخبار قد أكثروا في أن شيخنا يحضر ليلاً إلى آثار ماكن
البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكراً جميلاً ويندبهم ويكي عليهم ثم ينصرف فامض
الآن أنت وعلى ودينار حتى تر واهذه الخرابات فاستتر واخلف جدار من هذه
الجدران فإذا رأيت الشيخ قد جاء وبكى ونذب وأنشد شيئاً فأتوني به قال فأخذتم ما
ومضينا حتى وردنا الخرابات وإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد وإذا
شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وصلف فجلس يبكي ويتعجب ويقول

ولما رأيت السيف جليل جعفر * ونادى مناد للخليفة في يحيي

بكيت على الدنيا وأيقنت أنه * قصارى الفتى يوم مفارقة الدنيا

أجعفران تملك قرب هزيمة * كشفت ونهى قد وصلت بها نهي

مع آيات رذدها وأطالها قال فتراءى له لما فرغ وقبضناه فخرع وفرع وقال من
أنتم قال فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تريدون مني
قال فأعلمته ما أمر به أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه فقال ذرني أوص وصية فاني
لا آمن العطب ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح ودفع خاتمه وأخذ ورقة
وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم مر نابه فلما دخل الى المجلس ومثل بين يدي
أمير المؤمنين زبره وقال له من أنت وبماذا استوجب منك البرامكة أن تفعل في

تأدرة

خراب دورهم ما تفعله قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين للبرامكة
عندي أباد خضرة أفتأذن لي أن أحدثك حالي معهم قال قل قال أنا يا أمير المؤمنين
المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك فزالت عني نهتي كما تزول عن الرجال فلما ركبتني
الديون واحتجت إلى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج إلى
البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبياء وهبيية وليس معنا
ما يباع ولا مائزهن حتى دخلنا إلى بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد
فدعوت بشويات لي كنت قد أعدتها لاستمخجها الناس فلبستها وخرجت وتركهم
حياءا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فإذا أنا بمسجد
مزرخرف وفيه مائة رجل شيخ بأحسن زى وزينة وعلي الباب خادمان فطمعت
في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأوخر والعرق يسيل مني
لانهم لم تكن صناعتني وإذا بخادم قد أقبل فحدث الخادمين فدخلوا وأزعجوا القوم
فقاموا وأنا معهم فأدخلونا دار يحيى بن خالد فاذا يحيى جالس على دكة وسط
بستان فسلمنا وهو بعد ثمانية وواحد أو بين يدي يحيى عشرة من ولده وإذا غلام أمرد
حين عذر خذاه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه خدام مقرطقون في وسط كل
خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم محجرة من ذهب
في كل محجرة قطعة من عود كهية الفهر قد قرن به مثله من العنبر السلطاني
فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام إلى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم
وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا الخطب القاضي وزوج وشهدت أولئك
الجماعة وأقبلوا علينا بالشار بينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين
ملي كى ونظرت وإذا نحن في الدكة مابين المشايخ ويحيى وولده والغلام مائة واثنان
عشر رجلا نفرج مائة خادم واثنان عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها
ألف دينار شامية فوضع بين يدي كل رجل مناصينية فرأيت القاضي والمشايخ
يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاوّل فالأوّل
حتى بقيت بين يدي يحيى لا أجسر علي أخذ الصينية فغمرني الخادم فجسرت
وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقت فجعلت التفت
إلى ورائي مخافة أن أمنع من الذهب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى
يلحظني فقال للخادم اتنى بذلك الرجل فرددت إليه فأمر بسكب الدنانير والصينية

وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال عن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم أحضر موسى فأق به فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذ اليك واحفظه بنفسك وانجستك فقبض موسى على يدي وأخذني الى دار من دور فأكرمني وعاشرني يومي وليتني أكلا وشر بافلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل فلما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد ثم أزل في أيدي القوم يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبيان في الاموات هم أم في الاحياء فلما كان في اليوم العاشر دفعت الى يد الفضل فعطف علي وزاد في الكرامة فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد هلكت ثيابي وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع السترا لا أول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم السترا الآخر قال لي مه ما رأيت قد بقي من حوائجك فتقدم الي به فانا أمور بقضاء جميع ما تأمر به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا استقبلتني منها راحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصياني يتقلبون في الحرير والديباة واذا قد حمل الى ألف ألف درهم مبدرة وعشرة آلاف دينار وقبا لين بضيعتين وتلك الصينية التي خرجت معي فيها الدنانير والبنادق فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءت القوم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل قصدي عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وفاءهم علي احسانهم فقال المأمون علي بعروبن مسعدة فلما أتني به قال له يا عمر وأتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمت في ضيعته قال كذا وكذا فقال رد عليه كل ما استأديته منه في مدته وأجر واضيعته اه وان له ولعقبه من بعده فعلا نخيب الرجل وبكاؤه فلما طال قال له المأمون أحسنا اليك فم بك فقال يا أمير المؤمنين وهذا ايضا من صنيع البرامكة أرايتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خراباتهم فأبكمهم وأندبهم حتى اتصل

خبري بأمر المؤمنين ففعل ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين قال إبراهيم
ابن ميمون فمقدرايت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه خزنه على القوم
وقال هذا العجى من صنائع البرامكة فعلمهم فابكوا وياهم فاشكروا لهم فأوف
ولا حسانهم فاذكر وانجعل خاتمة هذا الباب من القضايا أجملها ختاماً وأجزها
كلاماً وأحرزها مراماً وأحسنها نظاماً وأبينها حكماً وأحكاماً وهي قضية جمعت
لأمرين وفاءً وغدراً وعرفاً ونكراً وخيراً وشرّاً ونفعاً وضرراً وإطلافاً وجرراً
واشتملت على حال شخصين وفي أحدهما بعهد ففاز ونجا وحاز من مقترحات
منه ما أقر ورجا واستنشق من نسيم الأسعاف بمغتاه نشرأ وأرجا وساعفه
التوفيق فعلم أن من يثق بالله يجعل له فرجاً ومخرجاً وغدراً لا خرفاً غري به غدره
من أعوان العطب همجاً وأخاضه من أبحر التلف والهلال ليلجأ ولم يجد له من
جزاء غدره إلى النجاة فرجاً * وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان
مطلعاً على أحمد بن طولون عارفاً بأموره عالماً بوردته وصدوره فقال ما معناه أن
أحمد كان يربى من يطرح على الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدبر عليهم النفقات
رغبة في الثواب وتقرباً إلى الله تعالى بهذه الأسباب فوجد عند سقايته عند
المعافر طفلاً مطروحاً فالتقطه ورباه وسماه باسمه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ
كان أكثر الناس ذكاءً وفطنة وأحسنهم رواءً وصورة فصار يرعاه ويعلمه وهو
يعرف بأحمد اليتيم فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش
خمارويه به فأخذ به فبعده موت ابن طولون أحضره الأمير أبو الجيش وقال له أنت
عندي بمكانة أركانها ولكن عادي أن آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء
من أموري أنه لا يخونني فعااهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد
اليتيم مستخوذاً على المهام حاكماً على جميع الخاشية الخاص والعام والأمير
أبو الجيش بن أحمد بن طولون يحسن إليه كلما رأى خدمته متصفة بالنصح
ومساعية متسمة بالنجح فركن إليه واعتمد في أسباب بيوته عليه فقال له يوماً
يا أحمد امض إلى الحجرة الفلانية في المجلس بحيث أجلس سبعة جوهر فجئ بها
فرضي أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الأمير وحضايها مع حدث من
الفراشين ممن هو من الأمير جعل قريب فلما رآها خرج الفتى فجاءت الجارية إلى
أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون

الامير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السجدة وانصرف الى
 الامير وسلم اليه السجدة وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد لئلا يذكر حالها
 للامير فبقيت أياما ولم تجد من الامير ما تنسكه من اقباله ولا تظهر لها ما توهمته
 في أحمد من تسرعه في مقالته وانها حاله فاتفق ان الامير اشترى جارية
 وقدمها على حظاياه وغمرها بهطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض
 لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا
 مشغوبا بتلك الجارية الجائرة الخائنة الخائرة الغاشة الغادرة العائبة العاهرة
 الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجديدة المجيدة المسعدة السعيدة
 المودة المودودة الحامدة المحموده الوصيصة الموصوفة الليفة المألوفة الراشقة
 المرشوفة العارفة المعروفة وصرفت لبهجة محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة
 أترابها وشغلته بعذوبة رضائها عن ارتشاف ضرب أضرابها فهجر حظاياه
 مقاصيره واقتصر عليها في طویل تنعمه وقصيره وكانت تلك الاولة لحسنها متأمرة
 على تأميره مطرحة حكم أمره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها
 اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع أحمد اليتم اياه على ما كان منها فدخلت
 على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب مكرها وركبت وجهها في صورة
 خزن اقتادها بزمام فمكرها وأجهشت بالبكاء بين يديه لا تمام كيدها ونكرها
 وقالت ان أحمد اليتم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وهم
 في الحال بقتله ثم عاوده ما كتم عقله فتأني في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه
 وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقلت لك على لسانه املاء هذا
 الطبق مسكافا قتل ذلك الانسان واعمل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان
 الامير أبا الجيش جلس لشربه وحضر عنده ندماءؤه الخواص من شربه وأحمد
 اليتم واقف بين يديه آمنا في شربه جاريا على عادته في اجتناء جنى قربه لم يخطر
 بخاطره ولا تقلب في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به فلما ثل الامير وأخذ منه
 ما كان يتناوله قال له يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يملاء
 مسكافا خذ به أحمد اليتم ومضى واجتاز في مضيه بالغنين وباقي الندما
 والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم ساعة فقال أنا ماض في حاجة
 الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا أرسل من ينوب عنك في احضارها

وخذها وأدخلها الى الامير فأدار عنه فرآى الفتى الفراش الذى كان مع
الجارية فأعطاه الطبق وقال امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املا
مسكافضى ذلك الفراش الى الخادم وذكرك له ذلك فقتله وقطع رأسه وغسله
وجعله فى الطبق وغطاه وأقبل به فناء وله لاجد اليتيم وليس عنده علم من باطن
الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه
خبره مع الندماء وقعوده مع المغنين وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذه
الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم له غير ما ذكره قال أفترى لهذا الفراش
ذنباً يستوجب به ما قد جرى عليه فقال أيها الامير ان الذى تم عليه بما ارتكبه
من خيانتك وقد كنت رأيت الالهراض من اعلام الامير بذلك وأخذ أخذ
يحدثه بما شاهدته وما جرى له وحديث الجارية من أقوله الى آخره لما أنفضته
لاحضار السجدة فدعا الامير بتلك الجارية واستقررها فأقرت بهجته ماد كره
أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانته عنده وعلمت منزلته
لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به يديه ولم يجعل
لاحد من عظماء تلك الدولة حكماً يتسلط به عليه فانظر الى آثار الوفاء كيف تحمى
من المعاطب وتنجى من قبضة التلف بعد انتضاء القواضب ويفضى بصاحبه
الى ارتقاء غوارب المراتب ويقضى على مرير داه ببعيه الخائب وأمله
الكاذب وترمى شيطان حدسه ومقتل نفسه فى انتقام الله تعالى بشهاب قدره
الثاقب وسهم قضائه الصائب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر
وليس فى الحقيقة بعبده واطمع الله جل وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع
عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فكيف اذا كان العبد مع خالقه
ورازقه وافيا فى طاعته بعقده باذلا فى واجب عبادته واجتناب معصيته مستطاع
جهد فانه تعالى وتقدير يفيض عليه من الطافه مواهب بره ورفده ويمنحه
من رأفته ما يتعجل به انجاز وعده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا يحصى
له من بعده

(خاتمة لهذا الباب) فى الحسبكم المشورة فى الوفا والالفاظ المذكورة بين
اخوان الصفا (منها) الوفاء من كرم السجاياء والغدر من لؤم الطباع فمن عرف بالوفاء
خصته القلوب بصدق الوداد وكسته اللسان مطارف الاحقاد ومن عرف

بالغدر عومل بالقت والابعاد واتسم بأقبح السمات بين العباد (ومنها) من اتخذ
الوفاء شعاراً آمنه عقوبة الغادرين ومن ارتدى برداء الغدر أبقي له سوء ذكر
في الآخرين ومن عامل الناس بالوفاء قولاً وفعلًا فقد استخدم السنة الشاكرين
(ومنها) من غدر في عهده وأخلف في وعده وتقض عرى عقده فقد قضى
على نفسه بخسة أرومته وسوء عقيدته وقلة مروءته وترك له بين الناس ذكراً
قبيحاً وسمة سيئة وزهد الناس فيه ونفرت القلوب عنه

* (الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة) *

لما كانت اليقظة في الامور والمسارة الى احراز قصباتها والمسايرة الى نيل
المقاصد بآنها زفر صها قبل فواتها ومجانبة أسباب الغفلة والتحرز عن آفات
من أكل من أيا النفس المؤيدة وأحسن صفاتها أمر الله سبحانه وتعالى عباده
في السور المنزلة بحكم آياتها فقال جل وعلا تارة وسار عوا وتارة وسابقوا تنبها
على أن يقظة النفس ومبادرتها الى مصالحها من حسناتها وغفلتها وتوانها
عن واجب ذلك من شقاوتها وسيئاتها فمن سمت نفسه الى جسم رتب المعالي
وترامت همته الى استخدام بيض الايام وسود الالي الى وأحب انتظام الامور اليه
في سلك مطلوبه الدائم ومرغوبه المتوالي تسربل بلبس اليقظة المغيبة عن
استعمال قواضي القواضب وعوامل العوالي ليكشف له بها موارد الخط والخلل
ومقاصد أهل الزيف والزلل ويعلم المفسد من المصلح في القول والعمل فتكون لديه
عظام الامور وتعظم مهابة في الصدور ويتحاشى الناس أن يعاملوه بشئ من
المحذور والمحذور ومتى أثر على تعب التيقظ راحة الالهـ مال وركن الى دعة
التواني الداعية الى الاغفال وسكن في مساكن الغافلين عما يؤول اليه حال
المغترين بالحال في الاستقبال كان جديراً بانتفاض مبرم ما ركن اليه واعراض
الناس عنه بعد اقبالهم عليه ويؤول أمره الى ندامة بعض منها على يديه ويكفي
في نقيصة الغفلة وذم المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان كان
في أمر ملك أو دنيا خسر خسارة لا يجد على دفعها معينا وان كان في حال الآخرة
فقد خسر والله خسرنا مبينا وقد أنفذ الله عز وجل حكمته في ذلك وأبرمه وقصه
في كتابه العزيز الذي أنزله وأحكمه فقال عز من قائل في حق من سبق فضاؤه فهم
بدمارهم وجرى القلم في القدم به وارهم أولئك الذين طبع الله على قلوبهم

وسمعهـم وأبصارهم ثم صرح بخسارتهم معللة بغفلتهم فقال تعالى أو لئلك هم
 الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وكأأن الخسارة من لوازم الغفلة
 فكذا الربح من لوازم اليقظة ومن هذا قال أبو سعيد الحسن البصري التواني
 رأس خسران الدنيا والآخرة وقال عبد الله بن المقفع حفظت من الحكمة ما هو
 ضياء يهتدى المتسلك به نهب النجاة أن أعانتها العناية الإلهية بالتوفيق انتهر
 الفرصة فامها خلسة وتب عند رأس الأمر ولا تب عند آخره وإياك والعجز فانه
 أوضع مركب واحذر التواني فانه يجلب أنواعا من البلاء * (وقد قيل) * من
 افترع مطية اليقظة في جلباب العزم ووضعها وأدرع جنة الحزم التي مانها
 عنه ذود راية ولا خلعهـا وأحرز قصبات السبق في انتهاز القرص عند امكانها
 فجمعها وزخر عن المسارعة الى ارتياد المراد مواد الغفلة وقطعها كان جديرا
 بأن يحجب بمقترحات الاماني مجنونة له بزمامها وتجي اليه ثمرات المطالب مستخرجة
 من أكمامها وتذل لديه صعب الدول وجوامح أيامها ونحل له عقائل المعامل
 فيملكها بعد استعظامها هذا كسرى عظيم الفرس خص ببقاء الذكر واشتهار
 السمعة وانتشار الصيت واستقامة الحال وحراسة الملك وحفظ الرعايا وحماية
 البلاد وانقياد الناس له وميل القلوب بحبها اليه ومخافة الاعداء منه كل ذلك
 يسره الله تعالى بما ألهمه اياه من كمال التيقظ الذي لم يسبقه أحد بمثله ولم يلحقه
 غيره بما يقرب منه حتى نقل انه كان أشد الناس تطلعا الى خفايا الامور وأعظم
 خلق الله تعالى تفحصا وبحشا عن أسرار الصدور وكان يث العيون على الرعايا
 والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا
 فيعلم الفساد فيقابل به بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول ما معناه متى
 غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبتة
 ولا يأمن دخول خلل عليه في ملكه وانبسطت أيدي حاشيته وغاشيته باتباع
 هواها وتسلطت عمال أعماله على اقطاع أمواله وافنائها وصارت رعاياه فوضى
 لا ارتكابها نهب غلوائها فلا جرم علم كسرى أن سلوكه سبيل اليقظة يهدي الى
 الصلاح فسلح ملكه باتباعه وانتهاجه وفهم أن اقتراب التواني والغفلة ينتج الفساد
 فساد على العالم باجتنابه مخافة انتاجه وهكذا كل من اقتفى في اليقظة طريقة
 واثرة وارتقى في نهب معراجيه يأمن على نظام ملكه من اختلاله وعلى خلل حاله

من اعوجاجه * ومما أدركته أبصار البصائر وأهدته السنة الاوائل الى
 اسماع الاواخر وحملته بطون الدفاتر من نطف مياه المحابر أنه لم يكن في ملوك
 الامم ومقدمها من ملا قلوب رعاياه فرقا ووجلا وبسط في أيام ابائته لكل محق
 يؤمله أملا وضبط أقسام دولته بيقظته حتى أمن من جنده فشلا وفي ماله خيلا
 ونجح من المعاقلة ما صار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون رواده على
 عمال بلاده وأجلاد أجناده ليعلم أيهم أحسن عملا * (مثل ازدشير) * ابن بابك
 ابن ساسان من ملوك الاعاجم قبل الاسلام ومثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 أما ازدشير بن بابك فانه مدة ملكه وأيام دولته وهي أربع عشرة سنة وعشرة أشهر
 أظهر من آثار يقظته ما هو مذكور في سيرته ومشهور بين الاعاجم مفصلا ومجمله
 * (وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) * رضي الله عنه فانه بذل جهده في تسديد
 الامور وسد الثغور وسياسة الجهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التي فيها
 شفاء لما في الصدور حتى قيل ان علمه كان بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات
 معه على مهاده فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من
 النواحي والاعمال ولا أمير الا وله عين عليه لا يفارقه فكانت اخبار الجهات
 كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم في أقرب الخلق اليه
 وأخصهم به أنه عين عليه فساس سياسة ازدشير والتطلع الى حقائق الاخبار
 وسيرته في تفاصيل هذا الباب حتى كان يطوف في كثير من الاليالى سكك المدينة
 ليقف على قضايا الرعايا خوفا أن تجد حالة لا تصل اليه فيؤاخذ بالتقصير فيها ولقد
 قال أنس بن مالك رضي الله عنه خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 في ليلة من الاليالى في الظلمة يطوف لافتقاد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر
 مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع منه انين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدا
 منه وقال له من الرجل فقال من أهل البادية قدمت الى أمير المؤمنين أصيب من
 فضله قال فما هذا الانين فقال امرأة تتخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها
 أحد قال لا فانطلق عمرو الرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل لك في أجر قد ساقه الله اليك فقالت وما هو قال
 امرأة تتخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال خذي ما يصلح المرأة من الخرق
 والدهن وجيئيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت فحمل القدر ومشت خلفه حتى

حكاية

أتى البيت فقال ادخلي الى المرأة وجاء حتى قعد الى الرجل فقال هات لي نارا ففعل
فجعل يهرى الله عنه ينفخ النار ويضرمها تحت القدر حتى أنفجها وولدت
المرأة فقالت أم كلثوم رضي الله عنها يا أمير المؤمنين بشر صاحبك غلام فلما سمع
الرجل بأمير المؤمنين كأنه ارتاع لذلك وقال يا أمير المؤمنين وانجلمتاه منك أهكذا
تفعل بنفسك فقال يا أخا العرب من ولي شيئا من أمور المسلمين ينبغي أن يتطلع على
غير أمرهم وكبيره فانه مسؤول عنه ومتى غفل عنهم خسر النساء والآخرة ثم قام
عمر وأخذ القدر من النار وحملها الى باب البيت فأخذتها أم كلثوم وأطهت
المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي
في البرمة وفي غد انت الينا فلما أصبح جاءه فخره بما أغناه وانصرف وكان من شدة
حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسط اس العدل وازاحة أسباب الفساد
واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرّا في كثير من الليالي * حتى
انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا
فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قد آماه اناؤه فيه ضرر وهو يشرب ومعه
جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فتسور على السطح فنزل اليهم من الدرجة
ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وافتحوا الباب وانهمزوا فأمسك الاسود فقال له يا أمير
المؤمنين اني قد أخطأت فاقبل توبتي فقال أريد أن أضربك على خطائك فقال
يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فأنت أيضا قد أخطأت في ثلاثة أشياء أولها
قال الله تعالى ولا تجسسوا وانت تجسسست وقال تعالى واثموا البيوت من أبوابها
وانت آتيت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
أهلها وانت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى اني لا أعود
فتوبه واستحسن كلامه وله رضي الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه تشهدها على حرصه على
معرفة بالامور * وكان معاوية بن أبي سفيان قد أخذ نفسه بالتطلع الى استعلام
بواطن الامور والراعي اسلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى انه نقل عنه ان رجلا كلفه
في حاجة وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم
زياد وقال له أتتعرف الي * وأنا أعرف منك بنفسك والله اني لا أعرفك وأعرف أباك
وأمتك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذا البرد الذي عليك وهو لفلان وقد

لطيفة

أعارك أياه فبنت الرجل وأرعد حتى كاد يغشي عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم
عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك أحد بعدهم ذلك إلى أن ولي المنصور فنصب
العيون وأقام المتطلعين ورصد المخبرين وبث في البلاد والنواحي من ~~يكشف~~
حقائق الأمور والرعايا فاستقامت له الأمور ودانت له الجهات واقد استلى في أيام
خلافته بأقوام لا يبرد شرارهم ولا ترد أثرارهم ولا تغل سفارهم ولا تغل أنصارهم
ولولا أن الله تعالى أعانه بيقظة لا تجمع جفن سداها ولا نقطع عزائم أمدادها
ولما ثبتت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع بعض قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث
العيون فعرف من انطوى على خلافه فعاجله باللافه واطلع على عزائم المعاندين
فقط رؤس عنادهم بأسيافه وصار بكل يقطته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه
ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذات له الرقاب ودانت لخلافته الصعاب
وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب في آثار يقطته وفعلته مارواه* (بدك
ابن حبيب) قال دخلت يوما على المنصور للسلام عليه فأهوى بيده إلى فقبلتها
فوضع في يدي شيئا طيفا فقبضته بيدي وخرجت وتأملته فإذا هو ورقة لطيفة
مطوية فنشرتها وإذا فيها إذا قرأت كتابي هذا ودخل الناس غدا فادخل معهم
والطلب مني إذا في سفرك إلى ضياعك بالري وقل قد اختلت أحوالها ولي حاجة
إلى إصلاحها قال بدك فدخلت مع الناس وقلت يا أمير المؤمنين ضياعي بالري قد
اختلت أحوالها وفسدت أمورها وبني حاجة إلى مطالعتها فقال لا كرامة لك في
ذلك ولا إذا خرجت ثم دخلت اليوم الثاني وعاودته فقال ذلك الجواب وأغلظ
القول فقلت يا أمير المؤمنين انما أريد صلاحها لا تقوى بها على خدمتك فقال
مبارك إذا شئت فاذهب فقلت يا أمير المؤمنين ولي حاجة قال قل قلت أحتاج إلى
خلوة فنهض القوم الجلوس وخرج الوقوف وبقي الربيع وحده فقلت أخلني قال
ومن الربيع قلت نعم قال فنهض الربيع فلما لم يبق أحد هناك سواه قال يا بدك ان
جئت بمالك ونفسك كنت في موضع ظني بك قلت يا أمير المؤمنين هل أنا ومالي
الامن نعمتك فأنك حققت دمي ورددت على مالي وآثرني بصحتك فأنا واقف مع
أمرك قال يا بدك قد حدث في نفسي ان مرارا قد عزم على خلعي وترك طاعتي
وليس لي من يكشف باطن أمره غيرك لما بينكم من الالف فاذا صرت إليه إلى الري
فأظهر الواقعة في والتقصير بي حتى تعرف ما عنده فاكتب إلى به ولا تكتب على

غريبة

يدبريدولا مع رسول ولا تركزن الى من لا عهد لك عليه ولا يفوتني خبرك في كل يوم
 وقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن بالرى في الدكان الفلانية فهو يوصل
 كتبك على أيدي من ربتهم عنده قال يدريك فضيت حتى دخلت الرى فدخلت
 على مرار فقال أفلت وخلصت قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت عليه أو انسه بالوقية
 في المنصور واطهار السرو بالخلاص منه حتى أظهر ما كان المنصور قد ظنه به
 فكتبت الى المنصور بذلك فلما وصلت الى ما أردت من معرفة ما عنده خرجت الى
 ضياعي ثم رجعت اليه بعد أيام فقال نجاك الله من الفاجر فقلت نعم وأرجو
 أن لا تقع عنه على أبدأ أو كنت أعرض به فيزيدني مما عنده ثم قال هل لك الى منتزه
 طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو نتسايح حتى وصلنا الى موضع مشرف بنيت له عليه
 قبة فأخذ ينظر الى ما هنالك ثم قال يا يدريك أترى الفاجر يظن اني أعطيه طاهة
 أبدأ ما عشت أشهد على اني قد خلعتك كما خلعت خفي هذا من رجلى قال يدريك
 فرجعت الى منزلي وأنا في كل يوم أكتب بخبره وكنت قد أعددت عشرة أنفس
 من الفرسان الاجلاد تسعة من بني ربوع وواحد من بني أسد واطاهم على ان
 ينطش به وكتبت الى المنصور بذلك ثم ان مرارا حصل له حاجة الى شرب دواء
 في ذلك اليوم فسبق اليه ذلك الرجل الاسدي وقال له خذ هذا من يدريك
 فقد عزم على قتلك قال يدريك فدخلت عليه فعرفت الشرف في وجهه والمنكر
 في نظره فقال هيه يا يدريك مع اكرامى لك تريد أن تقتلني قال يدريك فتضا حكت ثم
 قلت بلغ من مكر الخبيث انه دس اليك هذا الاسدي يغري بك بي لما فقه لقد علمت
 حيلته فيك ثم ان بطنه حركه فقام الى خلأ وقال لا تبرح فلما وليت وخرجت
 مسرعا فقال لي الحاجب أسرع قلت نعم في حاجة الامير ثم ركبت فرسي
 فرأيت اليربوعين فأخذتهم وانصرفنا ولم أرا الاسدي فعلمت انه صاحب
 السعاية بي اليه فلما خرج لم يجده في فوجه خيلا في طلبي فقال اليهم اليربوعيون
 قد دفعوهم وأسرعتم الى المصمعيان فكنت عنده وكتبت كتابا طاهرا الى
 المنصور فسير حازم بن خزيمة بجند فأتوا واما را * وعما انظمته بقظته في عقدها
 وشهد لها بمضام حدها وعلا جدها ما نقله عقبة بن سالم الازدي قال دخلت مع
 الجند على المنصور فلما خرج الجند ردني وقال من أنت فقلت رجل من الازد وأنا
 من جند امير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفصة فقال اني أرى لك هيئة ونجاة

وأريدك لأمر أناه معنى فان كفيته رفعتك فقال اني لا أرجو أن يصدق ظن
 أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضر في يوم كذا وكذا قال فغبت عنه الى
 ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحد اوقال أن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا
 للكم واغتبالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات
 أموالهم وألطف بلادهم فاخرج بكتبي وألطف من عندي وعين حتى تأتي
 عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتقدم عليه متخشعا والكتب
 عن السنة تلك القرية والالطف والعين من عندهم اليه فيحيي ويقول لا أعرف
 هؤلاء القوم فاصبر له وعادده وقل قد سيروني سرا وسيروا معي أالطافا وعينا وكلما
 جهلك وأنكر فاصبر له وعادده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه
 والعين والالطف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن
 ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم فلقيته بالكتب فأنكرها
 ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعادته وذكر له اسم
 القرية وأسماء أولئك وان معي منهم أالطافا وعينا فأنسبني وأخذ الكتب وما كان
 معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سأله الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى
 أحد ولكن أنت كتابي اليهم فأقرهم السلام وخبرهم أن ابني محمد اوابراهيم خارجان
 لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فشخصت من عنده وسرت حتى قدمت
 على المنصور فأخبرته الخبر وبأشياء كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني أريد
 الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا فلتلقاني بنو الحسن وفيهم بنو عبد الله فاني أعظمه
 وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغت من أكله ونظرت اليك فامثل بين يديه وقف
 قدأمة فانه سيصرف وجهه عنك قدر حتى تقف وراءه وانظر ظهره باهمام رجلك
 حتى يملا عنه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور
 مريدا للبعج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فأجلس عبد الله الى جانبه وحادثه
 وطلب الطعام لاقداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله
 ابن حسن وقال يا أبا محمد قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق لا تبغيني بسوء
 ولا تكيد لي سلطانا قال فأناعلى ذلك يا أمير المؤمنين قال فلحظني المنصور فقامت حتى
 وقفت بين يدي عبد الله بن حسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمرت ظهره
 باهمام فرفع رأسه وملا عنه مني ثم وثب حتى جئنا بين يدي المنصور وقال أفلني

يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالك الله ان لم أقتلك وأمر بحبس
 وجعل يتهرب طلب ولديه محمد و ابراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي
 صاحب عذابه دعاني المنصور يوما واذابني يديه جارية صفراء وقد دعاهما بأنواع
 العذاب وهو يقول أيا ويلك أصدقتني فوالله ما أريد إلا اللفة واثن صدقتيني
 لأصلن رحمهما ولا تابعتن البرأليه واذاهو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن
 ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه فأمر
 بعذابها فلما بلغ العذاب وأعشى علمها قال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف
 قال مادوا مثلها فقالوا له شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وتسقي
 السويق ففعلوا بها ذلك وعلج المنصور بعضه يده فلما أفأقت وحدثها عاود المسئلة
 عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الخو دقال لها أتعرفين فلانة الخامة فلما
 سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت
 هي والله أمتي ابنتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتاها وصيفها
 من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجكم وتخدمكم وتعرف
 أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال
 صدقت هو والله غلامي ومضاربني ودنانيري عنده أمرته ان يتابعها ما يحتاج اليه
 من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب
 تسأله حناء وحوامج فقال لها ما تصنعين به فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن
 في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا لتخدمه النساء
 ما يحتاجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام
 من المنصور أرعدت خوفا وأذعنت له بالحديث وحدثته كلما أراد وكان المنصور
 يشتهي صلاح حال محمد بن عبد الله بن الحسن ويودله أن لا يشرقته ولا يخرج عن
 طاعته فأبى الاقدار الا ان محمد اجمع خلقا وقصد المدينة ودخل السوق وقصد
 المسجد وكسره وأخرج من فيه من المسجونين وأخرج عن الطاعة وسب المنصور
 ودعا الى خلعه فلما أسرع الخبر الى المنصور كتب كتابا اليه يلاطفه فيه ويوعده بكل
 ما فيه صلاح حاله ويحذره من الفتنة وسفك الدماء فأعاد عليه الجواب مجاهرا
 بالشقاق ومتظاهرا بادعاء الخلافة لنفسه فعاوده بكتاب آخر يحذره ويخوفه
 فلم يزد الا شدة فجهر المنصور اليه ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن

عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وجهزهم جيشا فغضى اليه وحاربه وقتله وحمل رأسه الى المنصور وخرج ابراهيم بالبصرة ومعه جمعه فقصد دار الامارة وقتل وقتل واستولى على بيت المال وأخذ منه ألفي ألف درهم ودعا الى نفسه فجزأه المنصور عسكريا وما زال يعمل فكرته ويستعمل يقظته ويستحضر فطنته حتى قتل ابراهيم وأحضر رأسه اليه قال عبد الله بن راشد دخلت على المنصور في أيام خروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة لا سلم عليه وأنا أظن انه لا يقدر يرذل السلام لتابع الفتوق والحروق عليه وكثرة الأعداء القاصدين خلعه من الخلافة وان بالكوفة مائة ألف سيف كامنة ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون عليه فلما دخلت عليه رأيت أسدا مشمرا قد قام الى منزل به من النواشب يعركها عرك الأديم ويفتهافت الهشيم ونغض بها ولم تقعد به نفسه فيما أو سبط عليها سيوف يقظته وعزمه وكان يتمثل في تلك الأيام بهذا البيت

تفرقت الطباع على حراش * فما يدري حراش ما يصيد

(تهذيب واعتبار وتقريب واستبصار) قيل من استقبل مؤنة اليقظة فاطرحها وأهملها واستقبل راحة الغفلة فاستصلحها واستعملها وكل أبصار التحفظ والتحرز برود العمى فسهلها استنتج عليه من أبواب النصب والعطب مقفلها واستطلع من نجوم الخوس في البروج الثوابت آفلها وقد توقع الغفلة صاحبها في خطة خسف لا يندمل جرحه ويقطع عليه مما يحاوله سبيل سعيه فلا يؤمل نجحه فيقعد دويته واني عن احكام أمره فيجل به خسرته ويفوته ربحه * وفي قضية أبي جعفر محمد المنتصر بن المتوكل على الله ما فيه تبصرة لمعتبر وتذكرة لمزدرج فانه لما واطأ جماعة من مقدمي الدولة على قتل أبيه المتوكل ودخلوا عليه في مجلسه وقتلوه وبايعوا المنتصر بالخلافة وأجلسوه لم يلبثوا الا أياما يسيرة وصار يسترسل في مجلسه غافلا ويهمل ما يوجب التيقظ والتحفظ قائلا وفاعلا ويصدر منه في حق أولئك القاتلين أباه حركات منظوية على اضممار قتلهم ويقول لهم أنتم قتلتم أبي متجاهرا بانكار فعلهم فلما تكرر منه ذلك مرارا وأظهره في أقواله وأفعاله جهارا وأهمل التيقظ والاحتراز اعلانا واسرارا وأغفل انتهاز الفرص توانيا لا استبكارا ولم يضع على حركاتهم وسكناتهم من يطالعه بها اخبارا أثار عندهم بالتوعد الصادر عنه داهية اعمالهم الحيلة في سرعة الخلاص منه

عجبة

فاجتمعوا وهم من أعيان دولته واتفقوا على المسارعة الى اهلا كه ومبادرته وان
يسبقوه قبل أن يسبق اليهم سيوف نغمه فاستحضروا طبيبه جبريل بن تختيشوع
وتلوا عليه من أمرهم سورة قصته ولما ألقوا عليه من ذلك قولا ثقيلا وأفضوا
اليه بسرهم ليوضح لهم الى نجح سعيهم سبيلا ويدلوا من المال ما أحضروه لديه
قدرا جليلا ومبلغا جريلا فاجتلب لشهره عطاءهم وأجاب ندمهم واستصعب
دأهم واستصوب آراءهم وحاز المال الذي بذلوه والتزم انجاز ما أتوا به
واقترقوا واثقين من جبريل بسرعة سعيه فيما سألوه متحققين لما علموه من اغفال
المتصر التيقظ والتحفظ وعقلوه انهم قد خلصوا من شركيده وضراعيده فقتلوه
فلم يلبث المتصر الا أياما حتى أحضر جبريل ليفصده ففصده بمبضع قد سمه ذات
من ليلته فانظر الى عاقبة الاغفال ووبالها وما يجلبه ترك التحفظ والاستيقاظ
من استحالة الاحوال واختلالها ولم يبق المتصر بعد أيامه الا أياما قليلة فاقتنصته
الاقدار لتوانيه بشباك حبالها وأثرالك احتيالها (ايقاط واتعاط) هذا
جبريل بن تختيشوع المسود وجه أمانته المفسد عقيدة ديانتته الخائن من ائمنه
على مهجته الشائن أبناء جنسه بوصمة خيانتته القاتل من لم يقصد أذاه الخاتل
من كساده من وارف نعمته وجداه وسقاه من طارف خلافته وغذاه لما كفر نعمة
مولاه وأقدم على ارتكاب ما حرم الله أبت العدالة الربانية الامقابلته على ما أتاه
ومجازاته على سوء ما قدمت يداه فعاجله الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة بعقوبته
وجزاه من غير اهمال بمثل سيئه وذلك انه بعد أيام ثارت به حرارة أحوجته الى فصد
ونقص دم فأحضر تلميذاه ليفصده وأخرج دست المباضع الذي له وقد ختم الله على
قلبه وفهمه لا نفاذ قضائه فيه وحكمه فأخرج ذلك المبضع المسموم الذي فصد به
المتصر معتقدا انه غيره ودفعه الى تلميذه ففصده به ذات من ساعته فسبحان الحكم
العدل الذي لا جور في حكمه وامضائه ولا ظلم في قدره وقضائه ومثل هذه
الواقعة قيل اياك وتقريب من استعبده الشره وملاكه الطمع واقتاده الحرص
واستحوذ عليه الشغ فان هذه الخلال ما جمعها الا من فارق الدين وقصد الامانة
وعدم المروءة وتحلى بسوء العقيدة وذلك يبعثه على اجابة من يدل له محبوبه وعجل
له من المال مطلوبه الى كل ما يحاوله منه ولو كان كفرا بالله تعالى أو سفك دم
أنبيائه فيجب على ذي الالبالة العظيمة والولاية الحاكمة على الخليقة ان يختبر كل

مقرب لحيط بخبره ويكون على بصيرة من أمره * (تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء) *
قد يشرف نور اليقظة من مطالع التوفيق ويتألق ضياء الفطنة فهدي الى سواء
الطريق فيسلكه اليقظ الفطن فيغنيه عن الاقتدار الى رفيق في الطريق
ويحميه عن أن تهوى به ريح الغفلة والتواني في مكان سحيق ولهذا يقال
من جرى بجواد اليقظة في حلقات الاعمال أحرز قصبات الآمال ومن اهتدى الى
جواد الفطنة من مقامات الاحوال أمن قواطع الضلال ومصارع الاغتيال
فكم من فكرة تناولت يد يقظتها مرامها وطاولت بعزم فطنتها من الافلاك أوج
كيوانها وبهرامها فأدركت غاية سؤلها وبلغت نهاية مأمولها وسحبت على
آثار احتياها التمهوها ماسك ذنوبها فتم مرامها وكل ووصل مرادها وحصل
ودام لها ما حاولته واتصل * كاتقلت السنة السلف الى أسمع الخلف من قصة
الحجاج بن عكاظ السلمي في حسن تطفه واحتياله وكما يقظته في توصله الى تحصيل
ماله وتخليصها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية
وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن عكاظ السلمي وكان أول ما قدم أسلم تلك الايام وشهد
خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبية ولى مال متفرق
في تجار مكة فاذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى أسبق خبرا سلامي اليهم
فاني أخاف ان علموا باسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة فاذن لي لعلى أخلصه فاذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أحتاج أن أقول فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت في حل قال أبو العباس أحمد بن ابراهيم احد
رواة هذا الخبر ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال والتوصل الى الحق لانه
من باب الفساد قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها
رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد سار الى خيبر وكان قد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفاء ومنعة ورجالا فهم
يتجسسون الاخبار فلما أبصروني قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج
فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه
بلغني انه قد سار اليها وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون ايه
يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بجملها قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقله حتى
نبعث به الى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا

وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين
أظهركم قال فقلت اعينوني على جمع مالي على غرمائي بمكة فاني أريد أن أقدم خيبر
فأصيب من نفل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هنالك فقاموا معي فجمعوا
مالي كأحب جمع سمعت به قال وجئت صاحبتي فقلت مالي لعل الحق خيبر فأصيب
من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه
عني أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر
الذي جئت به قال قلت وهل عندك حفظ لما أضعه عندك قال نعم قلت فاستأخر عني
حتى أقالك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فأنصرف عني حتى أفرغ قال حتى إذا
فرغت من جميع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت
احفظ علي حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب واكتم علي ثلاثاً ثم قل ما شئت
قال أفعل فقلت والله اني تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعني صفية
ولقد افتتح خيبر وانتقل ما فيها وصارت له ولأصحابه قال ما تقول يا حجاج قلت اي والله
فاكتم عني ولقد أسلمت وما جئت الا مسلماً لا أخذ مالي فرقامن أن أغلب عليه فاذا
مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله علي ما تحب قال حتى اذا كان اليوم الثالث
لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها فلما
رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفت به لقد
افتتح محمد خيبر وترك عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له
ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم
مسلموا وأخذ ماله وانطلق ليستلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله
أما والله لو علمنا المكان لناوله شأن قال ولم ينسبوا وان جاءهم الخبر بذلك فتوصل
ببقائه واحتسبوا إلى مخلصه وتخلّص ماله * (تجديديان وتأكيدي برهان) * لما
جمعت الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة
وتظاهروا بهم في جمع كبير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني
النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المسلمين واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله اذ جاءكم
من فوقكم ومن أسفل منكم واذ راغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنون هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلاً شديداً فجاء نعيم بن

فطانة

مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
 قد أسلمت وان تومي لم يهملوا باسلامي فرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أما أنت فرجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن
 مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم
 ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بعتهم فقال لهم ان قريشا
 وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدررون على
 أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا الحرب محمد وأصحابه وقد
 ظاهروهم عليه وبلادهم وأموالهم ونسأؤهم وأولادهم بغيره وليسوا مثلكم
 فانهم رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل
 ببلدكم ولا طاقة لكم به فلا تقا تلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكون
 بأيديكم ثقة لكم على أن تقا تلوا محمد حتى ينأجروه قالوا أشرت بالرأى ثم أتى
 قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان قائد المشركين من قريش ولمن معه من كبراء
 قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمد اوانه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا ان
 أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعنا قال تعلمون ان محمد يريد قد ندموا
 على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أنا قد ندمنا على نقض العهد الذي
 بيننا وبينك فهل يرضيك ان تأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من
 أشرفهم فتسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نسكون معك على من بقي حتى نستأصاهم
 فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعن
 منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أصلي
 وعشركي وأحب الناس الي ولا أراكم تهملوني قالوا صدقت ما أنت عندنا بعتهم
 قال فاكتموا علي ما أقول لكم قالوا نفعنا ثم قال لهم ما قال لقريش وحذرهم مثلما
 حذرهم فلما كان ليلة السبت وكان من صنع الله تعالى لرسوله ارسل أبوسفيان
 ورؤس غطفان الى بني قريظة فقالوا لهم انا لنسأبدا رما مقام قد هلك الخلف والخافر
 فأعدوا القتال حتى نناجز محمد او نفر غما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم في جوابهم ان
 اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولنسأمع ذلك بالذين نقاتل معكم محمد ا
 حتى تعطونا رهنا من رجالكم تكون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمد ا فانا نخشى ان
 ضرمت الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل

في بادنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش
وغطفان والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بني قريظة انا
لا ندفع اليكم والله رجل واحد امن رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا
فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل هذا الكلام الذي ذكره نعيم لحق ما يريد
القوم الا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشعروا الى بلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا الى قريش انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا
رهننا فأبوا عليهم ونخذل الله بينهم وأرسل الله عليهم الريح ففتت فرقوا وارتحلوا وكان
هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفطنة وهداه الى اليقظة
التي عم نفعها وحسن وقعها

(خاتمة لهذا الباب) من الجواهر المشورة ونوادر الكلام المأثورة (منها) من أيقظ
نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيد له وقطع عنه أطماع الماكرين به
(ومنها) اليقظة حارس لا ينسام وحافظ لا يساموحا كم لا يرتشى فن تدرع بها أمن
فيما استيقظ له من الاختلال والضياع وان يجار فيه عليه (ومنها) ما استظهر عدو
المرء عليه بأعظم من توان دائم يجده فيه وغفلة مستمرة يأنس بها واستقبال اعياء
التحرز والتحفظ واهمال الفرص في أوقات انتهازها (ومنها) من احتجب عن
وفود اليقظة اذن في ورود النقم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع مرارة الندم
ومن استفرش شقة التواني فسيستبطن مشقة الالم ومن استصوب مصاحبة
الاهمال فسوف يزل به القدم

(الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف)

العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز باقالة العثرات والحلم عن مقتري الزلات
والصفح عن ذوى الهيئات واسداء الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف
لا سيما الى أهل الدرايات كل ذلك معدود من محاسن الحسنات ومكارم الاخلاق
التي هي صفة الصفات وقد نطق بذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات
وصرح به السنة النبوية على ألسنة الرواة الثقات قال الله عز وجل وان تعفوا
أقرب للتقوى وقال تعالى والكاطمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور
رحيم وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقال تقدر اسمي يحاطب
 نبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى واذا ما غضبوا
 هم يغفرون ونقل أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال للكاطمين الغيظ
 والعافين عن الناس وقال أبو هريرة رضي الله عنه بينما رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوما جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه ف قيل له في ذلك هم تضحك يا رسول الله
 قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي فقال أحدهما يارب خذني مظمتي من أخي
 فقال الله تعالى أعط أخاك مظمته فقال يارب ما بقي من حسناتي شيء فقال يارب
 فلا يحمل من أوزاري ففاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك
 اليوم ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال الله تعالى
 لا طالب حقه ارفع بصرك الى الجنة فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة
 فقال لمن هذا يارب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن يملك قيمته يارب قال أنت قال
 بماذا قال بعفوكم عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه قال فخذ بيده وادخل به
 الى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم
 وقال تعالى فمن عفي وأصلح فأجره على الله ونقل أيضا أبو هريرة ان أبا بكر الصديق
 رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع في
 أبي بكر رضي الله عنه وهو ساكت والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رده عليه
 أبو بكر رضي الله عنه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فلحقه
 أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله شتمني وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض
 الذي قال فغضبت وقت فقال صلى الله عليه وسلم حين كنت ساكنا كان ملك يرد
 عليه فلما تكلمت وقع الشيطان ولم أكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر
 ثلاثة حق انه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا أعزه الله ونصره وليس عبد يفتح
 باب مسألة يريد كثرة الازاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة الا زاده الله
 بها كثرة وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلو لا علمي بالله لظننت انه
 يوصيني بترك الحدود وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة
 نادى مناد ألا يقيم من كان له أجر على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وروى عنه

صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العباد أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم أتى جبريل عليه السلام بمكارم الاخلاق
في الدنيا والآخرة قلنا ما هي يا رسول الله قال قول الله تعالى خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين* ودخل معن بن زائدة على معاوية فقال له يا معن
كيف حبك لعلي بن أبي طالب فقال أحبه على وجوه كثيرة على حمله اذا غضب
وعلى صدقه اذا قال وعلى وفائه اذا وعد وعلى عفوه اذا قدر وان رضى لا يخرج
رضاه الى الباطل وان غضب لا يخرج غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له
وكان معاوية يقول اني لآنف أن يكون في الارض جهل لا يسهه حلمي وذنب لا يسهه
عفوي وحاجة لا يسهها جودي* (بداية وهداية)* في جواهر الآثار وخبايا
الاخبار ما شنف أسماع ذوى الاستبصار ويراف الى ارتقاء منازل أهل
الفخار فانه يقال من اقتدى بعلوم الحكماء في اقتناء الخلائق الرضية واهتدى
بنجوم العظماء في اقتفاء الطرائق المضيئة كان خليفاً أن يوصف بالنفس الزكية
والشئنة الاخزمية وجديراً أن يعرف بالسيرة النبوية والهمة العلية كما نقل
عن المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه
انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد
وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق
فلما دخل بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة
المأمون ولم يزل المأمون متطلباً لابراهيم حتى أخذه منتقباً مع نسوة فحبس
ثم أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال له
المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغوا الشيطان حتى حدثت نفسك
بما تنقطع دونه الا وهام فقال له ابراهيم مهلاً يا أمير المؤمنين فان ولي النار يحكم في
الخصاص والعفو والمعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرف القرابة وعدل السياسة ومن تناوله الاغترار بما مثله من أسباب الرجا
أمن عادية الدهر على نفسه وهجمت به الايام على التلف وقد جعلك الله فوق كل
ذنب كما جعل كل ذنب دونك فان أخذت فيحققك وان عفوت فبفضلك والفضل
أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال

ذنبك عظيم * وأنت أعظم منه

نخذ بحقه لك أولاً * فاصبر بعفوك عنه

ان لم أكن في فعالي * من السكرام فسكنه

فلما سمع المؤمن كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم القدرة
تذهب بالحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله وهو أعظم مما يحاول وأكثر مما
يقول ولقد حببت الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تريب عليك ورد
أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطباً

رددت مالي ولم تمن علي به * وقيل ردك مالي قد حققت دمي

فان يحدثك ما أوليت من كرم * اني لباللوم أولى منك بالكرم

* (تأكيديان وتجديدي برهان) * من قابل المكروه بالعفو والرزلة بالحلم والاساءة
بالاحسان والسيئة بالغفران فقد أوطأ أخص قدمه قة أوج السيادة وأعطى
نفسه بشراها بأن لها الحسنى وزيادة وكان في أول جريدة الاعتبار اذا هدا أهل
السعادة وقد صدع لسان النعل فأسمع وفتح فن الرواية فأينع وطلع نجم الاسناد
فلمع وتتابع طريق الاخبار فما انقطع * (ان معاوية) * لمولى الخلافة وتفوق
حلب اخلافها وتطوق نصب انصافها ومزق سرب اخلافها وفرق عصب
اسرافها وانتظمت لديه الامور وامتلاّت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور
وساعفه في مراده القدر المقدور استخضر لديه خواص أصحابه المنتظمين في سلك
مساعدته على محابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر السكينة فيها
من المعروفين وانهم كوا في القول الصحيح والمرىض وساء كوا شعبه في اليقاع
والخضيض وآل حديثهم بعد التصريح والتعريض الى من كان يجتهد في ايقاد
نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء
بنت عدي كانت تعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخه بأصحاب علي
سمعة اياهم كلاماً كالصوارم لوسمعه الجبان لقاتل والمدير لا قبل والمسالمة الحارب
والفاز لكثرة والمتزلزل لاستمر فقال لهم معاوية فأبكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا
نحفظه قال ماتشبيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال معاوية
بشما أشرتهم به وقبحا لما قلتم أيحسن أن يشتهر عني اني بعد ما طفرت وقد رت أقتل
امرأة وفدت لصاحبيها اني اذا اللثيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه فكتب كتاباً
الى واليه بالكوفة أن أوفد الى الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان

من قومها ومهداها وطاء لنا وصر كاذولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها
وأقرأها الكتاب فقالت ما أنا براثة عن الطاعة فان كان أمير المؤمنين جعل
الاختيار الى لم أبرح من مكافى وان كان حتم الامر فالسمع والطاعة له فعملها
في هودج وجعل غشاء مخرا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية
قال لها امرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا حاله وكيف مسيرك
قالت خير مسيرك اننى كنت بريبة بيت أو طفلا في مهد فقال بذلك أمرتهم فهل
تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال ألسنت الرابية الجمل الاحمر يوم
صفين وأنت بين الصغين توقدين الحرب وتحضين على القتال قالت بلى قال فما
حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدمر ذو غير
ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تحفظين شيئا
من كلامك قالت لا والله قال لله أبوك اقدمي عليك تقولين أيها الناس انكم
في فتنه غشتكم جلا بيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها فتنه عمياء صماء
لا يسمع اقائنها ولا يتقادلها اتقها أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان
الكوكب لا ينير مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد
الامن استرشد أرشدناه ومن سأل أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها
فصبر يا معاشر المهاجرين والانصار فكان قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة
العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوى الحق والمبطل أفن كان مؤمنا كن كان
فاسقا لا يستوون فنزال نزال والصبر الصبر فعن كتب يمدح الاقدام ويذم الاحجام
ولا يعجلن أحدكم يقول كيف ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا ان خضاب
النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة ايها الى الحرب
فبرنا كصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحرىضك قالت قد كان
ذاك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك
يا أمير المؤمنين وأدام سلامك مثلك من بشر بخير وسر جليسه فقال لها وقد
سرتك ذلك قالت نعم والله سرتنى قولك وانى لي بتدقيقه فقال معاوية والله لو فاءكم
له بعد موته أعجب الى من حبكم له في حياته اذكرى حاجتك لتقضى قالت يا أمير
المؤمنين انى آليت على نفسى أن لا أسأل أحدا أعنت عليه شيئا قال قد أشار
على بعض من عرفك بقتلك فقالت لئوم من المشير ولو أطعته لشركته قال

كلا بل نعوذ عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت **ك**رم منك يا أمير المؤمنين
 فثلك من قدر فعفا وتجاوز عن من أسا وأعطي من غير مسئلة وجاد من غير طلبية
 فقال صدقت ثم أعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة
 عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها وكتب الى والي الكوفة بالوصاية بها
 وبعشيرتها (وقيل كان) لعبد الله بن الزبير أرض وله فيها عيدين يعملونها فدخل
 عيدين معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول
 فيه أما بعد يا معاوية فإن عيدي قد دخلوا في أرضي فأنهم عن ذلك والا كان لي ولك
 شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال
 يا بني ماترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك
 يا أولك برأسه فقال أو خير من ذلك يا بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب
 عبد الله بن الزبير فقال وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وساءني ما ساءه والديا بأسرها هينة في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي
 صكبا لا أرض والعبيد وأشهدت على نفسي بذلك فليست تضافها مع عبيدها الى أرضه
 والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على
 كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعده هذا الرأي الذي أحله من قريش
 هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه رمى به الى ابنه يزيد
 فلما قرأه أسفر وجهه فقال له يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
 القلوب فاذا بليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء * (استبصار
 مهتد واعتبار مقتد) * قد تعظم جريمة المسمى في القلوب ويتفاقم ذنبه في النفوس
 فلا يرجي له عفو ولا يتوقع عنه صفح فاذا أقيم مقام الانتقام منه وتحكمت فيه
 يد الاقتدار عليه أنطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المنتقم منه في العفو عنه
 وربما يزيد على العفو والصفح من جرمة بالا حسان اليه والرعاية له كما حملت بطون
 الصحائف الى الخوالف من أخبار من سلف من الخوالف فان الرشيد بن المهدي
 خرج عليه خارجي رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز له جيشا وأنقض الناس
 والجند للخروج لقتاله فلما توجه الجيش اليه وظفروا به أحضره الى دار الخلافة
 فلما دخل على الرشيد قال له ماتريد أن أصنع بك قال له اصنع بي ماتريد أن يصنع الله
 بك اذا وقفت بين يديه وهو أقدر عليك منك على فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه

وأمر بإطلاقه فلما خرج قال بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين تقتل رجالك وتغني
 أموالك وتظفر بهذا الذي خرج عليك وأفسد في بلادك وتطلقه بكلمة واحدة
 تأمل يا أمير المؤمنين هذا الأمر فانه يحسرتي عليك أهل الفساد فأمر الرشيد برده
 فلما عاد ومثل بين يديه فلم يدر ما قد سعى به وأشير له الخليفة بقتله فقال يا أمير المؤمنين
 لا تطع في مشيئتي منعك عفو الله عنه فانه لا يدركك على الانتقام الذي ليس من
 مكارم الاخلاق واقتد بالله تعالى فانه لو أطاع فيك مشيئتي استخلفك طرفة عين
 وأحسن كما أحسن الله اليك فأمر بإطلاقه وأحسن اليه وقال لا تعاودوني فيه
 (ومن قيل ذلك) مما ينظم في سلك هذا الاستبصار ويندرج تحت هذا الاعتبار
 ما نقل عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا ولا أثبت
 جنا ناس من رجل رفع عليه وسعى به الى المنصور ان عنده ودائع وأموال ابني أمية
 فأمرني باحضاره اليه فأحضرتة ودخلت به عليه فقال له المنصور قد رفع الناس
 خبر الودائع والاموال التي لبني أمية عندك فأخرج النامنها وأحضرها ولا تسكنهم
 منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بني أمية قال لا قال فوصي لهم في أموالهم
 ورباعهم قال لا قال فاسألتك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور يفكر
 ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين وأنا وكييل المسلمين في حقهم
 وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعل في بيت المال قال يا أمير المؤمنين فاحتاج
 الى اقامة بيعة عادلة على أن ما في يدي لبني أمية عما خافوه وظلموه فان بني أمية قد كانت
 لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال
 يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شيء ولا يسعنا الا أن نعفو عما قيل
 عنه ثم قال لي هل لك من حاجة قلت نعم حاجتي أن تنفذ كتابا على البريد الى أهلي
 ليسوا بالسلامة فأنهم راعهم انخاصي اليك وقد بقي لي حاجة أخرى يا أمير
 المؤمنين قال قل لنقضها لك قال تجمع بيني وبين من سعى اليك في فوائده ما لبني أمية
 في يدي مال ولا وديعة ولم تكني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قابلت
 بين هذا القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي قلته أولا فرأيت ذلك
 أقرب للخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما
 فلما رأته قال هذا غلام ضارب على ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف مني
 الطلب له فسعى بي فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ

المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع في يده فقال المنصور للشيخ
أشتهى أن تعفو عنه قال قد عفوت عنه وأعتقته وقد وهبت له الثلاثة آلاف دينار
التي أخذها وثلاثة آلاف دينار أخرى أدفعها له فقال له المنصور ما على ما فعلت
من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين إن هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني
يا أمير المؤمنين ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول
ما رأيت مثل الشيخ يا ربيع * وما يطرب لفظه ويحتجب برفضه ويتعين على
ذوى الدراية واليقظة حفظه ما يجمع أشد التامن الفوائد ويسرع أسببا إلى
المقاصد ويطوق أجياد الغير بفرائد القلائد ويحقق لذوى الفكر أن نصح
أولى الأمر من أعظم القواعد وهو ما جرى للخليفة المنصور المذكور بمكة حرسها
الله تعالى وتخلص ذلك أن المنصور كان يطوف بالكعبة ليلا إذ سمع قائلا يقول
اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله
من الطمع فخرج المنصور وجلس في ناحية المسجد وأرسل إلى الرجل يدعو
فصلى ركعتين واستلم الركن ثم أقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور
ما الذي سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين
الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامحي ما أرمضني قال يا أمير المؤمنين
إن أمنتني أنبأتك الأمور على جليتها وأصولها والآن أجادل عن نفسي قال له المنصور
أنت آمن على نفسك فقال إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين إصلاح ما ظهر
من البغي والفساد أنت قال ويحك وكيف يدخلك الطمع والبيضاء في قبضتي
والخلو والحامض عندي قال وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك إن الله تعالى
استرعاك المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا
من الحديد وحجبة معهم الأسلحة وأمرتهم أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان
سميتهم ولم تأمر بإيصال الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير
وما أحد إلا وله في المال حق فلما رأته هؤلاء التفر الذين استخلصتهم لنفسك
وآثرتهم على رحمتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تحبي الأموال فلا تعطيها وتجمعها
ولا تقسمها قالوا هذا خان الله فإنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على أن لا يصل
إليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم
إلا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما اشتهد ذلك عنك وعنه

عظمهم الناس وهابوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقوا
 بها على ظلم رعيتك لئلا يوابه ظلم من دونهم فامتلاّت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا
 وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين
 الدخول عليك فان أراد رفع قصّة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك
 ووقفت رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك المظلوم الى الرجل وبلغ بظانتك سألوا
 صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته فان المتظلم منه لهم حرمة فأجابهم خوفا منهم فلا
 يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدافعه ولا يقبل عليه
 واذا جهد واضطر وأخرج وقف وصرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا مبرحا
 ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر فابقاء الاسلام على هذا وقد كنت يا أمير
 المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى بشدة
 فعزاه بعض جلسائه فقال أما اني لست أبكي على ما نزل بي من ذهاب سمعي
 ولا كنتي أبكي المظلوم يقف يصرخ بالبواب فلا أسمع صوته ثم قال أما اذ ذهب سمعي
 فان بصري لم يذهب نادوا في الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ثم صار يركب
 الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله تعالى غلبت رافقه
 بالمشركين شمع نفسه وأنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من بيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غلبك شمع نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله
 في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال ومامن مال الا ودونه
 يد شحيرة تحويه فما يزال الله جل وعلا يلطف بذلك الطفل حتى يعظم رغبة
 الناس اليه ولست الذي يعطى بل الله يعطى من يشاء بغير حساب وان قلت
 انما أجمع المال لتشديد السلطان وتقوية فتقوته فقد أراك الله تعالى بنى أمية
 ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعادوا من الرجال والكرام
 والسلاح حين أراد الله بهم ما أرادوا وان قلت انما أجمعه لطلب غاية هي أجسم من
 الغاية التي أنا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة الا منزلة لا تنال الا بخلاف ما أنت
 عليه يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل أو الصلب قال المنصور
 لا قال فكيف تصنع يا أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الله عز وجل الذي خولك
 ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبيده وعمل بخلاف ما أمر به في كتابه بالقتل
 وان كان يعاقبه بالخلود في العذاب الاليم وقد ترى ما عقد عليه قلبك وحملت

جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحت به يدك ومشت اليه قدماك هل يغني
ما سمعت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب على
ما خولك فلما أتم الرجل كلامه والمنصور يتلمل منه بكى بكاء شديدا ثم قال يا ليت
المنصور لم يخلق ثم قال للرجل يا ويحك كنت أفكر في الانتقام منك على ما جبهتني
به والآن فقد رأيت العفو عن مقالتك اصدق مقصدك أولى وشكرك على نصحتك
أحمد فكيف احتيا لي لنفسى والسلامة مع مؤاخذاة الله تعالى على ما أوضحته
فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان للناس أعلما ما يفرعون اليهم في دينهم ويرضون
بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك واستعن بأدابهم وأقوالهم يسددوك قال
المنصور قد بعثت اليهم فهربوا منى قال الرجل خافوا منك ان تحملهم على طريقتك
فلم يرضوا بها ولا كن افتح باب مجلسك وسهل حجابك وانظر في أمور الناس وانصر
المظلوم واقع الظالم وخذ الفىء والاموال مما حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعدل
على أهله وأنا الضامن لك انك اذا فعلت ذلك أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الامة
فبينما هو والرجل في الحديث دخل المؤذنون فسلموا عليه للصلاة فقام وصلى فلما
فرغ من صلاته وعاد فطلب الرجل فلم يجده فإزال المنصور بعد ذلك يذكره ويقول
اذا ذكره كرهت كلامه ثم حمدته وانتفعت به * (تذييل اشارة وتسهيل عبارته) * اذا
أراد الله أمرا هيا أسبابه وفتح أبوابه وأوضح صوابه ومنع اكتماله وقلب له
القلوب النافرة عنه فآثرته وجذب اليه النفوس الخاذرة منه فبأثرته حتى يصدر
ذلك المصدور على خلاف طباع مصدره ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق
الانكار عليه في نظره كل ذلك لانفاذ الله تعالى في عبادته حكم قضائه وقدره * (هذا
الجماع) * بن يوسف الثقفي كان قد جمع خلا لا قبحة ظاهرة وباطنة من دمامة
الصورة وقبح المنظر وقساوة القلب وشراسة الاخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين
والاقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة حرسها الله تعالى وهدم
السكنة ورمها بالنجس وبالنفط والنار وأباح الحرم فسفك وهتك وقد قيل ان في
مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف
انسان وكان لا يرجو عفو الله ولا يتوقع خيره وكأنه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرافة
بسور من فظاظة وغلاظة وقساوة ومع ذلك فقد رقق الله قلبه وألأن عريته
وألهمه ما خالف سجيته وبابن عادته فانه في واقعة يزيد بن شبيب الشيباني لما خرج

يعة

في أيام عبد الملك بن مروان بالعراق فظفر به الحجاج وبأصحابه جعل يقتل كل مقدور عليه منهم فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم له سميت وروء وهشة فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجعة بالباب فقال الحجاج به ما هذه الضجعة قال نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير فقال الحجاج ائذن لهن بالدخول فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله فقال لهن الحجاج ما حاجتكن فتقدمت امرأة منهن فقالت أصلح الله الأمير ان رأيت أن تجود باستماع ما أقول فقال لها قولي ما أحبيت فقالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لو تشهد مقام بناته * وعمانه يندبهن الليل أجمعاً
أحجاج لم تفجع به من نسائه * ثمانا وتسعاً واثنين وأربعاً
فن رجل دان يقوم مقامه * علينا فهللا لا تردنا تضعضاً

ففرق الحجاج لقولها ووجد رقة عليهن وعفاهن وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها وأنه قد رق لهن وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار فكتب إليه عبد الملك يحمد على ذلك وأمره أن يزيد مائة دينار أخرى في عطائه فصارت له زادتان زيادة الحجاج وزيادة عبد الملك وصار الحجاج يرعاه ويسأله كل وقت عن النسوة وهذه الحالة الصادرة عن الحجاج من غرائب أخباره ومعجائب آثاره لكن جذبه الله تعالى إلى فعلها بأزمة أقداره * وخيث انتهى القول في العفو والحلم والتجاوز والصفح إلى هذا المقام فلا بد من اتمام وظيفة هذا الباب بذكر نبذة من القول في اصطناع المعروف والدفاع عن الملهوف فان خبر فعله فائض وخير ثوابه مستفيض وحوض نفعه مفعم وروض فضله أريض ومقام مكتسبه من التوفيق يفاع ومقام مجتنبه حضيض وفي الآيات والاحاديث من الدلائل المرغبة ما فيه باعث وحض وتحريض فان اسداء المعروف واعانة الملهوف من أحسن الاحسان وأي عمل خير من خير يكتب في صحيفة الانسان وقد قال الله عز وجل وما تفعلوا من خير فلن ننسوه وقال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال تعالى ان الله مع المحسنين وان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أهل المعروف

في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وانه قال اصطناع المعروف بقي مصارع السوء
وانه عليه السلام قال من بسط يده بالمعروف اذا وجد أخلف الله عليه في دنياه
وضاعف له الاجر في الآخرة ونقل عن المسيح بن مريم عليه السلام انه قال لاصحابه
استكثروا من شيء لا تأكله النار قالوا وما هو يا روح الله قال المعروف وقد قيل
ان كعب الاحبار كان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو ينشد
هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس
فقال له كعب يا أمير المؤمنين ان هذا الذي قلته فيما أنزله الله في التوراة على
موسى بن عمران عليه السلام فان في التوراة يقول من يصنع الخير لا يضيع عندي
لا يذهب العرف بيني وبين عبدى * (تمهيد قاعدة وتجديد فائدة) * من مديد تطلعه
الى اقتطاف ثمار الاخبار يوجد بجدة نقطة في استعراف أسرار الآثار ورد
انسان ناظره الى استجلاء ما أسفرت عنه وجهات الاسفار وشدت وسط عزمه
لا جتنا الفوائد الملتقطة من جهات الاسفار كان خلية أن يحصل منها على
غرائب يفتح لها أبواب المسامع وجديرا أن ينقل عنها عجائب يطرب عند ذكرها كل
سامع لاسيما فيما يستعبد حرا ويخادذ كرا ويستجد شكرا ويستدق قرا ويبيد
عسرا ويفيد سيرا ويمد الى اكتساب مكارم الاخلاق جسرا فن ارتدى بجلبابها
واهتدى بأسبابها واقتدى بأربابها فخرج معروفا وأفرح مأهولا وكشف
مخوفا وصرف عن أبناء جنسه حقوقا فقد أسجل له حاكم فعله بشرف أصله وأدخله
المعروف في زمرة أهله وفضله التوفيق على غيره لما آتاه الله من فضله ولا بد لمن
أحب الارتداء برداء السعداء والافتداء بما اعتدوه من الاسداء والاهتداء بنور
أفعالهم في الاعادة والابداء من أن يقع لهم على وقائع كرائم اعتدوها وصنائع
معروف رفدوها وطرائق خيرات قصدها وحقائق مروآت وجدوها ومن
نظموها في قلائد الاعناق وقلدها واحسان استرقوا به رقاب الاحرار
فاستعبدوها فانه يقال من نسج على منوال رآه فقد أصاب ومن ابتغى قصد مثال
خداه فخاب وهذه نكت صنائع أنج القدر الاستدلال بها في هذا الباب
وصور وقائع برزت من حجابها ليدكرها أولوالالباب (فيها) واقعة يزيد بن
المهلب بن أبي صفرة فان الحاج أخذ وعذبه وقصده واستأصل موجوده

غريبة

وسجنه فتوصل يزيد بحسن تطفه ودخل فيما جعله الله شجاة من تلفه وأرغب
السجنان وتحدث عليه واستماله اليه وهرب هو والسجنان وقصد الشام الى
سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما
وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده
فكتب الحاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عهد سليمان بن
عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأمير المؤمنين أشمل رأيا فكتب
الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يا أمير المؤمنين انى انما
أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر
عدو الا أمير المؤمنين وقد كان الحاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف
درهم ظلماته ما ليه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار هذا الرجل الى
مستحيرا فأجرتة وأنا أغرم عنه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين
أن لا يخزني في ضيفي فعلى منعهما فكتب اليه الوليد انه لا بد أن تنفذ الى يزيد
مقيد امغولا فلما ورد ذلك على سليمان بن عبد الملك أحضر ولده أيوب فقيدته ودعا
بيزيد فقيدته ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغالهما جميعا بغلين وحملهما الى
الوليد وكتب اليه أتابعكما يا أمير المؤمنين فاني قد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب
ابن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد
فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام
فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان عليه في سلسلة واحدة أطرق واستحيا
وقال لقد أسأنا الى سليمان اذ بلغنا به هذا المبلغ فأراد يزيد ليتكلم ويحتج عن نفسه
فقال له الوليد ما تحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرنا وعلينا ظلم الحاج ثم أحضر
حدا اذ ازال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف
درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردتهما الى سليمان وكتب كتابا
الى الحاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فايك أن تعاودنى فيه بعد اليوم
فصار يزيد الى سليمان بن عبد الملك بن مروان فى أعلى المراتب وأفضل المنازل
وينظم فى سلك هذه الواقعة ويقرب منها واقعة الكوفة فى مع معن بن زائدة
وتلخيص معناها ان الخليفة المهدي بلغه عن انسان من أهل الكوفة انه سعى
فى فساد دولته فأهدر دمه وجعل لمن دل عليه أوجاعه مالا جزيلا وأقام الرجل

مدة متواريا لا يظهر مخافة الهلاك فلما طالت الايام عليه ظهر يوم ابغداد
 فبينما هو يمشى في بعض نواحيها بصربه رجل من اهل الكوفة فعرفه فأخذ
 بمجامع ثوبه وقال هذه بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحال اذ سمع وقع
 الخوافر من ورائه فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجازلك الله
 فوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين فانه أهـ دردمه
 وجعل لمن دل عليه مالا جزيل فقال معن لغلام من غلمانه انزل عن دابتك واحمل
 الرجل عليها فصاح الرجل به يا للناس أيتحال بيني وبين طلبية أمير المؤمنين فقال
 معن اذهب وخبره أنه عندي فانطلق الرجل الى باب دار المهدي وأخبر الحاجب
 فأخبر المهدي فأمر بالحضار معن فأتته الرسل فأحضر أهل بيته وقال لا يخلص
 الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف ثم ركب وسار الى المهدي فدخل عليه وسلم
 فرد سلامه وقال يا معن أتجبر علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم واشتد
 غضبه فقال يا أمير المؤمنين قتلت في اليمن في يوم واحد في طاعتكم خمسة عشر
 ألفا الى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن عنائي فإرأيتوني أهلا لان يوهب
 لي رجل واحد استجباري فأطرق المهدي طويلا ثم رفع رأسه وقد سرى عنه
 وقال قد أجرنا من أجرت ووهنا لك فقال معن ان رأى أمير المؤمنين أن يصله
 فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمر ناله بخمسين ألف درهم قال فبأمر أمير
 المؤمنين بتجهيلها فأمر بذلك فأحضرت فانصرف معن الى الرجل بالمال وأضاف
 من عنده كسوات ودفع الجميع اليه وقال خذ هذا والحق بأهلك واياك ومخالفته
 خلفاء الله تعالى (ومن غرائب هذا المطلوب وعجائب هذا الاسلوب) ما أورده
 محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رجة سوار وهو
 من المشهورين قال انه صرفت يوما من دار المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام
 فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية لي أحادشا وأشتغل بها فلم تطب
 نفسي ودخلت وقت القائلة فلم يأخذني نوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت
 وأحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال
 ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني قال فخليت رأس
 البغلة حتى عبرت الجسر ثم عبرت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصرراء
 ثم رجعت الى باب الانبار فانهيت الى باب دار لطيف عليه شجرة وعلى الباب

عربية

خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم عندك ماء تسقيه قال نعم وقام فأخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجد اعلى الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعشى يتلمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد فقلت وما حاجتك فجاء حتى قعد الى وقال شملت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعم فأردت أن ألقى اليك شيئاً فقلت قل قال ترى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالنا عن النعم التي كنا فيها وعجيت فقدمت هذه المدينة فأتيته صاحب هذه الدار لاسأله شيئاً يصلني به وأستوصل به الى سوار فانه كان صديقاً لابي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان قال فاذا هو أصدق الناس كان لي فقلت له يا هذا فان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به فأقعه بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتم اليه وقلت له اذا كان غدا فصر الى منزلي ثم مضيت فقلت ما أحدثت أمير المؤمنين المهدي بشئ أطرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه فحدثته فأعجبه فأمر لي بألفي دينار وقال ادفعها الى الاعشى فنهضت فقال اجلس أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألف درهم فأمسك وجعل يحادثني ساعة وقال امض الى منزلك واذا بخادم معه خمسون ألفاً وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت ذلك منه فلما كان من الغد أباط أعشى الاعشى وأتاني رسول المهدي يدعوني فحثته فقال فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضاً ثم أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى قال فقبضتها ثم انصرفت فجاءني الاعشى فدفعتم اليه الالفين وقلت له قدرزق الله تعالى بكرمه وحسن معاملته باسداء المعروف اليك باضعاف ذلك ثم أعطيته شيئاً آخر من مالي وجهزته وانصرف * ومما يلتئم مع هذه القصة ويشفعها ويلتئم بها ويتبعها * قضية عبد الله ابن مالك قال كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي وكان يبعث الى في ندما وولد المهدي أن أضر بهم وأحبهم صيانة للهادي عنهم فبعث الى الهادي يسألني الرقيق بهم والتخفيف في أمرهم فلا ألتفت الى ذلك وأمضى لما يأمر به المهدي فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث الى يوماً فحضرت ودخلت عليه متكفناً متحنطاً واذا هو جالس على كرسي والبطع والسيف بين يديه فسلمت عليه

جوهرة

فقال لا سلم الله عليك تذكر يوم بعثت اليك في أمر الجزامي لما أمر أمير المؤمنين
بضربه فلم تجبني وفي فلان وفلان وجعل يعدد دمه فلم تلتفت الى فولي قلت نعم
يا أمير المؤمنين أفتأذن أن أتكم قال نعم قلت أنشدك الله يا أمير المؤمنين أيسرك
أنك وليتني مولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعثت الى بعض ولدك بأمر يخالف أمرك
فاتبعته أمره وعصيت أمرك قال لا قلت فكذلك أنا لك وكذلك كنت لا يسرك
فأسستدناني فقبلت يده فأمر بخلع أفيضت عليّ وخرجت من عنده وصرت الى
منزلي مفكرا في أمره وأمرى وقلت في أمرى يحدث القوم بالأمر الذي عصيته
فيه وهم يندمواؤه ووزراؤه وكما في بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه
عن رأيه فيّ وحملوه في أمرى على ما كنت أنتخوفه قال فاني لجالس وبين يديّ خبز
من رقاق مشطور بكافح وأنا أسكنه وأطعمه الصبية حتى توهمت أن الدنيا قد
اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت ها
والله قد جاء الأمر وإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وأمر المؤمنين الهادي
في وسطهم فلما رأيته وثبت من مجلسي مبادر فقبلت يده ورجله وحافر حماره
فقال لي يا عبد الله اني فكرت في أمرك بعد انصرفك فقلت يسبق الى قلبك اني
إذا جلست وحولي أعد أولئك الذين أسأت اليهم أنهم يزيلون ما حسن في رأيي
فيك فأقلعتك ذلك وأوحشتك ومنعتك القرار فصرت الى منزلك لا وانسك وأعلمك
أن الوحشة قد زالت عن قلبي فهات فأطعمني مما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت
تفعل حتى تعلم أن الوحشة قد زالت وقد تحرمت بطعامك وأنت بمنزلك فلا
تستوحش ليزول خوفك ووحشتك فأذيت منه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها
السكر فأكلك ثم قال ها توأما أحضرتموه لعبد الله من مجلسي فأدخلت بغال كثيرة
موقورة دراهم وأطعمة وقال هذه لك فاستعنت بها وهذه البغال أيضا وقد وليت
ما كان ولائها والدي المهدي ثم انصرف فوجدت من النعيم والخيرات والدراهم
والملايس ما لا حصل لي في طول مدة خدمتي المهدي وصرت بعد ذلك أعد نفسي
من صنائعه * ومما هو أوضع حسنا وأرجح معني ما قاله القاضي يحيى بن أكرم
قال دخلت يوما على الخليفة الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال أنعرف
قائل هذا البيت

ضريبة

الخبر أبقى وإن طال الزمان به * والشرأ أخبر ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأن مع عبيد بن الابرص فقال علي بعيد
فلما حضر بين يديه قال أخبرني عن قصة هذا البيت قال كنت يا أمير المؤمنين
في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت بصيحة عظيمة
في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال رجل من القوم لي تقدم
تري ما بال الناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاعرفاه كالجذع
يخور نخوار الثور ويرغو كغاء الابل فهالني أمره وبقيت لا اهتدي الى ما أعمل
في أمره فعدلنا عن الطريق في ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب
ولم يجسر أحد من القوم يقربه واذارحى بسهم نباعه ولم يعمل فيه فقلت في نفسي
أفدى هذا العالم بنفسى أتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا
فأخذت قرربة من الماء فتقلدتها وسلمت سيفي وتقدمت فلما رأني قربت منه
سكن وانا متوقع منه وثبة يزدرني فيها فلما رأى القرربة من الماء فتح فاه فجعلت
قم القرربة في فيه وصببت الماء كما يصب في اناء فلما فرغت القرربة تسبب
في الرمل ومضى ففجيت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه
ومضينا لجننا وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة
فأخذت سطيحة من ماء وعدلت عن الطريق ناحية فقضيت حاجتي وفرغت من
صلاتي وجلست مكاني والقافلة على حالها فأخذتني عيني فمتمم كاني فلما
استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا فلما لم أرا أحدا
ولم أهتد الى ما أعمل أخذتني حيرة وبقيت أضطرب واذا بصوت هاتف يقول
ولم أر شخصا

يا أيها الشخص المضل مركبه * دونك هذا البكر منا فاركه.
وبكرك الميمون أيضا فاجنبه * حتى اذا الليل أزال غيبه
فخط عنه رحله وسيدبه

فنظرت فاذا أنا بكرك قائم عندي وبكرى الى جانبه فأخذه وركبته فلما سرت
قدر عشرة اميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان
نزولي فتحوّلت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن فيا في تضل المدج الهادي
ألا تخبرنا بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي

وارجع حميدا فقد أبلغت مأمتنا * بوركت من ذى سنام رائج غادى
فالتفت الى البكر وسمعت منه الصوت يقول

انا الشجاع الذى ألفتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فحدث بالماء لما ضيق حمله * تكرر ما منك لم تمنى بانك كادى
فانحير أبقي وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب حميد ارجع الخالق الهادى

فحجب الرشيد من قوله وأمر بالقضية والايات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف
أين وضع * (خاتمة لهذا الباب) * فى كلمات من الحكم مرقومة ببراعة الفصاحة
واشارات من الكلم المنظومة من براعة الملاحه (منها) ليس من عادة الكرام
اسراع الانتقام فلا تأخذ بالثيمة ولا تنتقم مع القدرة ولا ترهق فى العفو وارحم
من دونك برحمتك من فوقك (ومنها) أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة
وأحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه (ومنها) من أحب أن يعفو الله
عن سيئاته ويتجاوز عنه فليعف عن هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيئاتهم ما لم يكن
فيه اسقاط حد من حدود الاسلام ويجاوز الى الوقوع فى حى الحرام (ومنها)
الانتقام من المذنب عدل والعفو عنه فضل ومحل الفضل أعلى والتحلى به أولى
وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب فى الحظ الوافر والنصيب الاوفر
(ومنها) اصطناع المعروف يقي مصارع السوء ويزرع المحبة فى القلوب ويكتب
الشكر على اللسان وينشر حسن السمعة فى الدنيا ويستميل الناس الى مدح
فاعله عند استغناؤه عنهم والى تلبية دعائه واجابة نداءه عند استغناؤه بهم والى
الاخذ بيده ان أحوجته حوادث الايام اليهم ويورث جزيل الاجر ويتخذ جميل
الذكر

(الباب العاشر فى مدح الصدق وذم الكذب)

مراتب المزايا فى مقام التفضيل بمقدار آثارها ومناقب السجيا عند ذوى
التحصيل بتفاوت مقدارها ومواهب العطايا بين أهل الرغبات تختلف
باقدارها ومطالب القضايا عند ظلم الشبهات تعرف بأوارها ولما كان الصدق
من أجل المزايا وأكمل السجيا وأشرف العطايا وأتم القضايا وانه من أعلى
الاصناف محلا وأعظمها منقبة وأحسنها سمعة وأنفعها أثرا ووجه صاحبه

الايض وباعه الا طول لاجرم كر الله تعالى ذكر الصدق ومدحه في مواضع
من كتابه وأثنى على من اهتمه وأقرب به فقال جل وعلا يا أيها الذي آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين وقال تعالى الصابرين والصادقين وقال تعالى مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء وقال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم
وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون والآيات في هذا
الباب كثيرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدق يهدي الى البر
وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وقال صلى الله
عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة
ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأما الكذب
فقد صرح القرآن الكريم في محكم آياته والحديث النبوي على السنة رواه
بما يشهد بقمع الكذب اما للآزمه واما لذاته وانه معدود في حق مباشره من أوزاره
وساياته ويكفي في ذلك قول الله سبحانه وتعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب
يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب
عند الله كذابا وقال صفوان بن سليم قلنا يا رسول الله أليكون المؤمن جبانا
قال نعم قيل أليكون كذابا قال لا * (ومما فيه زيادة استبصار وافادة
اعتبار انه كم من سبب دمار وعطب وبوار واتلاف من ذى اقتدار واثراف
على جرف هار عارضه الصدق فأبطل حكمه ومقتضاه وأزال أثره
وعفاه وزخرح صاحبه عن التلف ونجاه وألبسه لباس سلامة وسعادة
وكساه * وفي القصص التي جمعت الصحة بين متنها واسنادها وأجعت أئمة
العلم على نقلها وإيرادها ما فيه غناء عن كثرة الوقائع وتعدادها
واكتفاء عن مقدمات استدلالها واستشهادها (فنها) واقعة أصحاب الغار
وتلخيص معناها وذكرا أسنده اليهم يد الصدق من حسناتها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر من كان قبلكم يعيشون اذ أصابهم مطر فأووا الى
غار فانطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء لا ينبغي لكم الا الصدق فليدع كل
واحد منكم بما يعلم انه صدق الله فيه فقال أحدهم اللهم انى كان لي أبوان شيخان
كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا وتأخرت مرة فلم أر ح عليهما حتى ناما فخلبت

حكاية الغار

لهم اغبوقهم ما فوجدتهم ما نائمين ففكرت ان اغبق قبلهما أهلا وما لافلبيت
والقدح على يدي أرقب استيقاظهما حتى أشرق الفجر والصبية يتضاوون عند
قدمي فاستيقظا فشر باغبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا
ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منها قال النبي
صلى الله عليه وسلم قال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم أحب الناس الى راودتها عن
نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة
دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا يحل لك
أن تفض الحاتم الا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب
الناس الى وتركت لها الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير انهم لا يستطيعون
الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم اني استأجرت أجرا
فأعطيتهم أجرا غير واحد منهم ترك الذي له وذهب فتمرت أجرته حتى كثرت منه
الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أدا لي أجرتي فقلت كل ما ترى من الابل
والبقر والغنم والرقيق من أجرتك فقال يا عبد الله تستهزئ بي فقلت اني لأستهزئ
بك فآخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة وخرجوا عيشون * (ومنها قضية
الثلاثة) * الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتلخيص
معناها ان كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزاة
بدر في غزاة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاها وأذن النبي صلى
الله عليه وسلم الناس بالرحيل ليتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال
وطابت الثمار وكان صلى الله عليه وسلم قلما أراد غزوة الا ورى بغيرها ويقول
الحرب خدعة فأراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ان يتأهب الناس
أهبتهم وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شئ في نفسي على الجهاد
وخفة الحاذو أنا في ذلك أضفوا الى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام
النبي صلى الله عليه وسلم غاديا بالغداة وكان يوم الخميس وكان يجب ان يخرج يوم
الخميس فاصبح غاديا قلت أنطلق غدا الى السوق فأشتري جهازي ثم ألق بهم
فانطلقت الى السوق من الغد فعسر علي بعض شأنني فرجعت فقلت غدا ان شاء الله

نفيسة

أرجع وألحقهم ففسر عليّ بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى التبس لي
الذنب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أمشي في الأسواق
وأطوف بالمدينة فيحزني أن لا أرى بالمدينة أحدا إلا رجلا مغموصا عليه في
النفاق وكان ليس أحد يتخلف إلا رأى أن ذلك سيخفي له وكان الناس كثيرا
لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا
وثمانين رجلا ولم يذكروني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال ما فعل
كعب بن مالك قال رجل من قومي يا رسول الله خلفه برداه والنظر في عطفه
فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يابني الله ما علمنا عليه إلا خيرا فيبنيهم
كذلك إذا برجل يزول به السراب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كن أباحيثة
فاذا هو أباحيثة فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ودنا من المدينة
جعلت أذنك كرمي إذا أخرج من سخط النبي صلى الله عليه وسلم وأستعين
على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مصبحكم
بالغداة راح عني الباطل وعرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق ودخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضحى فصلى في المسجد ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه كل من تخلف
فيخلفون له ويعتذرون إليه فيسغفر لهم ويقبل علاتهم ويكل سرائرهم إلى الله
تعالى فدخلت المسجد فاذا هو جالس فلما رأني تبسم تبسم المغضب فجلست
بين يديه فقال لي ألم تكن ابتعت ظهرا فقلت بلى يا رسول الله قال فما خلفك قلت
والله لو بين يدي أحد جلست لخرجت من سخطه عليّ بعذر لقد أوتيت جدلا
ولكنني قد علمت يابني الله أن أخبرتك اليوم بقول تجدد عليّ فيه وهو حق فاني
أرجو فيه عفو الله وإن حدثت لك اليوم حديثا ترضي عني فيه وهو كذب أو شك الله
أن يطلعك عليّ والله ما كنت أيسر ولا أحف حادمني حين تخلفت فقال أما هذا
فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقممت فثار عليّ أثرى ناس من
قومي يؤنبوني فقالوا والله ما نعلمك أذنبت ذنبا قبل هذا هلا اعتذرت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعذر يرضي عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيأتي من وراء ذنبك ولا تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضي لك فيه فلم
يزالوا يؤنبوني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي قلت هل قال هذا القول أحد
غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين شهدا

بدر اقلت لي فيها أسوة وقلت والله لا أرجع اليه أبدا في هذا القول ولا أكذب
نفسى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ولم ينه عن كلام
أحد من المختلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا ولبثت كذلك حتى طال على الأمر
وما من شيء أهدم إلى من أن أموت فلا يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو
يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس تلك المنزلة ولا يكلمنى أحد
منهم ولا يصلى على قال فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلمنى أحد وتسكر لنا الناس
حتى ما هم بالذى نعرف وتسكرت لنا الشيطان حتى ما هم بالشيطان التى نعرف
وتسكرت لنا الأرض حتى ما هى بالأرض التى نعرف فكنت أقوى أصحابى وكنت
أخرج فأطوف فى الأسواق وآتى إلى المسجد فأدخل وآتى النبى صلى الله عليه وسلم
فأسلم عليه فأقول هل حرك شفتيه بالسلام فاذا قلت أصلى إلى جنب سارية تنظر إلى
بمؤخره يديه فاذا نظرت اليه أعرض عني واستتر ان صاحبى فجعل لي مكان الليل
والنهار لا يطمع ان رؤسهم ما قال فبينما أنا أطوف فى السوق اذ ارجل نصراني جاء
بطعام له يبيعه يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون إلى فأتاني
بصحيفة من ملك غسان فاذا فيها أما بعد فانه بلغنى ان صاحبك قد جفاك وأقصاك
ولست بد امر مضبغة ولا هو ان فالحق بنا نواسك فقلت هذا أيضا من البلاء فسجرت
التور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتاني فقال اعتزل امرأتك قلت أطلقها قال لا واسكن لا تقربها فجاءت امرأة
هلال بن أمية فقالت يابى الله ان هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي ان أخدمه
قال نعم واسكن لا يقرب بك فقالت يابى الله والله ما به حركة شيء ما زال مكبا بيكى الليل
والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال على البلاء اقتحمت على أبى
قتادة حائطه وهو ابن عمى فسلمت عليه فلم يرد على فقلت أنشدك الله يا أبا قتادة
أتعلم أنى أحب الله ورسوله فسكت حتى قلت ثلاثا قال الله ورسوله أعلم فلم أملك
نفسى أن بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجا حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم
جلست وانا بالمنزلة التى قال الله عز وجل قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت
وضاقت علينا أنفسنا اذ سمعت نداء من ذروة سلع أن أشر يا كعب بن مالك فخررت
ساجدا وعلمت ان الله قد جاء بالفرج ثم جاء رجل على فرس له بر كض يشرفى فكان

الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبى بشاره ولبست ثوبين آخرين قال وكانت
توبتنا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة يا رسول الله
ألا نبشر كعب بن مالك قال إذا يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليلة وكانت أم
سلمة محسنة في شأني تحزن لحزني فأنطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا
هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو مستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر
بالامر استنار فحُت فحُت بين يديه فقال اشرب يا كعب بن مالك بخير يوم أتى عليك
من ذولك أمتك فقلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند الله
ثم تلى عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقوله وعلى الثلاثة
الذين خلفوا الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب وفينا نزلت يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله ان من توبى أن لا أحدث الا صداقا
وان أخلع من مالي صدقة لله عز وجل ولرسوله فقال أمتك عليك بعض مالك فانه
خير لك قلت فامسك سهمي الذي بخير قال فما أنعم الله على نعمة بعد الاسلام أعظم
في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي
وأن لا يكون كذبا فهلكا كما هلك غيرنا وانى لارجو أن لا يكون الله أبلى أحدا
في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعدت الكذب بعد وانى لارجو أن يحفظني الله فيما
بقي فلو لم يكن للصدق ثمرة سوى النجاة من المكروه لكانت له شرفا فكيف وفيه
من الفوائد ما تقدم ذكره في أول الباب وحسبه ذلك وكفى فما أعظم بركته وأعمها
وأكمل النعمة به وأتمها ولهذا يقال من صدق نجا ووجد من التهلكة فرجا وأدرك
به ما أتم ورجا وجعل الله له ببركته من كل ضيق مخرجا * (زيادة وافادة) * كما أن
الصدق مجلبة لنجح كل طلب ومرتبة تنيل مفترعها من غوب كل أرب وهو على
التحقيق الى كل خير أقرب سبب فكذلك الكذب يفضي بصاحبه الى كل دمار
وعطب ويسود وجهه في العاجلة ويورده في الآجلة شر مورده ومنقلب وفي
القضية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالحق اجماعا المسعود
بهم من رزق تيقظا وانتقاا المقصود منها معرفة شقاوة الكاذب وسعادة الصادق
عيانا وسمعا ما يقوم بالقصد الاقصى في ذلك ويشير اليه ويقم للصدق زيادة
والكذب نقصا ويسجل عليه * (وهي قضية) * الاقرع والابرص والاعمى
وصورتها على ما ورد به اللفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ثلاثة من بني اسرائيل

حكاية

أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يتعلمهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد زنى الناس فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسناً وجلداً حسناً قال فأى المال أحب إليك قال الأبل فأعطى ناقه عشرة فقال بارك الله لك فيها قال فأى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عني الذي قد زنى الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً قال فأى المال أحب إليك قال البقر فأعطى بقرة حاملاً وقال بارك الله لك فيها قال فأى الأعمى وقال أي شيء أحب إليك قال أن يرده الله على بصري فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأى المال أحب إليك قال الغنم فأعطى شاةً والدةً أفانجاً هؤلاء فكان لهما واد من الأبل ولهما واد من البقر ولهما واد من الغنم قال ثم إنه يعني الملك أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطع بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفرى قال الحقوق في المال كثيرة فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرصاً بقدرتك الناس فقيراً فأغناك الله فقال انما ورثت هذا المال كإبراعن كإبرق قال ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال له هذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبييل انقطع بي الحبال في سفرى فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفرى قال قد كنت أعمى فرد الله بصري فخذ ماشئت ودع ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله تعالى فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فقد رضى عنك وخط على صاحبيك وعادا الى ما كنا واهنا هذا يقال من شيمته الصدق يجتنى عروس السلامة ويحتنى عروس الكرامة ومن شيمته الكذب يحتسى كؤوس الملامة ويكتسى لبوس الندامة

(خاتمة لهذا الباب) في الحكم التي ضاع نشرها وقاح وما ضاع نشرها وطاح (منها) الصدق ميزان العدل وعنوان المروءة وعلامة الكرم وسجينة النفس المستعدة لاقتناء الفضائل والكذب ميكال الجور ومعدن الاثوم وقرين سوء العقيدة وشاهد على النفس الباعثة عليه باتصافها بالذائل (ومنها) لو لم يكن الصدق سبباً

للتواب والثناء لتعين على العاقل فعلة حسنة ولولم يكن الكذب سببا للعقاب والذم لتعين على العاقل تركه لتجنبه فكيف والصدق سبب المرغوب والكذب سبب المرهوب (ومنها) الصدق عز والكذب ذل والنفوس الزكية تميل الى العز وتتفر عن الذل فلهذا يؤثر الصدق ويجتنب الكذب (ومنها) لامروءة للكذب ولا أمانة لغادر كما انه لا وفاء للملول ولا رياسة لفجور (ومنها) الصدق لصاحبه سيف فاصل وحاكم فاصل وعز حاصل وحمد متواصل والكذب لصاحبه لؤم عاجل وعار شامل وسم قاتل وذم آجل

* (القاعدة الثانية في السلطنة والولايات) * ومقصود القاعدة يشتمل على بابين * (الباب الاول في السلطنة وما يتحلى به السلطان من الصفات وما يعتمد عليه لاقامة لوازمها للموظفات) *

* (الباب الثاني في الولايات التي تدار بالمملكة عليها وزمام مصالح الدولة بيدها وبيان طبقاتها التي مرجع أمورها اليها) *

* (الباب الاول) * في السلطنة وصفات من خصه الله بها فأكرمته وأعلى قدمه على رؤس العباد وقدمه * السلطنة سر من أسرار الربوبية يناط بها العباد ويحفظ بها البلاد ويقطع بها العناد ويجمع بها المراد من حميد المزايا وشرف السجايا بما أدناه حراسة الرعايا وسياسة البرايا وقد امتن الله تعالى على كليمه موسى حين استضعف نفسه عن أداء رسالة ربه وخشى اعتراض مقدورات معجزة عن تبليغ رسالته وكتبه وخاف أن لا ينهض منفردا بثقل ما أمره الله تعالى به فسأل الله جل وعلا اسعاده في ذلك بأخيه هارون فقال وأخى هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردئا يصدقني اني أخاف أن يكذبون فأجابه الى مسؤله وأجناه من شجرة سؤاله ثمرة سؤله ومنحه سلطنة يقصر عن تأميل ادراكها الطالبون ولا يقدر على مناها بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تعالى سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليك بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالسلطان في الحقيقة قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله واقامة حدود الله وحفظ أحكام الله قد ارتضاه الله من خليفته وأمرهم بطاعته ورسوله في السر والجهر والمعنى بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر وهو بالاتفاق نزل الله في أرضه وبه تقام شعائر سنينه وفرضه وعلى الجملة فشرف السلطنة جسيم

وقدرها عظيم ومحملها كريم ونفعها عظيم ومن أراد كشف الحجاب عن بصر بصيرته ليدرك فضلها ويعلم نيلها ويستوضح سبلها ويكون أحق بمعرفة ثواب أهلها فلينظر إلى آثار السلطنة وثمرتها ويعتبر لوازمها التي بها يستدل على شمول منفعتها إذا الأشياء تعرف بآثارها ويستدل بعظم نتائجها على خطر أقدارها وثمرتها السلطنة حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الأموال وإدراك الرزاق وإقامة المعاش ونشر العلم وإظهار الدين وذلك يقع الظلمة وردع البغاة ومنع المتعدين والانتقام من المفسدين فتأمين السبل وتوفير الدواعي على مصالح الدين والدنيا فأى منقبة أنفع وأفضل وأى منزلة أرفع وأكل وأى مرتبة أجمع للزاياء وأشمل من حالتها انتظام مصالح الدنيا وهى قوام الآخرة والاولى فانه عند التحقيق لولا السلطنة لما قدر طائع على أوراك طاعته ولا خاشع على إقامة عبادته ولا زارع على القيام بزراعته ولا مباحض على استرباح بضاعته ولا صانع على اجتناء ثمره صناعته ولا رافع فى رياض الجنة بتلاوة الذكر على تحصيله ودراسته ولا قاطع مفاوز الفلوات بلوغ مطالبه وحاجته فانه بتأييد السلطنة ينتج لكل انسان مقاصد حركته و يبلغ كل عامل بسعيه غاية أمنيته ويدرك خائب الدنيا منها غاية مأربه ويحصل الراغب فى طلب العلم على مطلوبه وبغيته فكان السلطان قد عبد الله تعالى بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر وحامده واذا كانت هذه فضيلة قد أغاض الله تعالى على السلطان سابغ لباسها ورزقه يانع غراسها وأدركه أخلاف نعمتها بلباسها واصطفاه لهذه التهمة والموهبة فرضى به للامة وأجناسها فخير به أن يقابل هذه المنحة من الله تعالى بإقامة شعائرها فى موافقها ويحلى نفسه النفيسة بما استطاع بصفات عوارفها ويعلم أن الله تعالى قد فرض عليه أمورا لا بد من القيام بوظائفها من عقيدة صالحة سوية وطريقة هادية مهديه وسيرة حميدة مرضيه وأخلاق طاهرة مرضيه وأعمال صالحة زكية وهمة موفقة عليه وقد استقصينا تفاصيل الاخلاق والحلال المرغوبة المستحسنة والشيم المستفحمة المستهجنة وشرحنا ما يتعين اكتسابه وما يجب اجتنابه وبسطنا القول فى أقسام ذلك فى القاعدة الاولى غير أنه لا بد فى هذه القاعدة من الإشارة الى ما يخص السلطان كن الله له عوناً وعضداً وأقام له من ملائكته المقربين مدداً وسلك به الى بلوغ كل سعادة وزيادة جاداً لا ينقطع أبداً * فأقول ان الله تعالى

خلق الانسان وجبله على أخلاق قل أن تحمد جميعها أو تذم كلها بل الغالب كون بعضها محمودا وبعضها مذموم وهذا قيل قديما

وما هذه الاخلاق الا طبائع * فمن محمود ومنهت مذموم

غير أن من علت هــمته وانصرفت الى معالى الامور عزيمته ورغب فى أن يكون أخلاقه كلها حميدة تعرف بها سمته لا بد له من رياضة تأديب وتدريب وتكليف فلم يلبث الا هنية حتى تستقيم له أخلاقه طبعها وبعضها تطبعها ويعلم أن شريف الاعمال لا تتصرف فيه الا بشريف الاخلاق والخلال وقد نبه الله تعالى على ذلك فى القرآن الكريم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فان النبوة لما كانت أشرف مراتب الخلق ندب لها من قد حاز فضائل أشرف الاخلاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتم مكارم الاخلاق ولما كانت السلطنة عالية المقام معدودة من الرتب العظام مضبوطة بطايعها مصالح الانام مرفوعة القدم على قم الخاص والعام كان جديرا بمن تسربل أثوابها وتفوق شرايها وأحرز نصابها أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها ويروضها فى أفعالها ويعلم أنه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر وقديما قيل لا ينبغي لذى لب وعقل أن يطمع فى طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممنوعة كما قيل

أطمع أن يطيعك قلب سعدى * وترغم أن قلبك قد عصا كا

وقد ترين نفس الانسان له حسن الظن بها فاعتقد أنه متصف بحسن الاخلاق فيعرض عن مراعاتها وينقاد بزمام الرضا عنها الى متابعتها فى شهواتها فيبقى وهو لا يعلم فى أسر هواه مرتعا معدودا بمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فتقوى نفسه عليه حتى تغلب عقله ويلعب به هواه حتى يستنفذ فى شهواته فعله ويكتشفه صوارف غفلاته عن تأمل اصلاح شأنه فينسى به فرعه وأصله فلا يشعر الا وقد أشرف به الصلف على التلف فافسد أمره كما فى استظهر على هذه الحالة من مبدأ أمره واعتبر بمواقف ترين النفس الامارة ببصيرة فذكره وحصر أسباب التزيين فقطعها بشباب صبره وزجر قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه فانتادت طوع عقله فى سر وجهه كن خليقا أن تتقلب خلائقه الذاتية حميده وطرائقه المائبة سعيدة ونظراته فى تصارييف الحركات والسكات سديده فلا جرم تكون ملكته دائمة ومدة سلطنته مديدة ولا يدرك لهذا الاستظهار بعين اليقين

لغامنثور اولو نظمها الجوهرى فى سمط الصحاح * فهذه الاشياء الخمسة يتعين على كل ذى فطنة ونبل ودراية وعقل لاسيما من له نفس شريفة وهممة عليه وتطلع الى معالى الامور أن يصون شرف نفسه وعلو همته وعز سلطانه وحسن سمعته عن شئ من هذه الاسباب التى هى أم النقائص ويتبوع الرذائل فنها يتطرق تزيين الفضائح وتحسين القبائح فانه قل من كانت فيه الاختلات أحوال ملكه واضطربت قواعد دولته ونفرت عنه قلوب أتباعه وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله لسهام أعدائه ومالت عنه خواطرناصريه واتسعت فيه ألسن الطاعنين لسعة مجال المقال وسقط وقعه من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعده والخوف من وعيده فواجب على السلطان أن يحمى نفسه الشريفة عن أن يتطرق اليها شئ من هذه النقائص كما يحرس مناجه الكريم عن مولدات عوارض الامراض واذا حماها من ذلك فتعين أن يتحلى بما يزداد به مهابة ووقارا ويكسبه عظمة ونفارا ويعلى له فى العالم شأن ومنارا ويبقى له على الابد ذكر واثر اواثابه على شئ منه تنبيهها اعتماد فيه اقتصارا واختصارا فعليه أن لا يسارع الى اتباع الشهوات وأن يتثبت عند اعتراض الشهوات وأن يجانب سرعة الحركات وخفة الاشارات ويديم الطراق طرفه وملازمة صمته الا عند الحاجة فى أكثر الاوقات فان أنفاس السلطان ملحوظة وألفاظه منقولة * ولقد قيل تكلم أربعة من حكماء الملوك بأربع كلمات كأنها مقبضة من جاذوة نور مجموع أو منتجة من قرارة ينبوع فقال ملك الروم أفضل علم العلماء الصمت وقال ملك الفرس اذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وقال ملك الهند أنا على ردى ما أقل أقدر منى على ردى ما قلت وقال ملك الصين ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت فهذه الحكم الرائقة والاشارات الفاتقة والمعاني المتوافقة صدرت من هؤلاء العظماء والملوك الحكماء وتطابقت خواطرهم عليها وتوافقت اشارتهم اليها مع تباين أزمانهم وتباين أعمارهم وفى ذلك دلالة على شرف الصمت وعلو رتبته وقديما قيل انما خلق للانسان أذنان ولسان واحد ليكون ما يسمعه أكثر مما يقوله فاذا دعت الحاجة الى الكلام فليعتبره قبل أن ينطق به فان كلام الانسان ترجمان عقله وبرهان فضله فاذا تكلم بكلام جانب الاكثار فانه قيل من أكثر كلامه أكثر ندمه ويختار عند الكلام أعذب الالفاظ وأحسنها وأجزأها وأثبتها وقد اختار

الحكام للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم ويجعل وعيده بالتأديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبة والانزجار ومصلحة اجتناب الاثم بمجاوزة الحد والمقدار فقد قيل ان آيات ~~كر~~ الصديق رضي الله عنه كتب الى عكرمة وهو عامله بهمان يقول احذر ان توعده في معصية بأكثر من عقوبتها فانك ان فعلت أثمت وان لم تفعل كذبت وكلالا امرين ذميم ويجهتد السلطان في منع نفسه من الغضب فان الغضب شر قاهر وأضرر معاند مجاهر وهو اذا غلب أعظم الاشياء فساد النظام والآراء وأبلغ الامور تأثيرا في انتقاض قواعد التدبير فان قدره الله عز وجل في بعض الاوقات والاحايين فلا يعض السلطان في تلك الحالة فعلا ولا ينفذ حكما وقد يما قيل احترز عظماء الملوك من الغضب حتى نقل ان ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا رأيته قد غضبت فادفع الى هذا الكتاب ولا تؤخره فمكنا فيه مكتوب مالك والغضب لست بأله معبودا انما انت بشر مخلوق ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وكما يجب الاحتراز والاحتراز من الغضب فكذلك يجتنب اللجاج فانه أليف الغضب وحليف العطب وهو مما يثير الزل في العاجل ويسفر عن الندامة في الآجل ويدفعه عنه بعلمه ان الرجوع الى الحق خير من التماس في الباطل ولا يستعمل في الناس كلهم حالة واحدة بل يعتمد من الحالات في كل قضية ما يليق بحال صاحبها من لين وشدة واقبال واعراض واحسان واساءة وعفو وعقوبة وتجاوز وانتقام واقدام واجحام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور وجوب فان استعمال كل حالة في محلها مع مستحقها أكمل تدبيرا وأتم رأيا وأجمع لشمل مصالح الملك ووضعها في غير محلها أفضى الى توقع الضرر ومفتاح لباب العطب فان طباع العالم متفاوتة وأخلاقهم متباينة فمنهم من يصلحه الاقبال عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين على السلطان استمالة الاعداء وأهل الاحن من ذوي القدرة ويجتهد في اصلاحهم فان لم ينجح فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المداواة اللائقة بهم الى أن يلوح له وجه الفرصة وتمكنه المؤاخذة بالانتقام فينتهز ذلك بالمبادرة اليه ولا يؤخره عن وقته فان تأخير مضر واهماله مفسد وليعلم السلطان أن من أهم الاشياء نفعا وأعظمها في مصالح الملك وقعا كتمان سره واخفاء أمره

وأن لا يطلع أحد على ما قد عزم على فعله قبل تمامه ولا يتحدث بما يريد من المهام قبل ابرامه فان ذلك من أقوى أسباب الظفر وأنكى في قلوب الأعداء وأعون على نجح المقاصد وقد نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال استعينوا على الحاجات بالسكتمان ونقل عن علي كرم الله وجهه سر ك أسيرك فان أظهرته صرت أسيره لكن من الاسرار والامور ما لا يستغنى فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخلص يرى من طاعته لز به مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان برأيه على المهمات وينتفع بفكره في الحوادث ولا يركن فيه الى أحد ولا يثق بكل متلق ومتى حدث أمر من الامور الجلية يكثر الاستشارة فيه ممن يراه أهلا لذلك ويسمع رأى كل واحد منهم على انفراد وينظر في جميع ما سمعه ويعمل بمقتضى ما هو الاقرب الى نيل المطلب والاصوب في دفع المرهوب ولا يهمل الاحتراز والحذر في عواقب الامور وما يقول اليه ويجهد أن لا يفتع بابا يعيبه سده ولا يرمى سهما يعجزه رده وقد قيل قديما

وياك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر
ولا يجعل السلطان أوقاته مصروفة الى نوع واحد فان ذلك ان كان جذا واجتهادا في مصالح الملك والنظر في تدبيره ضجرت النفس منه وسمئت الفكرة فيه وربما أدى الى خلل وساق الى زال وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نفسي مطيتي فان أجهدتها كبت بي وان كن ذلك وقضى شهوة أدى الى تضييع الملك وفساد أموره ووقوع الخلل فيه بل عليه أن يقسم أوقاته فيصرف منها قسطا يخصه بضرعه الى الله وقيامه بشكر نعمته وأداء عبادته وكما انه يقسم أوقاته فيخلص كل وقت منها بحالة لا ثقة بذلك الوقت لا يليق أن يوقع فيه غيرها كوقت ركوبه في جاري عادته ووقت نظره في مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف قضايا رعيته ووقت دخول الجند لاداء وظيفه خدمته ووقت استحضار من يحضر من الرسل لاداء رسالته ووقت سكونه ومنامه وقيلولته ووقت استئناسه بمن يحضره بمحادثته ووقت قيامه بفرض الله تعالى وعبادته ولكل حالة من هذه الحالات وقت من الاوقات لا يتعداها وزمن منسوب اليها لا يليق به سواها فلو أوقع كل حالة في وقت غيرها لارداها وما أداها ولا خلها عن صوب الاصابة وما هداها فكذلك يتعين

عليه ان يستعين في الاعمال بكفاة العمال ويعتمد في المهام الثقيل باجلاد الرجال
 فيفوض كل عمل الى من قدمه مراسخ في معرفته وأيدته يد باسطة في درايته وتجربته
 ولا يفوض كل عالم الى جاهل ولا نبه الى خامل ولا مستيقظ الى غافل ولا ذي حلية
 الى عاقل فان فعل ذلك فقد باع حقا بياطل واعتاض عن قس بياقل وسلط على
 الدولة لسان كل قائل وقد عاقل من استعان في عمله بغير كفوء أضاعه ومن فوض
 أمره الى عاجز عنه فقد أفسده وأضاعه وليحذر كل الحذر من تولية أحد أمرا
 من أمور المملكة الدينية والدنيوية بشفاعة شفيع أو رعاية لحرمة أو لقضاء حق
 اذ لم يكن أهلا لقيام بماولى ولا ناهضا بأعباء ما استكفى ولهذا قيل من قلده عمله
 بالدراية والكفاية غنى عمله وسلم ومن قلده بالرعاية والشفاعة ذوى عمله وندم فان
 أحب مكافأة أحد من هؤلاء كافأه بالمال والصلوات وقطع طمعه عما لا يصلح له من
 الولايات ليكون قاضيا حقوقهم بماله لا بملكه وهذا المعنى الذى كان يعتمد
 كسرى لاحكام قواعد ملكه وتأيدته وانما مقاصد تدبيره وتأكيده حتى وضع
 على بابه خشبة من ساج منقوشة بالذهب عليها مكتوب * الاعمال للكفاة والحقوق
 على بيوت الاموال * ولهذا قيل أى ملك ملك جده هزله وقهر رأيه هو اهواه وعبر فعله
 عن ضميره ولم يخدعه رضاه عن حقه وفوض كل عمل الى مستحقه واستعمل
 بالكفاة لا بالشفاعة ولم يأخذ بالسعاية قبل الكشف ولا استهواه تعرض
 المتعترضين فهو خليف باستحقاق المملكة وارتداء جلبابها جدير بها وان لم تكن
 أو امره وعناصره من أربابها * (تجديد افتتاح وتأكيده ايضا) * يتعين على من
 رزقه الله نعمة السلطنة وحلاه بعقدها وآتاه أزمة حل الامور وعقدها وجعله
 نائبا في حماية بلاده ورعاية عبادته فاليسه مآل مرجعها ومردّها أن يصرف عين
 عنايته وتطير يقظته في عشرة أمور * الاول حفظ بيضة الاسلام والدين في ناحيته
 لئلا يقوى عليه شوكة كافر أو يصل اليه يد فاجر وذلك باقامة الامراء والاجناد *
 الثانى يتعهد الاعمال والحصون والثغور باعتبار أحوال ولائها واختيار
 رجال حمايتها والبدار في اصلاح عمادها و ذخايرها ومهمات * الثالث
 السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين فان بهما يتم سعى الرعايا لتحصيل
 المعاش والاعقوات ويعم نفع الانسان بالاسفار التى لا تحصل الا بأمن
 الطرق * الرابع اقامة حدود الله تعالى المانعة من ارتكاب المحارم الوازنة

من اقتراب الجرائم الرادعة عن اكتساب المظالم فقد جعلها الله تعالى لحفظ النفوس وحراسة الاموال وأمر باقامتها فلا يحل اسقاطها بشفاعته ولا سؤال * الخامس دوام تمسكه بجبل الشريعة والتزامها واعتماده في أمره على نفعها وابرارها واعتباره أمور القائمين بأحكامها واعتناؤه باقامة قضائها وحمامها فنصب صلحاء القضاة لتقطع النزاع وصيانة الاموال والحقوق عن الضياع ويحفظ ذلك من أن يمتد اليه يد الانقطاع من ذوى الاطماع واقامة العقود المحتاج اليها على مالها من الاوضاع * السادس اقطاع الامراء والاجناد وأرزاق ذوى الحقوق من العباد وترتيبهم على مقدار منازلهم وأحوالهم وتفصيلهم بما يوجب تفاضل الاحتياج اليهم في أعمالهم * السابع جهات الاموال لاجتلاب أنواعها ومواطن الغلال التي بها تقوية البلاد باعتبار مزارع ضياعها وأن لا تؤخذ الا بالحق والعدل فهو أكبر حارس لها من ضياعها (الثامن) استخدام الكفاة والامناء واستعمال النعماء والاقوياء لتسكون الاحوال بكفاءتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة وبأمانتهم ونصحهم محفوفة محوطة * التاسع أمور العامة بان يجلس لها في وقت من الاوقات لكشف المظالم واقامة فرضة العدل لازالة التظالم * العاشر التطلع الى متجددات الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدد منها مخافة طريان مكروه ومخذور بان يجعل له عيوناً بصيرة ودورها وثقات يعتمدون لرصدها فان حوادث الاقدار تقلب الموافق مخالفاً والامين خائناً والناسخ غاشياً والسالك مضطرباً فاذا تطلع الى معرفة متجددات الاسباب ظهر له الخطأ من الصواب وعلم الحق من المراتب فبادر الى اصلاح الخلل وازالة الاضطراب بهذه الامور العشرة الاصول التي ينشأ منها شعب متفرعة وهي قواعد واسخ تبنى عليها أحكام متنوعة فاذا لحظها بعين يقظته وأدخل نسكها في باب معرفته حتى حوزة ملكه وقام بجوابه لله تعالى عند مساءلته فان السلطان نائب الله في خلقته وراعى أمورهم وكل راع مسؤول عن رعيته

(الباب الثاني في الولايات)

قد تقدم القول مشروحاً في الباب الاول فيما يعتمد السلطان وهذا باب معقود لبيان ما يعتبر في القائمين بمصالح المملكة المباشرين تفاصيل أحوالها فان السلطان وان كان يعتمد التطلع والنظر في ذلك فانه نظر كلي اجمالي غير تفصيلي ويكون النظر

في التفصيل والقيام بجزئيات الامور والاعمال مفوضا الى من أقامه السلطان
 وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه فعلى السلطان في ذلك وظيفة * الوظيفة
 الاولى ان يعلم انه نائب قد أقامه تعالى في عباده وارتضاه من بين خلقه لرعاية بلاده
 فيعمل في نيابته عن الله ما يجب أن يعمل من يستنيبه من محاليكه وعييده على وفق
 مراده * الوظيفة الثانية أن يجهد رأيه ويعمل فكره في اختيار من يفوض اليه
 شيئا من أعمال عملائه ستة ويستخدمه في بعض أحوال دولته ويوليه أمرا من
 أمور رعيته فان أفعالههم اليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة * وقديما قيل
 وزير الملك عنه ويده وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه ورسوله لسانه فيعتبر فيمن يوليه
 أربع صفات لابد منها المعرفة والديانة والكفاءة والامانة فان تفويض الامر الى
 من لا معرفة له به ولا علم عنده فيه جدير باضاعته والى من لا دين له ولا تقوى فيه
 جدير بافساده والى من لا كفاءة فيه ولا نخصة له جدير بوقوع الخلل فيه والى من لا
 أمانة له جدير باجتناء ثمره عمله لنفسه فهذه الصفات الأربع هي عناصر صلاح
 الاعمال بالعمال ومواد نجاح مساعي ولاية الاحكام والاموال وقد أشار القرآن
 الكريم في قصة يوسف الصديق عليه السلام الى اعتبار هذه الصفات حيث قال
 انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزان الارض اني حفيظ عليم فالمكانة
 والامانة والحفظ والعلم أصل فيما ذكرناه من الاوصاف الأربع ثم الديانة والامانة
 وصفان معتبران على الاطلاق من غير اضافة الى أمر معين ولا عمل مخصوص اذ
 لا يمكن ثبوتهما بالنسبة الى جهة ونفهم ما بالنسبة الى جهة وأما الكفاءة والمعرفة
 فهما وصفان اضافيان يختلفان باختلاف الاعمال فانه قد يكون الانسان كافيا في
 عمل عارفا به ولا يكون كافيا ولا عارفا بعمل آخر غيره فالاعتبار حصول الاوصاف في
 المتولى بالنسبة الى العمل الذي فوض اليه واعتمده عليه وهذا تفصيل لطبقات
 الولايات وهي خمس طبقات * الاولى الوزارة * الثانية الولاية للانشاء والمكاتبات
 * الثالثة ولاية الجيش والجنود * الرابعة ولاية ديوان الاموال * الخامسة سائر
 الحاشية * الطبقة الاولى الوزارة الوزير هو قطب الدولة ومدارها وزند المملكة
 وسوارها يستضيء السلطان في ظلم المهام بأنوار تدبيره ويحمل عنه أعباء
 ما يحدث من قليله وكثيره وجليله وحقيقه وقبيله ونقيضه فعليه بدل مجهوده
 ليصيب الصواب بسهام هممه و يصوب أنوار آرائه فينجس من التدبير عيون

دعيه فلا بد للملك من وزير يعضده ومدبر يشقف المناذير ويؤيده وقد صرح الكتاب
والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به في التدبير فقال سبحانه وتعالى في قصة
موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً من أهلي وقال عز وجل ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ولي شيئاً
من أمور الناس وأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكره أعانه
وإذا أراد غير ذلك جعل له وزيراً سوءاً إن نسي لم يذكره وإن ذكره لم يعنه * واختلف
الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه * أحدها أنه مأخوذ من الوزير
وهو الثقل فإن الوزير يحمل عن الملك أثقاله * وثانيها أنه مشتق من الوزير وهو
المجأ ومنه قوله تعالى كلاً لا وزيراً أي لا ملجأ فالملك يلجأ إلى رأي الوزير ومعرفته
وتدبيره * وثالثها أنه مأخوذ من الأزر وهو الظاهر ومنه قوله تعالى في قصة
موسى عليه السلام أشد به أزرى أي أقوى فظهرى فالملك يقوى بالوزير كقوة البدن
بالظهر ولما كان هذا المنصب في نفسه جميلاً كان المتأهل للقيام بوظائفه قليلاً
فإن المتقدمين من فضلاء العظماء ذكروا في صفات مباشره شرحاً طويلاً وحلوا من
حمل أمانة الوزارة من الأوصاف المعيرة عبثاً ثقيلاً وألخصها ما كتبه المأمون
في اختيار وزير ليرتاد إليه فقال اني التمسيت لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير
ذاعقة في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وحنكته الوقائع
وأحكمته التجارب ان ائتمن على الأسرار قام بها وان قلده مهمات الأمور نهض
فيها تسكته الحكمة وينطقه العلم تكفيه اللحظة وتغنيه اللحظة له صولة الأمور
وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن إليه شكر وان ابتلى
بالإساءة صبر لا يبيع نصيباً من يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بخلاصة
لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ولقد أشار في هذه
الكلمات الموجزة والألفاظ المختصرة إلى رموز تحسبها كنوزاً وفي رزقه
المستور ووصفه للرجل المذكور بيان غرضه بمهمات الأمور ومن نهض بمهمات
الدولة وأمور المملكة وانتصب لها لزمه أن يحمل أثقالها ويبرح اختلالها
ويصلح أحوالها ويحفظ رجالها ويثمر أموالها ويستخدم الكفاة الثقات
ويواليهم أفعالها ويلزمهم محبة المعدلة واعتدالها ويحذرهم عاقبة الظلم ووبالها
وينكاهم نكال الظلمة الخونة ومآلها ثم يتفقد تفاصيل أحوالهم ويراعى تصرفهم

في أشغالهم وبتطلع سرا وجهرا الى أقوالهم وأعمالهم فمن وجدده منهم قد نسي ذكره أو غفل عن شيء بصره أو أخطأ عن سهو عن البدور عذره ومن أحسن منهم في عمله وثمره وقام فيه بواجب حقه ووفره خصه بزيادة رعايته وأعلى مكانته وشكره ومن خان عهد أمانته وفطرط في ولايته عاقبه وعزله وعززه ويعتني بجهات الاموال وحراسة أسرارها وفتح أبوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها وبث الاحسان في مظان اكتسابها واعتماد العدل والانصاف في استخراجها واجتلابها فان كثرة الاموال وقلتها بقدر المعرفة باحتياجاتها من شعابها من جزي مقرره وتجائر معشره وأخرجة محضرة وعشور محترره وقسم مقتدره وغنائم موفره وفي من جهات غير منحصره هذا الى زكوات واجبه وأجور لازمة لازبه وديات دماء ذاهبة ومحرر مناخات راتبه ومستخرج معادن غير ناهية وعداد نعم سائمة لاسائبة وظوائف عن أكرمة عاملة ناصبة الى غير ذلك من تربع مزارع وتوزيع قطائع وتوسيع مراتع وتفريع مواضع وترجييع طوائع فهذه جهات أموال جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها وممكن من استيفائها سلوك طريقها ومنهاجها وفرض فيها حقوقا يجب رعايتها عند صرفها واخراجها فاذا أقام وزير المملكة في جهات الاموال نوابين لهم تفصيل هذا الاجمال وحرصهم على حسن التوصل الى استخراج الاموال وهرفهم الطرق المفضية اليها للثلايشته عليهم الحرام بالحلل وأمرهم باتباع الحق واجتناب الباطل على كل حال ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من أن يكون وزير تفويض أو وزير تنفيذ فان لكل واحد من هذين القسمين حصة كما يخصه ووضعها يلزمه فان وزارة التفويض أعلى المرتبتين وأعظم المنزلتين وهي أن يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكة والدولة برأيه وبسداده ويجعل اليه امضاء أمورها بمقتضى نظره واجتهاده فهذه ولاية لا يكفي فيها مجرد الاذن بل لابد من عقد وتصريح فيقول قلدتك ما الى نيابة عني أو قد استنبتلك فيما الى أو ما يقوم مقام ذلك فلو قال فوضت اليك وزارتي أو ذكره بصيغة الجمع للتعظيم وقال قد فوضنا اليك الوزارة ففي انعقاد وزارة التفويض بهذا القول وحده خلاف والمختار أنها تنعقد وتحصل الولاية فيستفيد بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم في أمور المملكة والتصرف في أحوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل والطلاق وبذل واستخدام وقطع واعطاء

ومنع ونقص وزياده ولبداء واعاده وتسلط على كل ما للسلطان فعله من أمور
 المملكة الاعلى شيئين فانه ليس له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزارة
 أحدهما اقامة ولي العهد الثاني عزل من ولاه السلطان وأقامه فان فعل ذلك
 وأقدم عليه فانه لا يتخذ ولا يعتبر شرعا * ووزير التفويض وان عمت ولايته وشارك
 السلطان في حكمه فعليه وظيفة لا بد له من اقامتها ويجب عليه فعلها وهي أن يطلع
 السلطان بما أمضا من عمل وما أنفذه من ولاية وتقليد وعلى السلطان أن يتأمل
 أعمال الوزير وما قد أصدره عن الرأي والتدبير ويتفقد ذلك فما وجد
 على وفق الصواب قرره وتركه * وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه *
 فهذه زبدة ملخصة ونبذة مختصرة في وزارة التفويض * وأما وزارة التنفيذ
 وهي دون وزارة التفويض فان حكمها أضعف وشرطها أقل اذ السلطان
 هو القائم في المعنى بالتدبير فيها والقضايا صادرة عن رأيه ونظيره وهي ان يقيمه
 السلطان واسطة بينه وبين الناس يؤدى عنه ما أمره ويطلبه بما يرد عليه ويتخذ
 ما أمره ويسمع جوابه فينقله كما ذكره فهذه الوزارة لا يفتقر في صحتها الى عقد
 وتقليد بل يكفي فيها مجرد الاذن ولا يعتبر في المؤهل لها من الشروط ما يعتبر
 في القسم الاول لكن لا بد ان يكون أمينا فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه
 وأن يكون صادقا بحيث يعتمد على انمايته ويعتقد على قوله في اعادته وابدائه فان
 الكاذب لا يوثق به وأن يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ولا يخدع
 بالتحف في شئ من القضايا وأن لا يكون بينه وبين الناس تشاجر وتباغض يحمله
 على ترك الانصاف ويحتمه على الاجحاف والاعتساف وأن يكون عنده فطنة
 حسن ويقظة نفس ايا من التدليس عليه واشتباة الامور لديه وأن يكون خاليا
 عن الاهواء فان الهوى خادع الالباب قاطع طرق الصواب وفي الحديث السوى
 ما يكمل به هذا الغرض ويتم وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعي
 ويصم فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ولا النظر في المظالم
 ولا تقليد متول ولا اقامة متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف في أموال
 بيت المال بقبض المستحق منها وصرف الواجب فيها وهذه كلها من أعمالها ووزير
 التفويض ولا جل التفاوت بين الولايتين والفرق بين المنزلتين جاز أن يكون وزير
 التنفيذ ملوكا ولا يشترط أن يكون حرا وراز أن لا يكون عالما بأحكام الشريعة

وجاز أن يكون جاهلاً بأمر الحرب والخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان
والرعية مظهر ومخبر ولا يشترط في قبول الخبر الحصرية ولا المعرفة المذكورة ولا العلم
بتفاصيل الشريعة وهل يشترط في هذا الوزير الاسلام حتى لو أقام السلطان وزير
تفيد من أهل الذمة كان جائزاً أم لا اختلف آراء الائمة في ذلك فذهب عالم
العراق الامام أبو الحسن علي بن حبيب البصري رحمه الله الى جوازه وذهب عالم
خراسان امام الحرمين أبو المعالي الجويني الى منعه وعد تجوير ذلك من عالم العراق
عثره لن تقال وخطأ فيما قال وهذا بخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط
معتبرة من جملة ما تقدم بيانه من الاوصاف في حق المباشرينها * (الطبعة الثانية) *
كتابة الانشاء لا بد قبل بيان المقاصد وبيان القواعد من ذكر شي من أصل الكتابة
وموضعها والتعرض لمن قام بتأليفها وجمعها ثم نعطف عليها مقصد الغرض المطلوب
ونضيف اليها ما يتعين من هذا الاسلوب فأول من وضع الخط العربي وأقامه وصنع
حروفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا زولا عند عدنان بن أدد وكانت
أسمائهم أبجد وهوز وخطى وكلم وسعقص وقرشت فوضعوا الخط والكتابة على
أسمائهم فلما وجدوا في الالفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها واسموها
الروادف وهي التاء والتاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق
حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره ونقل ان أول من أتى أهل مكة
بكتابة العربية سفيان بن أمية بن عبد شمس ثم انتشرت وقيل غير ذلك واستكتب
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الارقم بن عبد يغوث بن زهرة فكان يجيب
عنه الملوك وبلغ من الامانة هند النبي صلى الله عليه وسلم الى ان كان يأمره بأن
يكتب الى الملوك فيكتب ويطين الكتاب ويختتمه واستكتب زيد بن ثابت فكان
يكتب الوحي ويكتب أيضاً للملوك وكان اذا غاب عبد الله وزيد واحتاج أن يكتب
كاتباً يأمر من حضر أن يكتب وكتب له صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعلي بن
أبي طالب رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد
ابن العاص وغيرهم فالكتاب عضد معين وعون مسعد ولا بد لالة والمملكة منه
ولا غناء بها عنه ثم مراتب الكتابة المتعلقة بالسلطنة ثلاثة * كتابة الانشاء وهي
الطبعة الثانية من هذا الباب وهذه الطبقة مسوقة لبيانها * وكتابة الجيش وهي
الطبعة الثالثة من هذا الباب وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى * ثم كتابة الخراج

كتابة الانشاء

والاموال وهي الطبقة الرابعة من هذا الباب وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى
وكناية الانشاء من مقومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها في خدمة
السلطان معدود من اكبر الاعضاء والاعوان قائم في اتمام مقاصده واغراضه
مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الانسان فانه المطلع على
الاسرار المجتمعة لديه خفايا الاخبار المتفع به في طريقتي النفع والاضرار فحاجة
الدولة اليه كحاجة الهم الى منساته وذى السقم الى أساته والمعدم الى
مواساته اذ كم من عصب باغية أراق قلم الانشاء بشباه دمها وكائب جيش قابلها
كتاب فردتها وهزمها وصياص منيعة نصبت الكتب الي تسلها سلمها ونواص
عواص اقتادت السطور الى الطاعة لأمها وأتوف أنفة حطمها القلم بيرة الاذلال
وخزمها وصفوف واقفة للفرال أزال المنشئ عن موقفها قدمها فهو يقوم من
مناد الدولة ما لا تقومه المقائب ويقوم بنصرة الملك في مواقف لا تصل اليها الكائب
وقلب عدو عاث على الدولة استندناه الكائب بلطف انشائه حتى انقلب وليا
ومباين مائن استهواه ببراءة استدراجه الى أن تركه خفيا ومناوئاء أوحى اليه
من بلاغته ما قرب به نجيا وجيش جاش لقاء تلا عليه من آيات الرغبة والرغبة حتى
خرأمرأوه للطاعة سجد اوبىكا * هذا الى غير ذلك من الاغراض المهمة
والمقاصد العارضة للملّة التي لا بد للملّة من اقامة وظائفها واداء مناسك
مواقفها من تهنية يعظم بها قدر النعمة الموهوبة وتعزية يبردها حرارة العبرة
المسكوبة وشفاة يقتاد بها زمام القبول لحصول المأربة المطلوبة فلهذا
كاتب الانشاء المعاني علم هذه المعاني ضارب في اعشار العلوم بالقدح المعلى
راكب من صهوات الفضائل مطا الحل الاعلى فان من مواد صناعته وأمتعة
بضاعته وشروط براعته معرفة الآيات القرآنية وأسباب نزولها وعلم الاحاديث
السوية وكيفية مدلولها وفهم سير الملوك الاول في أفاعيلها وأقاويلها
والتضلع من الحكمة والامثال بتفريعها وتأنصيلها والتطلع على وقائع العرب
بجملها وتفاسيلها والتوسع في أبحر المعاني الشعرية ما بين متعارفها
وطويلها فبذلك يملك زمام البلاغة والبراعة ويرقى بقدمه على قم أهل هذه
الصناعة فاذا أمره السلطان بكتاب تخيره أفصح ألفاظه وأرجح معانيه وجعل
مطلع دعائه مشعرا بالغرض المودع فيه ويختصر تارة ويطنب أخرى ويستعمل

في كل مقام ما هو أليق به وأحرى * وقد عينا قال عمرو بن مسعدة وكان تفوق من
 البلاغة درأ خلافتها وتطوق من البراعة درأ صداقتها قال أمرني المأمون أن
 أكتب بين يديه كتابا إلى بعض العمال على يد رجل له به عناية لحاجة الرجل عند
 المكتوب إليه وقال أوجز ما استطعت وبالغ في حقه فكتبت * كافي اليك كتاب واثق
 بمن كتب اليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والهناء حاملة والسلام
 فلما وقف عليه وقع منه بموقع ظهرت لي آثار بشره وبره قال تعبير بالالفاظ
 القليلة عن المعاني الكثيرة وابدأوها للسامعين في الكلمات القصيرة شاهد
 للكاتب برجحان فضله حامد له بلسان الادب كله فهذا النوع من الایجاز
 في استعمال الحقيقة والمجاز معدود من دلائل الإعجاز وقد أجمع أرباب علم
 المعاني والبيان وقطع أصحاب التقدم في هذا الشأن أن أوجز كلمة كانت العرب
 تستعملها وتداولها ألسنتهم القصيدة وتفضلها قولهم القتل أنفي القتل
 ويعتونها واسطة عقد الایجاز ويحمدونها بلسان التفضيل والامتيار فلما نزل
 القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ولكم في القصص حياة وقرعت آياته أسماءهم
 وقطعت فصاحتهم عن معارضة أطماعهم أذعنوا له بخفض الجناح ورفض
 الجراح واعترفوا برجحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان والتكملة
 والایضاح ولا غناء عن كشف الغطاء عن وجه هذا الاجمال بيد التفصيل
 وابداء الوجوه الموجبة لاعترا فهم بالرجحان والتفضيل وهي خمسة * الأول أن
 قوله في القصص حياة عرى عن تكرار اللفظ خلى عن اعادته وقولهم القتل أنفي
 للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط فصاحة
 الكلام وجزالته * الثاني انه أوجز وأخصر في العبارة وأقل تطويلا فان حروفه
 أقل عددا من حروف قولهم * الثالث انه أحسن تأليفا للحروف المبينة فان
 الخروج عند النطق من الفاء الى اللام في قوله تعالى في القصص أعدل
 من الخروج من اللام الى الهمزة في قولهم القتل أنفي وهي آخر القتل وأول أنفي
 لبعدهم مخرج ما بين الهمزة واللام وكذلك أيضا الخروج من الصاد الى الحاء آخر
 القصص وأول حياة أعدل من الخروج من الالف الى اللام وهي آخر أنفي
 ولا م تعريف القتل اذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل في الفصاحة
 * الرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف بذكر القصص الدال على

المساواة فان القصاص مأخوذ من التساوى ومنه سمي القصص مة بالاستواء
 جانبيه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظة القتل وما كان مشتملا على اقامة العدل
 والانصاف كان أرجح * الخامس تصرّحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو
 الحياة ولا كذلك قولهم * فظهر بهذه الوجوه تفصيل أدلة الرجحان وتفضيل
 الجزالة والايجاز في علم اليان فتي ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك
 شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز في كل
 مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله
 فانه يؤتى كل ذي فضل فضله وحكم له باقتعاد غارب البلاغة المغربية واقتياد
 مراكب الفصاحة المغربية وجاءت ألفاظ كتبه ولها عذوبة وحلاوة وعليها
 بهجة وطلاوة فتستميل القلوب وتملك النفوس وتخدع الالباب فتنتجج بها المساعي
 وتحصل المقاصد وتم الاغراض وتقضى الحوائج فتكون حميدة الورود والصدور
 سعيدة في جميع الامور ولا يحصل ذلك الا بسلك شعب البلاغة التي منى
 أحكمها الكاتب أصابها كوكب فهمه الثاقب وهي عشرة شعب
 الاستعارة والتشبيه والكناية والايجاز والالطاف والمغالطة والتضمين
 والاستدراج والمبادئ والمخالص * فهذه الشعب العشرة هي أصول وماعداها
 فيرجع اليها وأناشير الى كل واحد منها بذكر حقيقة ووصفه وأكشف
 وجهه ليعرفه ناظره ولا جهالة بعد كشفه وأوضحه ان شاء الله تعالى ايضا
 لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه * الشعب الاول الاستعارة وهو
 أن يحاويل المنشي تشبيه شي بغيره ولا يؤثر الا تبيان بلفظة التشبيه وارادته طلبا
 لزيادة الدلالة مع الايجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه للمشبه من غير تعرض لذكر
 المشبه لفظا فيحصل له زيادة فصاحة وحسن بلاغة ومثاله في القرآن الكريم
 في حق القرية التي كفرت بأنعم الله قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
 بما كانوا يصنعون ووجه الاستعارة ان الثوب لما كان يحيط بجوانب لابس
 ويشمله من جهاته استعار اسم الجوع والخوف حيث أراد الاخبار عن احاطة
 الجوع والخوف من جميع الجهات فأتى بنظم هو أبلغ في تحصيل الغرض من
 الحقيقة وأفصح فانه لو قال جعل الله الخوف والجوع محيطا بهم من جوانبهم كأنه
 لباس لهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كما ذكره سبحانه وتعالى من

الاستعارة * الشعب الثاني التشبيه وهو الدلالة على ان شيئين اشتركا في معنى
هو ثابت لما دخلت عليه أداة التشبيه في نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المنشي
أحدهما التي لم تدخل عليه الأداة مثل الآخر التي دخلت عليه كقول القائل
رجل كالأسد ووجهه كالقمر ومثاله من القرآن الكريم في وصف العالم عند
خروجهم من القبور يوم البعث والنشور قوله تعالى يخرجون من الاجداث
كأنهم جراد منتشرة لما يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين
متحيرين قد طبقوا الجهات ~~ب~~ كثرتهم وأسرعوا الى اجابة الداعي بحركتهم
لا يلوى بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشرة وجعلهم مثله نظرا الى ما ذكرناه
من المعنى * الثالث الكناية وهي أن يريد المنشي اثبات معنى من المعاني ولا يذكره
بلفظه الموضوع له فيعدل الى معنى هو تاليه وردفه من الوجود فيأتي به لتحسين
كلامه وإيجازه ومثاله من القرآن الكريم في صفة عيسى عليه السلام وصفة
آتاه قوله تعالى كأنيا كالان الطعام كنى بذلك عن خروج الخارج منهما لانه من
توابعه وروادفه فخاءت الكناية أفصح وأوجز * الرابع الإيجاز قد تقدم ذكره
والتنبيه عليه * الخامس الاطناب وهو أن يذكر المنشي كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله
حقيقة المدلول عليه بالكلام الاول تضمينا ينبه بذلك على زيادة وقع هذا المعنى
في النفوس وشدة الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم في قصة الافك في حق
عائشة رضي الله عنها قوله تعالى اذ تلقونه بأسنكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم
به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قوله بأفواهكم الاطناب فانه دل على حقيقة
مادل عليه قوله وتقولون لان القول لا يكون الا بالفم لكن نبه بهذا الاطناب
على تعظيم هذا الامر المرتكب وشدة وقوعه وقبحه وأكثر فضلاء الكتاب
يستعملونه في الوقائع المعنى بها * السادس المغالطة وهو من أحسن ما يتعاناها
المنشي المجيد ويعتمده الكاتب الفريد ويختص بمواقف ما على حسن استعمالها
فيها من مزيد وهو ان المنشي أو المتكلم بكلام يدل على معنى له مثل أو نقيض في شيء
ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعا لارادته والايهام به ومثاله من القرآن
الكريم في حق المنافقين وقد صدرت منهم حركات وكلمات في حق النبي صلى الله
عليه وسلم بالاستهزاء والاستخفاف فقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا
نخوض ونلعب فغالطوا في الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق

ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن *
 السابع التضمين وهو أن يأخذ المنشى الآيات القرآنية والاخبار النبوية والامثال
 العربية والآيات الشعرية فيجعل سمجعات كتابه مشتملة على شئ منها فتارة يأخذ
 الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شئ منها يتم بها فقر سمجعه
 فيكتسب كلامه بشار ونقا واشراقا ويعذب عند سامعه مذاقا وهو شعب غني به
 أكبر الفضلاء وأكثر ما يستعمل في الخطب والمواظفانه بين وقعها ويحسن
 وضعها * الثامن الاستدراج وهو أن يصوغ المنشى لغرضه ألفاظا يكسوها من
 اللطافة والبراعة ما يندع بها الالباب لينقاد معه الى مراده وهذا الشعب
 وإن كان خفيا فهو الركن الأعظم والسنن الأقوم في هذه الصناعة وكل من لم
 يبلغ في البلاغة الى احكام مقامات الاستدراج فقلما ينجح معاه ويساعف
 بمبتغاه وإذا تأمل المتأمل في القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج
 والمتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع كثيرة منها في قصة موسى عليه السلام لما
 أراد أن ينقل قومه من أرضهم الى غيرها فأخبر الله تعالى عنه بقوله وأقال
 موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعل لكم ملوكا وآتاكم
 ما لم يثب أحد من العالمين فبسط آمالهم وأجمعهم ما سر نفوسهم واستدراجهم
 به الى قبولهم ما يأمرهم به ثم قال لهم مطلوبه ومقصوده وهو قوله يا قوم ادخلوا
 الأرض المقدسة التي كتب الله لكم وفي هذه الآية وأمثالها من آيات الاستدراج
 من الحكم ما يحيط بأسرارها من رسخت في علم البلاغة أخص قدمه وانجست
 عيون البراعة من شق قلمه * التاسع المبادئ وهو أن يجعل المنشى فاتحة كتابه وأوله
 دليلا على المقصود الذي أنشأه فنظر الى الغرض المطلوب فجعل التحميد
 أو الدعاء أو التضمنين مشعرا بذلك فانه من أعلى مراتب البلاغة وفي القرآن
 الكريم من المبادئ والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الفاضلين بفصاحتها
 منها قوله تعالى في أول سورة النساء وغيرها يا أيها الناس اتقوا ربكم فانه افتتح
 كلامه بالدعاء الذي يستفتح ابواب الاسماع ويستحضر الاذهان لاجل الاستماع
 وهذا الشعب عظيم النفع ان حققه لا يفتح باب الامن طريقه * العاشر الخالص
 وهو أن يجعل المنشى بين المعنى الذي ينتقل عنه وبين المعنى الذي ينتقل اليه تعلقا
 وارتباطا بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعاني المتعددة والالفاظ الكثيرة

من أوله الى آخره كالمتنظم في سلك واحد يأخذ بعضه بأزمة بعض وفي القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب ويستعذب أو ضاعها منها قصة ابراهيم عليه السلام في سورة الشعراء فن تأملها حق التأمل من أولها وهو قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لايه وقومه ما تعبدون الى آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة في ارتباط الكلام ببعضه ببعض والتخلص من معني الى غيره فانه جمع في هذه القصة المختصرة من المعاني العظيمة وتخلص من بعضها الى بعض بالاقتضا المتابعة ما يحار فيه من له ذوق في علم البلاغة * فهذه الشعب العشرة هي قواعد أصول الكتابة التي تستقر بها أوصافها وتدر عليها أخلافها فيما يرجع الى معرفة البلاغة والفصاحة من على المعاني والبيان ولا غناء لمن حصل علم ذلك وأدركه ودخل في سنته وسلكه أن يعرف حال الحروف والمتعارفة والمتاعدة والحروف المتصاحبة والمتضادة ليفتح بذلك أقفالها ويوضح أشكالها ويشرح أشكالها فان حل التراجم عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصائب وفهمه الثاقب فان معرفة حال الحروف في ذلك من أسبابه اللوازم اللوازم * وقد استقصيت الكلام في أقسام الحروف وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريرها وافهام تأليفها للعتنى بها في الكتاب المسمى بالكوكب الناجم في معرفة التراجم ولولا ان الاسهاب موجب للاضجار والاطناب متعب للافكار وان الاولى سلوك سبيل الاختصار والميل الى الايجاز والاقتصار لما اقتصر لسان القلم على هذا المقدار ونشر من محاسن الانشاء ما يحار منه أولو البصار والابصار * الطبقة الثالثة كتابة الجيش أجمع أرباب الدراية بتدبير الممالك ومن انتصب لاصلاحها بايضاح الطرق والمسالك ان من حراسة المملكة وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فانه قطب مدارها وسبب استقرارها فيتعين الاعتناء به والنظر في وظائف كتابته فان شأنه أرفع ودبوانه أجمع وعلمه أوسع لاسيما في دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكاف قد فذلكت جريدة جيشها على آلاف فيحتاج الى ترتيب منازلهم على أقدار طبقاتهم وضبط مقادير اقطاعهم ونفقاتهم ورعاية مبادئ مددهم وأوقاتهم وتمييزهم بالاسماء والكنى وتعريفهم بالاوصاف والخلق واعتبارهم واختيارهم وانتقادهم لازالة زيف التلبيس واعتماد ما يؤمن من الاشتباه والتدليس واليقظ لهذا الامر

والتحفظ فيه من أعظم الأغراض فإن كثير من الدواب والأسلحة يستعار ويستأجر يوم الاستعراض وقد قرأ المتقدمون في ذلك أوضاعاً وضحوها وأنواعاً شرحوها فتعين الاقتداء بسلوك طريقهم ويجب في ذلك اتباع مجازهم وحقيقتهم وأقول من دقن الديوان في الإسلام وضبط الأمور عن الانتشار وحاطت الأحوال بيد الاستظهار ونزل أرباب الأرزاق على مراتب الأقدار وجعل ما قرره من العطاء والقرارات متصفاً بمقدار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لما اتسعت خطة الإسلام وامتدت أقطاره وظهرت آثاره وكثرت أنصاره وصارت ترد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول الأموال من جهات الولاية والعمال شاور فيما يعتمد رعاياه لما هو الأحوط ورعاية لأقامة ما هو الأنفع والأضبط فما ذور أي من الصحابة الأقل ما عنده وبذل في المناصحة جهده حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أمير المؤمنين اني كنت رأيت ملوك الشام قد دقوا ديواناً وجندوا جنوداً فبادر عمر رضي الله عنه واستدعى عقيل ابن أبي طالب رضي الله عنه ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا بئناً فقال عبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ بئني هاشم وبني المطلب فبدأ عمر بهم ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطناً بعد بطن حتى استوفى قريشاً ثم انتهى إلى الأنصار فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل بينهم في العطاء فجعل أرزاقهم متفاوتة بقدر سابقتهم في الإسلام فقبل له كيف تفاوت بينهم وقد تساوا في الإسلام فقال كيف أسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوفاً للسيوف وليس من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ثم قدر وضع الديوان وزاد بالسابقة وفضل كل من شهد بدراً في عطائه وفضل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطهارة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم وألحق بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رضي الله عنهم لما كانتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والإنصاف وجعل ترتيب أسماء المرتبة

وتتزيل قرارهم من قواعد الديوان فاقمدي الناس بعده بطريقته وعملوا في ذلك بمقتضى سنته * اذا وضع ذلك فالذي يجب اعتباره ويتعين استمراره ويعتمد في ديوان السلطنة بثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب ديوان الجيش وقسم يختص بصاحب ديوان الاموال * أما ما يتعلق بصاحب ديوان الاموال فيأتى مشروحا ان شاء الله تعالى * وأما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فامور كثيرة لكن اذا ذكرت أصولها الزمتها فروعها وهى اثبات المستخدمين من الجند وعطائهم وقرارهم من الاقطاع والنقد ولكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض عنها * أما الاثبات والاستخدام فانه يستدعى اعتبار صفات خمسة منها واحد مختلف فيه وأربعة متفق عليها أما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام والسلامة من أسباب العجز كالزمن والهي وكل ما يمنع القتال معه فأتى العرج فان كان ممن يستخدم ليقا تل را جلا فيمنع الاستخدام فلا يشته وان ~~صكان~~ كان ممن يقا تل را كفافه لا يمنع من الاستخدام فيشبهه والرابع أن يكون قوى البنية عارفا بالقتال غير جبان فهذه الاربعة المتفق عليها وأما المختلف فيها فالحرية اعتبرها الشافعي رضى الله عنه وأسقط اعتباره أبو حنيفة رضى الله عنه فاذا كانت هذه الصفات حاصلة في واحد وطلب أن يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش ويجرد عن الاعمال الشاغلة والموانع القاطعة فيجيبه ولى الامر ان كان الاحتياج يدعوا اليه وان لم يكن هناك حاجة داعية فلا اذا استخدم وأثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل كان خاملا مغورا فيجلبه كاتب الجيش ويصفه ويذكر ما يميزه به ويعرفه ولا يقتصر على مجرد اسمه فان الاسماء قد تتوافق والالقباب قد تتطابق ثم يضيفه الى مقدم يحبه أو نقيب بحيث يرعاه ويعرفه فاذا أثبتهم نزلهم منازلهم على أقدارهم وراعى في ترتيبهم أسباب اعتبارهم ولا اعتبار ترتيبهم جهتان جهة عامة وجهة خاصة * أما الجهة العامة فترتيب القبائل والاجناس فاذا كانوا عربا اعتبر القبائل والانساب فيقدم في ترتيب العطاء واثباته الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتبر في ذلك قاعدة أنساب العرب فان أنسابهم على ست طبقات شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة فالفخذ يجمع مع الفصائل والبطن يجمع مع الانخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العما تر والشعب يجمع القبائل فالشعب هو

طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيلة طرف النسب الادنى من جانب
القرب فعبدان مثل اشعوب فنه تشعب القبائل ومضر منها قيسيلة ثم من القبائل
العمائر فنه قريش عمارة ثم من العمارة البطون فنه عبد مناف بطن ثم من البطون
الانحاذ فنه عبد المطلب فنه من الفخذ الفصائل فنه عبد الله أبو النبي صلى الله
عليه وسلم فصيلة وعلى اعتبار ذلك ترتيبهم على قرب أنسابهم وسابقتهم في الاسلام
وان لم يكونوا عربا وكانوا أجناسا مختلفة فالأتراك والاكرا والديلم وغير ذلك من
الاجناس فيعتبر في ذلك تقدمهم في الاسلام فان لم يكن لهم تقدم بأن استووا فيه أو
لم يعلم حاله فيعتبر قريشهم من ولى الامر فان استووا فيه يعتبر أعلاهم درجة في طاعة
الله ونصرته فهذه الجهة العامة * وأما الجهة الخاصة بعد التساوى في الجهة العامة
يعتبر في تقدم الواحد على غيره التقدم بالسبق فان استووا فيه فالتقدم بالشجاعة
فان استووا فيه فولى الامر ان شاء يقدم بالقرعة وان شاء من يقتضيه نظره
واجتهاده فهذه امانة علق بالترتيب والتنزيل * وأما عطاؤهم فعليه النظر في حال
المرتبة في ديوان الجيش واعتبار ما يحتاج اليه كل واحد منهم في سنته لنفسه
وأولاده ولوازمه ومما يليه ودوابه من طعام وكسوة وعلوفة ومائدعو حاجته اليه
ثم بعد اعتبار ذلك يعتبر محله في الغلا والرخص فيقدر له ما يكفيه لذلك كله ويستغنى
به لسنته ثم نفقة دأمره كل حين فاذا زاد في عائلته ولوازمه زاده بقدر ما تجدد
ويعتبره كل سنة ثم اختلف أهل العلم اذا كان قدر له ما يكفيه ويقوم بمؤنته فكثرت
أموال بيت المال وتجددت زيادات وزادت متجددات فهل يجوز ان يزداد قراره على
قدر كفايته ويعطى قسطا زائدا على ذلك فذهب الشافعي رضى الله عنه الى انه
لا يزداد على قراره الذي يكفيه ولا يعطى بسبب الزيادة المتجددة لبيت المال زيادة
فيه وذهب أبو حنيفة رضى الله عنه الى جواز الزيادة عند اتساع المال * ويجعل
لصرف قرارهم اليها وقتا معيناً في السنة اما في أولها أو في وسطها وان جعله في كل
فصل جاز فان طرأ على أحدهم موت أو قتل وله ذرية صار ما كان قد استحقه في
المدة الماضية حقا لهم يطالبون به وأما في المدة المستقبلية فقد اختلف العلماء في
أن نفقة ذريته هل تصرف اليهم من القرار الذي كان باسمه في الديوان أم لا فمنهم من
أوجبه ليتوفر دواعي الناس على الخدمة وبذل النفوس في الطاعة ومنهم من منع
ذلك لانقطاع الاستحقاق بموت المستحق وكذلك اختلفوا لو طرأ زمانة على

المستخدم فهل يقي استحقاق نفقته في عطائه الذي كان مقررا باسمه أم يسقط على
 الخلاف المذكور ولو أراد ولي الأمر قطع بعض الجند المستخدم في الجيش
 واسقاطهم من ديوانه فان كان قد ظهر منهم ما يوجب قطعه أو حدث عذر يقتضيه
 جازله ذلك ولا جناح عليه وان لم يكن شيء من ذلك فلا يجوز قطعه وان أراد بعض
 الجند اخراج نفسه من الديوان وقطع الخدمة فان كان عنه استعناء جازله ذلك ولا
 يمنع منه وان كانت الحاجة تدعو اليه فلا يجوز واذا جرت طائفة من الجيش
 للقاء العدو وامتنعت من ذلك فان كانوا أكفاء العدو وسقط قرارهم ومستحقهم ولا
 يصرف اليهم وان ضعفوا عن العدو لكثرة فلا يسقط ومن ماتت دابته في حرب
 عوقض عنها وان تلف سلاحه في قتال عوقض عنه وان لم يكن داخلا في قراره * وأما
 الاقطاعات فيلزمه امعان النظر في تحرير اعتبارها وتقدير غيرها بنسبة بدارها
 وتقدير متصلها بتعديد مغلها المدد تحتلف في ريعها وأسعارها واخراج ما بين أول
 الحل والاقطاع من المدة عن أجزائها في استقبالها واستدبارها ثم اثبات ما على
 فلاحي النواحي المقطعة من الحقوق المقررة والرسوم المقررة واللوازم المحررة
 والقسم المعتبرة وتنزيلها في منشور من جرت تلك الناحية في اقطاعه وقراره
 وذكر الاشتراط عليه فيه أنه لا يتعدى حده بتناول ما يغير ذلك عن استمراره
 واستقراره ثم يضبط حدود ما أقطعه لئلا يمدأ حديده الى زيادة في مقداره ثم يحاقق
 كذا في تكميل عدة الرجال المضاف استخدامهم اليه وعدة الاسلحة التي أوجبها
 شرع الخدمة عليه ويستعرض البرك التام الذي به يستظهر على الاعداء والحروب
 ويعتبر في دفع جوارح الاسلحة عند اللقاء عن الرأكب والمركوب هذا الى اقامة
 حساب الجرائد وادامة العمل بتكميل أسباب المقاصد واجراء كل ما يتعلق بالجيش
 على أجل قواعدها العوائد * فهذه جمل من أصول عمل الجيش يحكمها العارف
 بقوانينها المستغنى بدرايته ومعرفته عن شرحها وتبيينها * (الطبعة الرابعة) * كتابة
 ديوان الاموال وهي طبقة صاحب الديوان لما كانت السلطنة لا يتم نظامها ولا
 ينتظم تمامها ولا يدوم احكامها ولا يحكم دوامها الا بالامراء والاجناد والزماء
 والقواد والعساكر الاجلاد في الجلال وهو لا يصح جاح طاعتهم ولا يقرب
 نازح خدمتهم الا بأموال تدرأ خلفها عليهم وأرزاق كافلة فيه تصل اليهم لاجرم
 كانت الاموال في الحقيقة للسلطنة قواما ولشمل استمرارها وانظاما

فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتثمينها ويتعين القيام بتسهيل موادها
وتيسيرها ولهذا معظم مطالب الوزارة الاعتناء بامور الاموال وتدبيرها
وصاحب الديوان وان كان فرعا من فروع الوزارة فان ولايته واسعة وايالته
جامعة ومكتبه في جهات الاموال بتقصيره وتثمينه خافضة رافعة وهو
في الحقيقة كافل لمرجو المملكة وحامل أثقالها وعامل لنمو الدولة وحارس
أعمالها ونائل كئنه آرائه لتوفير جهاتها وتثمين أموالها وبذل جهده في ادامة
حولها بعد وظائفها وذخايرها وأرزاق رجالها فيتعين عليه أولا حصره
لجهات الاموال وأقسامها ونظره في تفاصيلها وأحكامها وحيث كانت
الاموال التي جعل الله تعالى بيد السلطنة زمام استخراجها وناط بنظرها اقامة
منهاجها وحاط بسياستها مواد أمشاجها وأوجب عليها سلوك سنن الحق
والانصاف في أخذها واخراجها متنوعة المواد ممتدة الأنواع متسعة الاعداد
متعددة الاتساع مرتفعة الازدياد متزيدة الارتفاع يكاد لسان القلم ان رام
حصرها أن يعترضه حصر أو تطاول الى استقصائها أن يمنعه قصر وجب ذكر
أصول الاموال دون فروعها فانه يلزم قبل بيان تالى كل قضية بيان
موضوعها فاذا أحكم صاحب الديوان معرفة أصول الاموال استظهر على
استخراج أحكامها وقدر على استفتاح مقصد الولاية ومرامها * وأصولها عشرة
جزية وخراج وعشور وأجور وزكوات وأثمان ومقاسمات ومساح وغنيمات
وفي عومعادن ولكل واحد من هذه الاصول أحكام سوغها الشرع ورسوم قررها
الوضع والتخريض على ابداء شعارها والحث على اجتناء ثمارها من لوازم
الوزارة وآثارها وصاحب الديوان هو المباشر للقيام بواجبها المثابر على اتمام
رواتها * الا قول الجزية قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الجزية هي البراءة المأخوذة بعقد الذمة
من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وتؤخذ من المجوس وفي السامرة والصابئة
خلاف ولا تؤخذ الجزية من امرأة ولا صبي ولا عبد ولا مجنون ولا خنثى مشكل
وأقل الجزية دينار وأكثرها مفقوض الى الاجتهاد والاولى أن يكون على الفقير
المكتسب دينار وعلى المتوسط ديناران وعلى الغنى أربعة دنائير فان قرر عوضا

عن الدينار دراهم كان عوض كل دينار اثني عشر درهما ومن مات منهم أو أسلم
أوجن بعد تمام السنة لم يسقط عنه ما وجب عليه وإن كان ذلك في أثناء السنة
فالصحيح أنه لا يسقط ماضى ومن أعسر به الم تسقط عنه وإذا أيسر تؤخذ منه ولا
يجوز إسقاطها والمساخمة بها * الثاني الخراج قال الله تعالى أم تسألهم خراجا
نخرأج ربك خير وهو خير الرازقين الخراج هو المال المؤدى عن رقاب الارض
بشرط مخصوص والاراضى أربعة أنواع * الاول ما أحياء المسلمون فذلك أرض
عشر لا يكون عليها خراج * الثاني ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به فعند الشافعى هى
أرض عشر لا يكون عليها خراج * الرابع ما كان قد صولح عليه المشركون من
أراضهم فهى أرض الخراج ثم منها ما يكون أهلها قد انجلوا عنه فقصير تلك
الاراضى وقفا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج وتكون أجرة مقررة
على الابد لا تؤثر فيها الجهالة ولا يجوز بيع هذه الاراضى المختصة به إذا الخراج
ومنها ما يقيم أهل فيه ويصالحون على اقراره بأيديهم بخراج يضرب عليهم
ثم الخراج المضروب على الارضين يختلف مقداره باختلاف غناء الارض فان
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ضرب الخراج على سواد العراق
اعتبر بذلك وكان كسرى أول ما سمع السواد وضرب عليه الخراج فراعى ما يحتمله
الارض ولما بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن حنيف
الى العراق أمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الارض لمسح ووضع على كل جريب
من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب
السكر ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم ومن الحنطة أربعة دراهم ومن
الشعير درهمين فهذا كان عمله فى أرض العراق وعمل فى أرض الشام غير ذلك
رعاية لآحوال الارض واختلاف أحوالها من ثلاثة أوجه الاول لذاتها الثانى
لذات المزروع ولتفاوت قيمته فان الحنطة أعلى من الشعير الثالث لحالها فى السقى
وغيره فراعى هذه الآحوال فى ضرب الخراج لئلا يجحف بأحدى الجهتين
* الثالث العشور والعشرية تقسم الى قسمين أحدهما يجب فى الزروع التى سقيت
بماء السماء على تفصيل فيه وهو مذكور فى الزكوات الثانى ما يؤخذ من أموال
الكفار فاذا دخل شئ من أموال الكفار أهل الحرب الى بلاد الاسلام المتأخـم
لهم وقد استقر الصلح معهم على أخذ العشر أو الخمس أو أكثر منه أو أقل منه

أثبت ذلك الشرط في الديوان حفظا لاعتباره وان كان فاوت فيه بين الامتعة وأنواع الاموال أثبتته أيضا وقررته واستوفاه على مقتضى الشرط أما أعشار الاموال المنتقلة في دار الاسلام من بلد الى بلد فمنوع منه شرعا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس العاثرون * الرابع الاجور وهي أجرة كل مكان من حقوق بيت المال أو جراجارة شرعية ولا يجوز أن يؤجر مكانا لبيع فيه خمر أو ما جانسه ولا يحل ذلك له عند الشافعي رضي الله عنه * الخامس الزكوات وهذا نوع عظيم الاحكام كثير الاقسام فان الزكاة تتعلق بالذهب والفضة والابل والبقر والغنم وعروض التجارة والزروع والثمار والمعدن والر كاز فاما الذهب فانه اذا بلغ عشرين مثقالا فصاعدا تعلق وجوب الزكاة به فيجب منه ربع العشر والفضة اذا بلغت مائتي درهم فصاعدا وجب فيها ربع العشر وأما الابل فأول نصابها خمس الى خمس وعشرين يجب فيها عن كل خمس شاة وفي الخمس والعشرين بنت مخاض وعمرها سنة فصاعدا الى ستة وثلاثين وفي ستة وثلاثين بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى ستة وأربعين وفي ستة وأربعين حقة وعمرها ثلاث سنين فصاعدا الى احدى وستين وفي احدى وستين جذعة وعمرها أربع سنين فصاعدا الى ستة وسبعين وفي ستة وسبعين بنتا لبون الى احدى وتسعين وفي احدى وتسعين حقتان الى مائة وحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة وأما البقر فأول نصابها ثلاثون وفيها تباع وعمره سنة وفي أربعين مسنة وعمرها سنتان وهكذا الحساب وأما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها شاة الى مائة وحدى وعشرين وفي مائة وحدى وعشرين شاتان الى مائتين وواحدة وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه ثم في كل مائة شاة وأما عروض التجارة فتقوم ويعتبر بالحول ورأس المال والربح على تفصيل مبسوط فيه ويؤخذ منه ربع العشر بشرائطه وأما الزروع والحبوب القطاني ان سقيت بماء السماء أو السج فيؤخذ منها العشر بعد التصفية والتقية وان سقيت بالنواضح يؤخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمانمائة منا فصاعدا ولا يمنع من أخذ ذلك كون الارض المزروع فيها خراجية بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعي رضي الله عنه وأما المعدن فيؤخذ مما يخرج منه من ذهب أو فضة خمسة على قول وربع عشرة على قول وأما الر كاز فيؤخذ ان كان

دفين الجاهلية خمسة اكان في موات وفي تفاصيل شروط الزكوات وجوبا
واستخراجا وصرفا واخراجا أبحاث كثيرة ومسائل متعددة لا حاجة الى تسطيرها
في هذا الكتاب وفي القدر المذكور من التنبيه على أنواع الزكاة كفاية في هذا
الباب * السادس أثمان المبيعات قد تدعو الضرورة في بعض الاوقات عند
تضاعف مواد الخراجات وترادف ذوى الحاجات الى سد ثقب وعمارة ثغر وتجهيز
جيش وهجوم عدو ومداراة معاند ودفع خارج وتضييق الاموال الحاصلة والنقود
المدخرة عن الوفاء بذلك فيجوز بيع شئ من الاملاك المنقولة الى بيت المال رعاية
للاغبط واعتناء بالعمل الاحوط وكذلك أثمان مبيعات ديوانية وأعواض
مصالحات عن أمور سلطانية كل ذلك من أمور السلطنة وحقوق المملكة ويتعين
عليه في بعض ذلك ما يتعين على الوكيل المطلق من رعاية ثمن المثل والنقدية والحلول
* السابع المقاسمات لا يكاد يخفى حكم المقاسمة على من انتصب لخدمة السلطان
ورسم نفسه بصاحب الديوان والتزم بالولاية حمل أعباء هذا الشأن متى خرجت
مسائح الارضين من الديوان وكان قد تقررت القسمة مع أربابها بجزء معلوم من
ثلث أو ربع أو غير ذلك من الاجزاء يجب اتباع ذلك ولا يجوز أخذ الزائد على
المشروط وقد تقدم استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمة مع أرباب
الاموال * الثامن الغنمة وهو ما يؤخذ من الكفار بالقتال ولا يخاف فأربعة
أخماسها للغنائم وخمسها يخمس فخمسه مرصدا للمصالح العامة * التاسع الفء
وهو كل مال يؤخذ من الكفار من غير قتال وكل ما هربوا عنه وكل مات عنه من
لا وارث له وهي الاموال الحربية * العاشر المعادن أجناس والعلماء قد اختلفوا
في مقدار ما يؤخذ منها وفي الجنس المأخوذ منه والمختار ما تقدم في نوعه في الزكاة
فان كان لها قرار مثبت في الديوان عن اجتهاد من تقدم فيعمل به وان لم يكن هناك
قرار فيعمل بما ذكرته * فهذه أصول جهات الاموال السلطانية ومواد الحقوق
الديوانية وهي وان كانت مختصرة الالفاظ فلها الوازم وتوابع وفروع مبسوطه
المعاني لا يجوز اغفالها ولا اهمالها ويستعمل المقتطعة في التطلع الى احوال
المستخدمين بين يديه ويتبع قضايا من استنابه في بعض الاعمال واعتمد عليه ويلزم
كل عامل بحساب عمله ويؤاخذ بما يظهر عليه من خلل ويسترفع شواهد الاعمال
لاوقاتها ويستطلع عوائد العمال في خلواتها فنأحضر حساب عمله محمرا

ووجده فيما بآثره لا خائناً ولا مقصراً ولم يكن في حلبة اللعب واللهوم منهم كما
ولامشتهراً استدام استخدامه وأدام اكرامه وزاد احسانه اليه وانعامه وشكر
نخضته في عمله وقيامه ومن نكب منهم عن سنن الصواب وركب مطلقاً الاضطراب
قطعه عن مباشرة الاسباب وجرّعه من الاهانة صاب الاوصاب وليجتهد في
أن لا يدخل عليه في شئ من أحواله خلل ولا يتطرق اليه من جهات الأعمال
والعمال زلل فانه مطالب بعهد ما تقلده محاسب في الدنيا والآخرة على ما عهده
* الطبقة الخامسة سائر الخاشية المرتبين بصدد المهام المستبدين للقيام باتمام
المراد والمرام العدودين من أصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام فيجب
نراهم عن مواقف التهمة واحترازهم عن سوء ظن الرتبة واتصافهم بالأمانة
واجتنابهم وصمة الخيانة خصوصاً من كان منهم ناقلاً عن السلطان واليه وشاهد
في الحقيقة له وعليه وهو المرتب للعجبة والمستندب للرسالة فان أدنى زلل يقع منهما
وأقل خلل يصدر عنهما يفتح باب فساد لا يستدبته ويقدر في الدولة قد حانت
خرقه فلهذا اعتبر قديماً فيمن يقوم بالمصالح معرفة ودين وأمانة وصدق ومروءة
ونزاهة نفس لا يستمال بشئ من الرشوة فيضيع مصالح الدولة وللقلم في هذا المقام
مقال واسع ولمن تقدم من العظماء فيه كلام نافع لكن صدف عن بسط لسان
القلم به عن ذكر من الاطالة مانع وعلى الجملة فاهماله واغفاله سيف قاطع وسم نافع

(القاعدة الثالثة في الشريعة والديانات)

الشريعة هي المحجة الواضحة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعها
والحجة القاطعة التي أدحض بها شبه المبطلين وقطعها والطريقة المثلى التي بناها
على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها والحقيقة العليا التي أعلاها الله على جميع
الشرائع والملا ورفعهما فهي سبيل يفضي بسالكه الى الصراط المستقيم ودليل
يهدى متبعه الى الفوز العظيم واتقدركها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء
نقية للناس طرين وأقام لها شاهداً من القرآن الذي هو لسان صدق في الاولين
والآخرين وجعل لها حجة وحجة فحماها الملوك وحملتها العلماء فأما الملوك الذين
أقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملة وحماية الشريعة فقد تقدم القول في
تفاصيل صفاتهم وفيما يتعين اعتماده من صنوف تصرفاتهم وأما العلماء فهم القائمون
بهمالها المعتنون بنقاها الحاملون عبء ثقلها في الحقيقة هم باحكام أحكامها

معتون يعتدونها ذرا يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق
 بعض درجات واختص من يشاء منهم من لطفه جزايا وصفات فأقدارهم مرتفعة
 بالصفات دون الذوات ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا منه من الثمرات
 فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أتانا الظالم
 لنفسه فهو الذي لا يعمل بعلمه ولا يقف عند واجب الشرع وحقه فهو على الحقيقة
 تابع هو أو بائع هدايه فينبغي أن لا يفوض اليه أمر ديني ليتولاه فان من لم ينصح
 نفسه خليف به أن لا ينصح من سواه وأما الآخرون فيدير بهم أمانة
 ما تحمله وحقيق بهم النهوض بأعباء ما تقلداه فان الأعمال الدينية هي ابدأ
 مبدأ أهل الاهتداء الى طريق الحلال والحرام والاقتفاء فيما يعرض من الوقائع
 والاحكام والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام والاعتناء بامور المستضعفين من
 الايامى والايام ثم الحسبة التي هي من شعائر الاسلام وهي مشاركة للقضاء في
 كثير من اقسام النقض والابرار هذا الى تعليم العلم ونشره وتفهم غامضه
 وذكره واشتغال كل فقيه بمقدار ما يحتمله اذا قدر فهمه حق قدره الى غير ذلك
 من الامور الدينية التي منعت الشريعة المطهرة من اهمالها وأوجبت على من
 هو ظل الله في أرضه النظر في أحوالها وحرمت عليه الاعراض عن تنقدها
 مخافة اختلالها من أوقاف قصدوا وقفها للتقرب الى الله تعالى لصرفها الى
 جهات الاستحقاق وايصالها الى أربابها والواهباميرة الارتفاق وهم الخصماء
 المتعلقون عند الله تعالى بمعظلمها وماله من الله من واق والغرماء المتظلمون
 في عرصات القيامة من مبطلها يوم صيحة واحدة مالها من فواق وكيف لا وهي
 سبب خير كثير وباب بركبير من اعانة أسير واغاثة فقير واسعاد فقيه واسعاف
 طالب علم وارفاق صوفي ومبرة عابد وتقدم منقطع وسدفاقة محتاج والطلاق
 مسجون ومصلحة رحم وجبر كسير ومداداة مريض واقامة وظائف مدارس
 العلم التي بها تحفظ أحكام الشريعة وادرار أرزاق عمرة المساجد باقامة
 الجماعات من الأئمة والمؤذنين والقومة والقراء فهذه الاصول من قواعد
 الديانات والفصول المعدودة من محاسن الحسنات لا يجوز تفويتها الا الى
 متصف بما شتر طهه الشريعة الشريفة من الصفات واعتبرت وجوده
 في صحة تقليد هذه الولايات من عدالة لا يجوز العدول عنها وأمانة لا يحل

الانحلال بها وكفاءة لا ينبغي الخلق منها فان تولى شيئا من هذه الاعمال فاسق
أو خائن أو عاجز لا تصح ولايته ولا تحل مباشرته ويكون من ولا ذلك عالمه
عاصيا آثما يطالبه الله عز وجل يوم القيامة بعهدته ويؤاخذ به فعله اذا ظهرت
هذه الجملة فتفصيل القول فيها ان أركان أصولها وأصولها المذكورة أربعة الفيا
والقضاء والحسبة وأمر الأوقاف ولكل واحدة من هذه الرتب شروط تخصها
وأمرتها تعلق بها وأحكام تنبني عليها وهذا بيان شاف يشرح هذه الأركان
وأهلها ويوضح أن من لأهلية له لا يحل أن يتعرض لها * (الركن الأول) *
الفتيا وهي ركن عظيم من الشريعة وعليه عول الصحابة رضي الله عنهم بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم الى زماننا
هذا والكلام في صفات المباشرة للفتيا القائم بها وهو المفتي المسلم على أحكام
الشريعة نصا واستنباطا فلا بد له من أوصاف يصير بها متوصلا الى استخراج
الاحكام وأهلا لقبول قوله في الحكم المستفتى وهي العقل والبلوغ والعدالة
واجتناب المعاصي القادحة فيها ومعرفة اللغة وفهم كلام العرب وعلم النحو
والاحاطة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية بما يتعلق بالأحكام والعلم بما
يختص بذلك من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين ومتمم
ومتأخر ومتواتر وآحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف وأقوال الصحابة والمجتهدين
وكذلك يعلم أقسام الاحكام من الواجب والمندوب والجائز والحرام والمكروه
وأقسام الاوامر والنواهي وما يتعلق بها وعلى الجملة فمعرفة أصول الفقه شرط
لا بد منه واذا حصلت هذه الصفات وكانت هذه الشروط فلا بد معها من غريزة
نفسانية لا تحصل بالاكتساب قناعة النفس واستقامة الذهن بحيث يحصل
بها استكمال هذه الاسباب لمعرفة الحكم المستفتى فيه فان قيل فن لم يعرف هذه
الاسباب ولا حصلت له هذه الصفات هل يجوز أن يفتي وهل تقبل فتواه قلت
ان فقد العقل أو العدالة فلا يجوز له الافتاء بالاجماع فان قول الفاسق ومن لا عقل
له لا يقبل وان كان عاقلا عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاة عن امام درج الى
رحمة الله تعالى فقد اختلف الناس في جواز قياده فذهب بعضهم الى انه لا يجوز
ومنعه منه وذهب آخرون الى جوازه توسعة الامر على الناس ورقابهم * الركن
الثاني القضاء وهو من أعظم الأركان وقعا وأعمها نفعا وعليه مدار مصالح الامة

عقلا وشرعا والمقصود به نصب ميزان العدالة في الاحكام وفصل القضايا بين الانام
عند الخصام وبسط بساط التنافس بين الخاص والعام في التقض والابرار وان
يتم هذا المقصد من مباشره الا اذا كان كثير من الاخلاق النبوية من صفاته
وما اثره من متانة دين نزعته عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدى
بنوره في باطن كل امر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف التهم وشرف
همة تحمله على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة تقى عرضه عن أن يتهم فيما به حكم
وأن يكون متضلعا من معرفة آداب القضاء متحليا بتجربة قد كشفت له حقائق
الاشياء رحيب الصدر ثابت الرأي لا تتزعزع حصاته اذا طاشت ثوابت الآراء
هذا مع الارتداء بجلباب الوقار والتدبر بشعائر النزاهة عن الاكدار والتجنب
لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار وسلوك السنن القويم عساه يكون أحد القضاة
الثلاثة الذي في الجنة ولا يكون أحد الآخرين الذين في النار فان قيل قد أجملت
القول في الجلباب الذي يتعين على الحاكم الارتدائه وأعرضت عن تفصيل ما يجب
التنبه عليه من لوازم القضاء وآدابه وكنت عن السنن القويم الذي من زاغ
عنه حكم عليه بعطبه ومن أتمه واقتفاه حصلت له النجاة بسببه ومن لم يعلم تفصيل
الآداب ويميز بين القشر واللباب ففصل أيها المصنف ما أجملته وبين ما أهملته
ليعلم عند تتبع أحكام الحكم أي الفريقين أحق بالامر من العطب وأي
الخرابين يقال لهم انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
قلت اعلم ان ولاية القضاء تستدعي تقدم أوصاف في مباشرها حتى يجوز له الارتقاء
الى ذروتها ويستلحق آدابا يؤثر بحكم الولاية بالقيام بها والاستمسك بعروتها
وانا الآن أفصل كل واحدة من هاتين الحالتين المذكورتين في جهتها أما الأوصاف
المشروطة في هذه الولاية فهي الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والذكورة
والسلامة في السمع والبصر واللسان ولا يقتنع بالعقل الذي هو مناط التكليف بل
ينبغي ان يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيدا عن السهو والغفلة يتوصل به كانه
الى وضوح ما أشكل وفصل ما أعضل ثم العدة القوهي أصل في ذلك ومدارها على
اجتناب البكثرة وترك الاصرار على الصغائر وحفظ المروءة والكبيرة من
الذنوب ما يوجب حدا وقيل ما لحق الوعيد لفاعله بنص الكتاب أو السنة والصغيرة
ما ليس كذلك من الذنوب ويندرج فيما ذكرناه على رأى بعض الاصحاب

أن من ترك فريضة واحدة من الفرائض مع العلم حتى خرج وقتها من غير عذر
فلا عدالة له وكذا من اعتاد ترك السنن الرواتب وتسبيحات الركوع والسجود
وأما المروءة فهي حسن السيرة ومجانبة الدنيا فتلخص من ذلك أن يكون
صادق اللهجة ظاهرا لآمانة عفيفا عن المحارم متوقيا للآثم بعيدا من الريب
مأمونا في الرضاء والغضب معتمدا للمروءة مثله في دينه ودينه وأن يكون
علما بالاحكام الشرعية عارفا بالكتاب والسنة والاجماع والاختلاف
والقياس ولغة العرب ولا يشترط معرفة ذلك جميعه بل يعرف من الكتاب
والسنة ما تفتقر الاحكام اليه بحيث انه يقدم المحكم على المتشابه والخاص
على العام والمبين على الجمل والتاسخ على المنسوخ ويبنى المطلق على المقيد
ويقضي بالمتواتر دون الآحاد والمسند دون المرسل وبالمتصل دون المنقطع
وبالاجماع دون الاختلاف ويعرف أنواع الأدلة وما يتعلق بها ويرجح بعضها على
بعض ويعرف أقسام القياس ليتوصل بها الى الاحكام فانه ليس كل حكم
منصوصا عليه وأقسام القياس المعتبرة ثلاثة جلي وواضح وخفي فالجلي ما يقع
السامع عليه بأول وهلة من غير اعمال فكر وهو أنواع بعضها أجلى من بعض
وأما القياس الواضح فهو أن يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه
ويأخذ معنى الاصل بكامله في الفرع وأما القياس الخفي وهو قياس الشبهه فهو
أن تكون الحادثة الواقعة تشبهه أصليين مختلفين في الحكم ويكون أحدهما
أكثر شهابا من الآخر فيلحق بالأصل الذي شبهه أكثر وهذه الاقسام الثلاثة
أرجحها القياس الجلي فانه لا يحتمل الامعنى واحدا فأشبهه النص ولهذا يجوز
نقض الحكم اذا وقع على خلافه بخلاف القسمين الآخرين وأما الآداب التي
يؤمر بها فأمور كثيرة منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب وأنا أشير الى بيانها
على وجه الاختصار فأقول ينبغى أن يكون شديدا من غير عنف لئلا من غير ضعف
ويجعل مجلسه في وسط البلد لتستوى الجهات اليه ويتخذ كاتباً عادلاً آمناً
كامل العقل عارفاً بشروط الكتابة ويجلسه قريبا منه ويتخذ قاسما آمناً على
صفة الكاتب وزيادة معرفة الحساب لأجل وقائع الاملاك المتجددة وأن يشاور
العلماء في الوقائع الاجتهادية ويستحضر الشهود الى مجلسه وأن ينفرد بسجادة عن
الحاضرين ويبحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبته احترازا

عن التضامن بينهما فان أيسأت الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشتري بنفسه ولا يجعل له وكيلاً معروفاً في البلد لئلا يراعيه الناس في البيع والشراء ولا يشتغل عن حال المحبوسين وكشف أمورهم فيطلق من حبس ظمناً ويستديم من حبس بحق ومن جهل حاله أشاع أمره لئلا يكشف وفي مدة الأشاعة لا يحبس بل يوكل عليه من يحفظه أو يطالب بوكيل لا غير ثم ينظر في أمور التامى وأموال الأطفال ومحاسبة الأوصياء ثم في أمور الامناء الذين نصبهم الحاكم قبله ثم في أمور الشهود ويقوم المزكين والمترجمين اذا دعت الحاجة اليهم ولا يقضى عند تغير طبيعته واختلال خلقه بغضب أو خزن أو فرح أو جوع أو عطش أو حر أو برق أو برد مؤلم أو عند مدافعة الأخبثين أو عند غلبة النعاس فان خالف وقضى نفذ قضاؤه ويحرم عليه أن يرتشي فان أخذها ففها وجهان أحدهما أن ترد إلى أصحابها والثاني أنها تحمل إلى بيت المال لمصالح المسلمين واذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما باذن ولا زيادة بشر ولا قيام ولا محادثة ولا نظر ولا يرفع أحد الخصمين في المجلس الا أن يكون مسلماً وخصمه ذمياً ففيه خلاف ويقدم السابق فالسابق في فصل القضايا فان تساوا قدم بالقرعة في قضية واحدة فان كان فيهم امرأة أو مسافر ورأى المصلحة في التقديم قدمه ومهما جرت قضية كتب فيها مكتوباً بشرحها وادخره احتياطاً ومن جرت منه اساءة أدب في مجلسه عززه بما يراه ويعزز شاهد الزور وينبغي أن لا يأخذه في الله لومة لائم ولا يحكم بخلاف علمه قولاً واحداً وفي حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضى لنفسه ولا لولده وان سفل ولا لوالده وان علا وعلى الجملة فلو وسط القلم لسانه لاستقصاء لوازم هذا الباب واستيفاء مالولاية القضاء من الشروط والآداب لمدي ذلك أطناب الإطالة والاطناب ونخرج عن الاختصار المشروط في هذا الكتاب وفي هذه النبذة اليسيرة كفاية لمن وعها وهداية مغنية لمن رعاها (خاتمة لهذا الركن) من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب إلى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية في المقاعد العلية والمقاصد المرعية لاسيما في المراسد الشرعية أن يتطلع إلى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكي طرقها ليصكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها القارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شهاتها التابعين

أهواء نفوسهم الامارة في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القاضيين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين وادكار نافع والذي كرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاية أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة بعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لا حاجة معها الى زيادة تذكره (القضية الاولى) قال غير المدنى قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شئ ذكره فأمرني أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطي فقال اكتب فكُتبت وختمت فقال والله ما يمضى به غيرك ففضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والاشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأنى بالسلام ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو في ازار وورداء فسلم على الناس فاقام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعه ودخل على المنصور وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبئك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فاقبضها فكانت عاتقه أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فأبرك سلوك السنن القويم واتباع الصراط المستقيم (القضية الثانية) نقل ان عافية بن يزيد القاضي كان يلى القضاء به بغداد للمهدى فجاء في بعض الايام وقت الظهر للمهدى وهو خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه في من يسلم اليه القمطر الذى فيه قضايا بمجلس الحكم واستعفا دس القضاء وطلب منه أن يقبله من ولايته فظن المهدى ان بعض الاولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وانه ان عارضك أحد لتذكر عليه فقال القاضي لم يكن شئ

من ذلك قال فاسبب استعفاءك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدم الى خصمان منذ شهر في قضية مشككة وكل يدعي بينة وثم وداويد لي بحجج تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهم ما فسمع أحدهما اني أحب الرطب فهد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لا يتهيا في وقتنا جمع مثله لا مير المؤمنين وما رأيت أحسن منه ورش ابوابي بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرده عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت ابوابي وأمرت برد الطبق فردعه عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان الى فاسا ويا في عيني ولا قلبي فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد فسد الناس فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفني عفا الله عنك (القضية الثالثة) روى همر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يومئذ يث بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى بن عم أمير المؤمنين كان لي بستان على شاطئ الفراء فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي و بنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى ابن عيسى من جميع اخوتي وساومني ورغبني فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصحت لا أعرف من نخلي شيئا واختلط بنخل اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضرها فختمها وقال امض الى بابي حتى يحضر معك جماعة المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي هليك وهذا ختمه فقال ادع الى صاحب الشرطة فدعاه فقال امض الى شريك وقل ياسبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأى الامير أن يعفيني من ذلك فقال امض ويلك فخرج وقال لغلمايه اذهبا واحملا الى الحبس القاضي بساطا وفراسا وما تدعوا الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه أدى الرسالة فقال لغلماي المجلس خذ يد فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسنى فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أى شئ عليه فقال شريك اذهبوا به الى ربيعة الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحاق بن الصباح

الاشعثي والى جماعة من وجوه الكوفة من اصداقاء القاضي شريك وقال لهم
أبلغوه السلام وأعلموه انه استخفى بي وانى لست كالعادة فوضوا اليه وهو جالس
في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالي أراكم
جثمتوني في غيرة من الناس فكلمتموني من هاهنا من قتيان الحى فأجابه جماعة من
القتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم
الافتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أجاد أنت قال حقاً حتى لا تعودوا الرسالة طالم
فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم
فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان فأخبره فدعا بالقطر فغتمه
ووجه به الى منزله وقال لغلामه الحق بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم
ولكن أكرهونا عليه واقد ضمنوا لنا فيه الاغزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة
الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل
يناشده الله ويقول يا أبا عبد الله ثبت انظر اخوانك تحبسهم دع أعواني قال نعم
لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعاً والامضيت
الى أمير المؤمنين المهدي فاستعففته عما قلدي فأمر موسى بردهم جميعاً الى الحبس
وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجنان فقال قد رجعوا جميعاً الى الحبس فقال
لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم فتروا به بين يديه حتى أدخل
المسجد وجلس في مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر
فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك يخرجون من
الحبس فقال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما تدعيه
هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبني حائطها سريعاً كما كان قال أفعل
ذلك قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسي ومتاعه قال موسى بن
عيسى ويرد ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيراً قال
قومي فقامت من مجلسه فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه
وقال السلام عليك أيها الأمير أتأمر بشئ فقال أى شئ أمر وضحك فقال له شريك
أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الأمير
وانصرف الى مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه (القضية
الرابعة) قال عمر بن أخي خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضي شريك فأتيته يوماً

في منزله باكر اخرج الى في رداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت
 من مجلس الحكم فقال غسالت ثيابي أمس فلم تحف اجلس فجلست فجلست فجلست فجلست فجلست فجلست
 باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران
 قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى
 أن لا يعصى له أمر ابالكوفة وكان مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق
 ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خروطيلسان وتحت برذون فاره واذا بين يديه
 رجل ~~مكتوف~~ وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضي واذا في ظهره آثار
 السياط فسلم على شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل أنا بالله ثم بك أصلحك الله
 أنا رجل أعمل هذا الوشي أجرتي كل شهر مائة أخذت في هذا منذ أربعة أشهر
 واحتبسني في طراز يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا واهلكوا وأقبلت
 اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع
 خصمك يا نصراني فقال أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مر به الى
 الحبس قال قم ويحك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال ما هذه الآثار التي
 بظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضي انما ضربته أسواطاً بيدي
 وهو يستحق أكثر من ذلك مر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج
 سوطاً ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب والله بعد هذا
 المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لقيان الحي خذوا هؤلاء الى الحبس
 فهرب الاعوان وبقى النصراني فضربه أسواطاً فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما
 فرغ من ضربه ألقى السوط في الدهليز وقال لي يا أبا حفص ما تقول في العبد
 يتزوج بغير اذن مواليه فأخذنا فيما كافيه كأنه لم يصنع شيئاً وقام النصراني
 الى البرذون ولم يكن له من عيسكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال له
 شريك ارفق به ويحك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كافيه قال عمر فقلت له
 ما لنا واهذا قد فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لي أعز
 أمر الله يعزك الله خذ فيما كافيه فذهب النصراني الى موسى بن عيسى فقال
 شريك فعل بي كيت وكيت فقال له والله ما أتعرض لشريك فضى النصراني الى
 بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة (القضية الخامسة) قال الزبير بن بكار حدثني
 عمي مصعب قال كان عبيد بن طبيان قاضي الرشيد بالرقعة وكان الرشيد اذا ذهبها

فجاء رجل الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي بن
طيان أما بعد أبق الله الامير وحفظه وأتم نعمته أتاني رجل فذكر انه فلان ابن فلان
وأن له على الامير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير يحضر
مجلس الحكم أو يوكل وكيلًا بناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل
فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا
الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاه الله وأمتع بك حضر
رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فصره معه الى مجلس الحكم
أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه فحضر باب عيسى
ابن جعفر ودفع الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك
الله وأمتع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهي
أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقدم على
باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به
فعاد فأبلغاه ذلك فتم قطره وأغلق بابه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه
وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله
لا أفعل قاض لا يقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامة
الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لا يراهيم بن عثمان صر الى دار عيسى
ابن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج
الى الرجل من حقه أو يصير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة
فارس وأغلق الابواب كلها فتوههم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده
رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتفع الصراخ
في منزله وضج النساء فسكتن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع على
أبا اسحاق لا كلمة فأعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا
فأخبره بخبر القاضي بن طيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته
فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض
الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضي من عملكم فيك ما رأيت فإياك
ومعارضته * (القضية السادسة) * قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس
الرشيد يوما فحرت مسألة فتأزرها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم

بحديث يرويه أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبوهريرة منهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوهريرة صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الرشيد نظره غضب وانصرفت إلى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب أمير المؤمنين أجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصرتي قال يا عمر بن حبيب ما تلتقاني أحدهم من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلتقيتني به وتجرات علي فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذا بين فالشرعية باطلة والفرائض في الاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة قاله الله يا أمير المؤمنين ان تظن ذلك أو تصغي اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحيالك الله أحييتني أحيالك الله أحييتني أحيالك الله وأمره بعشرة آلاف درهم* (القضية السابعة)* قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسي وكييل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فطلبه بثمنها وعوقبه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى إلى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب إلى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك المال الباقي وأسافر إلى خراسان فاذا فعل فعرفني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى إلى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع إلى الرجل فأخبره فقال له عد إليه وقل له اذا ركبته غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المال منك في دفعات وأروح أنا إلى خراسان فاذا جاء وجلس إلى القاضي فادع بمالك كله فاذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني إلى مرزبان وسأله ذلك فأجابه وقال غدا انتظر في بياب القاضي فلما ركب من الغد قام إليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل إلى القاضي حتى أوكل يقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقدم إلى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصلح الله

القاضي لي هلي هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادعى عليه فقال له حفص ماتقول
يا مجوسي قال صدق أصلح الله القاضي قال قد أقر لك قال يعطيني مالي والا الحبس
فقال للمرزبان يا مجوسي ماتقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص
يا أحق تقر ثم تقول هذا على السيدة ماتقول يا رجل قال ان أعطاني مالي
والا حبسته فقال حفص يا مجوسي ماتقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا
بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندی
وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فأسرع السندی فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر
الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندی والله لا جالس
للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندی ذلك فجاء الى
السيدة أم جعفر فقال الله الله في فان حفصا من لا تأخذه في الله لومة لائم وأخاف
من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجه رديه الى الحبس وأنا أكرم
حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحق
حبس وكيلى واستخف به اكتب اليه ومعه لا ينظر في الحكم فأمر لها بالكتاب
وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لي شهودا لا سجل لك على المجوسى بالمال
وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا
كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعى حتى نفرغ منه فقال
كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب
من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته
وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ
كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لا أخبرن أمير المؤمنين بما فعلت قال له
حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبره مارون الرشيد بذلك فضحك وقال
للمحاسب مر حفص بن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل
حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم
وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص نعم الله سرور
أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءه ما زدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال
لا أعلم الا أنتى سجلت على مرزبان المجوسى بمال وحب عليه فقال يحيى فبن هذا
سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء

المهاجرة* (القضية الثامنة)* قال أبو الحسن عبد الواحد الحصببي حضرت القاضي
أبا حازم وقد جاءه طريف المخلدي من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك
أمير المؤمنين لنا على فلان البيع مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك أفلاسه
وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحدكم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله
بقائه إذا كرر لما قال لي وقت أن قلارني القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته
في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمدع الأبينة فرجع طريف وأخبره
فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا في ذلك
الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فإن زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت
ما ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فرعاً أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد
شيئاً فهكذا يكون القضاء السديد* (القضية التاسعة)* ذكر وكيع القاضي قال
كنت أتقصد لابي حازم عبد الحميد القاضي وقوفاً في أيام المعتضد بالله منها وقف
الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل
فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري وهو مجاور القصر وبلغت
السنة آخرها وقد جبيت مال الوقف الا ما أخذته المعتضد فجئت الى القاضي
أبي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبله على أهل الوقف
قال هل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله
لا قسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لئن لم ترح اليه لا وليت له عملاً ثم قال امض
اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل له انك
رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت اليه فعرفه ما قلت لك فجئت فقلت
لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي
الخليفة طرأ أن امرأ عظيمًا قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد قاضي
أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره ولما
جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة الى أن أجبي ما على أمير المؤمنين وأنفذني
الساعة قاصداً بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك
قال فسكت المعتضد ساعة متفكراً ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافي أحضر
الصندوق فلما أحضره قال لكم يجب لك قال قلت أربعمائة دينار قال أفتعرف
النقصد والوزن قلت نعم قال ها تواميزانا ثم قال اترن أربعمائة دينار اقبطتها

وانصرفت الى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أضيفها الى ما عندك من الوقوف وفرقة
 غد في سبيله ولا تؤخر ذلك فن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه
 وأبرأ ذمته * (القضية العاشرة) * قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم بن القاضي
 اسماعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يقيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة
 المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لا ختها كلى أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضي
 الجرج عن ولدي فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له
 قل لاسماعيل القاضي يفتك الجرج عن فلان فقال له الوزير إن أمير المؤمنين يأمر بك
 أن ترفع الجرج عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه
 برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والددة الصبي الى أختها وسألتها أن تعاود
 أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود دلخش وثنه فدعا وثنه فقال أليس قد أمرت فقالت
 لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي
 بأن يرفع الجرج عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال
 قل له يرفع الجرج عنه فدعا الوزير ثانيا وقال له أمير المؤمنين يأمر بك أن ترفع الجرج عن
 فلان فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئا وختمه فاستعظم
 الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيئا لمحل اسماعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك
 للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على
 المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه ولم يلقاه
 وقال لا تعاوده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب واذافيه بسم الله الرحمن الرحيم
 يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
 فيضلك عن سبيل الله * فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين
 في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم
 وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم * تنبيه * قد يضعف عصام التقوى في بعض
 الاوقات ويعم ظهور الفساد لتابعة الشهوات ويدفع الانسان الى الخيالة الموعود
 ببقائها على السنة الرواة الثقات وتذهب القرون المشهود لها بالخيرة لتطاول المدد
 وامتداد الفترات فيقل وجود من يقوم بفصل الاحكام وينصب لقضايا الانام
 ويتولى هذه الحالة من الحكم ممن يحصى الشريعة عن اضاعتها ويرعاها حق
 رعايتها ويتصف بصفات يستحق بها تقلد ولايتها ولا يراقب الا الله تعالى في اقامة

وظيفة هاتفتي جرت بذلك ادوار الاقدار وتحقق هذا التباين العظيم واتصل الهوى
 المتبع بالقلوب فانقطع الصراط المستقيم وضعف الحق حتى لو نطق لقال من غير
 نظره في النجوم اني سقيم فلا يعتقد أن ذلك مع تفاقه يجوز ترك الرعايا سدى أو يبيع
 اغفال أحوال القضايا أبدا بل يتعين العمل بقدر الامكان من الجانبين
 مقلدا ومقلدا و يطلب من فوض الله اليه أمر بلاد وعباده الاصلح لذلك
 اذ لم يجد على سيرة المتقدمين أحدا * ومما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسر
 الا اذا كانت الامور طرائق قددا (الركن الثالث الحسبة) وهي
 في الحقيقة أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهي من أرسخ قواعد الدين واقامة
 شعائرها من أقوم المسالك الى التمسك بحبل الله المتين وهي ولاية جليلة
 لا يقوم بها غير القوى الامين ولا يؤدى فرضها الا من آمن بالله واليوم الآخر
 وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
 والنظر فيها يتعلق بقسمين الاول في الشروط المعتمدة في القائم بها والمتصب لها
 والثاني فيما يلزمه من أعمالها و يباشره من أحوالها أما القسم الاول
 الشروط المعتمدة فيه فأن يكون حرا عادلا ذارأى وصرامة وخشونة في الدين
 عالما بالمنكرات الظاهرة لينكرها أمينا لا يقبل رشوة ولا يرتكب خيانة واعتبر
 أبو سعيد الاصطخري ان يكون عالما بطريق الاجتهاد وجعل له ان يحمل الناس
 على رأيه واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلماء فيه وغيره رأى سعيد لم يعتبر
 ذلك ولا جعل له وعلى الجملة فلا بد لمن امتطى مطا هذه الولاية الظاهرة الرياسة
 المشهود لها بالجلالة والنفاسة من اقامة أوضاعها المبنية على الحماية
 والحراسة ومعرفة أحكامها المتعلقة بالسياسة ولا يكفي فيها مجرد القراءة
 والدراسة بل يفتقر الى نفس متصفة باليقظة والكياسة متحلية بشئ من التجربة
 والفراسة فانها ولاية شاملة للاعيان والرعاع نافذة في تأديب أهل المكر
 والخذاع مسلطة على ردع ذوى الخيل والتحمل من الصنائع مسيطرة في استنباط
 حال الظالم والمظلوم عند الاختصاص والنزاع فلهذا يحتاج الى نفس مستيقظة
 عارفة ومعرفة تالدة وطارفة وتجربة لانواع الوقائع مشارفة وفراسة لتحقيق
 الحق اذا تعارضت الشبه كاشفة وديانة عند أمر الشريعة الشريفة واقفة
 فهذه صفات من يصلح للاحتساب والشروط التي لا بد من اعتبارها في هذا

الباب وأما القسم الثاني وهو تفصيل ما يأتيه من الاعمال وما يذره وما يأمر به وما ينكره وذلك كله ثلاثة أنواع أحدها خالص حق الله تعالى وثانيها خالص حق العباد وثالثها مشترك بين الله وبين العباد * النوع الأول حقوق الله تعالى من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارات والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الاسلام فان رأى أو علم انساناً يعتمد الخلل فيها ويقصد الاستهانة بكن يصلي جنباً أو محدثاً أو متلاً عباداً بالصلاة أو يأكل في رمضان نهاراً من غير عذر أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتاراً أو أهل بلد أو محلة عطلوا صلاة الجماعات في مساجدهم واغلقوها عمدًا غير معذورين أو تركوا الاذان في أوقات الصلوات وتطابقوا عليه أو أهملوا غسل موتاهم وتكفينهم من غير عذر إلى غير ذلك مما يطرق إلى الدين خللاً واستهتاراً ويقضى على فاعله بقوله دينه وسوء عقيدته ويلحق بذلك التجاهر بالمحترمات والتجسس بانظار المنكرات ومنه كشف العورات في مجامع الناس والجماعات استهانة واستهتاراً بالديانات والمروآت فهذه كلها وما يجري مجراها ويشاركها في معناها داخله في باب الاحتساب يلزمه انكارها بما يحسمها من الاسباب ويأمر فيها بسلوك السنن المشروع إلى كشف شبه الارتياح ويؤدب العاصي بها بما يناسبه من التأديب الا اذا تاب وأقلم وأتاب * النوع الثاني حقوق العباد والمعاملات وما يتعلق بالمرورعات والمكيلات والموزونات وما يعتمد عليه أرباب المعاش والصناعات فيلزمه النظر في أمورها لاصلاح فسادها واعتبار ما خرج منها عن المعروف من عوائدها وملاحظة معاملتها ساكني الاسواق في مألوف قواعدها وفيه فقد أحوال جلوسها في مصاطبها ومقاعدها فيحسم مادة الفساد ويقوم عوج المناد ويأمر بسلوك سبيل الرشاد ويصرف قسطاً وافرًا من عنايته وحظاً وافياً من يقظته ودرايته إلى أحوال طهارة الخبازين ومقادير الاذرع والاكال والموازين وتضاييق سكك الدروب ومسالك المجتازين فيتطلع إلى تصحيح مقدارها ويرتب كلامها بقسطاسها ومعيارها ويؤدب من يعتمد الحيانة فيها فان بها صيانة السفلة السوق وشراؤها هذا إلى الالتفات البالغ إلى اصلاح الشوى في تطهيره من الدماء وقت علاجه واستعمال قدر صالح من الملح في جوانبه ليكمل بذلك حق انضاجه واعتبار نقص الثلث منه لاستحقاق فتح تنوره واخراج منه وتنظيف

الآلات التي يباشرها بآثمه لنفاقه ورواجه ويعتمد في ذلك كله متابعة طريق
الواجب فيه ومنهاجه ولولا أن الاطناب مستم والاسام مؤلم لشرح القلم من
الانواع التي يدخلها التدليس ويجرى فيها الغش والتلبيس من أنواع المركبات
وأصناف الخلطات كالاشربة والمعاجين والربوب والادقة والادهان والحلاوات
والشموع والقسي وأنواع الوبرو أصناف من المأكولات والأطعمة والكسوات
ما يحار فيه سامعه من تعداده ويكثر تعجبه من جمعه وإيراده كل ذلك عما يتعين على
المتصّب لنصب الاحتساب بذل جده واجتهاده في اعتباره واختباره وافتقاده
وانتقاده ويحسم بسياسته مادة الذعار ويسلك جادة حفظ أموال التجار
والغرباء الواردين من الامصار والرعايا فيماتدعوهم اليه حاجة الاضطرار
باقامة الضمان للسماسة والدلائن والبيعة والكيلين والنقلة والجمالين
والمنكارية والجمالين وان كان في مكان فيه سفن ومراكب فليتوتيه والملاحين
ولكل مجهول يباشر صناعة في أمتعة يتسلّمها من أربابها وينفرد بها دون أصحابها
* النوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد فصاحب
الحسبة ما مورب باعتباره وهو داخل تحت أمره وانكاره كالطرقات العامة
والشوارع المملوكة والاسواق المشتركة فكل من أحدث بناء أو غرس
شجرة أو أخرج جناحا أو ميزابا أو جدّد مصبّة تضرّ بالمارة وتضيق على
العمّلة فيمنعه منه ويردعه عنه وكذلك من أراد أن يشرف من سطحه على
منازل الناس وينظر الى حرمهم يردعه عنه ويكفه منه ويمنع أهل الذمة
أن يغلوبنيانهم على بناء المسلمين ويأخذهم باقامة ما هو مشروط عليهم في عقد
الذمة ويلزمهم بالغيار ولبس ما يخالف هيئة المسلمين ويمنعهم من التظاهر
بمنازع واعن اظهاره فعلا وقولا ويكف عنهم من يقصد منهم بظلم أو أذى وإذا كان
في بعض الجوامع والمساجد امام يطيل القراءة في الصلاة الى غاية يضعف عنها
الـكبير والمتألم وينقطع بها ذو الحاجة يزجره عن ذلك ويأمره بالتخفيف
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن جبل وان كان في السادة
من يحقّ محال كوعيبه ولا كسوءهم فله الاجتساب عليه وكذا
ان كفهم من العمل فوق طاقتهم أو كان لا حد دابة يشيل عليها زيادة عن حملها بما
يضرّ بها فله أن يمنع من ذلك ويأمر فيه باتباع طريق العدل وسلوك سبيل الحق

حتى لو رأى من بعض ذوى الاحترام وأرباب المناصب العظام والمراتب الجسام
تقصيرا فيما يلزمه فعله كان له الاحتساب فيه بالانكار عليه * وقد يمانقل عن
محتسب بغداد أنه متر يوما على باب دار القاضي ابن حماد فرأى الخصوم جلوسا على
بابه ينتظرون جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت الشمس فوقف واستدعى
حاجبه وقال له تقول لقاضى القضاة الخصوم جلوس بالباب وقد بلغتكم الشمس
وتأذوا بالانتظار فما جلست وأما بلغتكم عذرك لنصرفوا ويعودوا اذا زال عذرك
وجلست فحمله دينه على الاحتساب على قاضى القضاة وكم كما أن يده زمام
الاحتساب وله ولاية الامر والنهى فيما سبق من الاسباب فكذلك له التأديب
والتعزير على قدر الجرائم والذنوب الا أنه لا يبلغ تعزيره أدنى الحد ودو يجوز في
التعزير الضرب والصفع وحلق الرأس دون اللحية ويجوز فيه أن يصلب حيا
ولا يزيد في صلبه على ثلاثة أيام ولا يمنع فيها من الطعام والشراب ولا من وضوء
الصلاة ويصلى بالايما ويعيد الصلاة اذا اطلق ويجوز أن يشهر المعزى في الناس
وينادى عليه بذنبه اذا كان قد تكرر منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه في
التعزير عند أكثر الاصحاب ويفرق الضرب في التعزير على جميع البدن بعد اتقاء
الوجه والمقاتل ولا يجوز أن يجمعه كله في موضع واحد من الجسد على رأى جمهور
الاصحاب وذهب أبو عبد الله الزبيرى رحمه الله تعالى من أصحابنا الى جواز ذلك
ويجوز التعزير بالحبس والنفي واختلف الاصحاب في مدة الحبس فذهب الزبيرى
الى تقدير غايته بستة أشهر. ولا يزيد عليها وقال غيره لا يتقدر وأما النفي
فظاهر مذهب الشافعى رضى الله عنه أن غاية النفي مدته مقدرة بما دون ستة
أشهر ولو يوم ويوم لئلا يساوى النفي المشروع فى الحد فى باب الزنا وقد يكون
التعزير فى حق بعض الناس بالكلام الحشن والشتم دون الفعل وان رأى
المصلحة فى العفو عن التعزير جاز بخلاف الحد ودفعه لا يجوز العفو عنها بحال
(الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها) ولاية الاوقاف من باب التعاون على
البر والتقوى ولا ينهض بحمل ثقلها الا الامين القوى فان أبوابا متسعة وأربابها
متنوعة وشعابها متفرعة فانهم أصناف مختلفون وطوائف موصوفون فمنهم
الاشراف المتهملون برسول الله صلى الله عليه وسلم الهاشميون والعباسيون
والعلويون والحسينيون والحسينيون وغيرهم ومنهم الفقهاء الشافعية والحنفية

والمالكية والحنابلة وغيرهم ومنهم الصوفية والفقراء والقراء والاضراء
والاسراء وأبناء السبيل والمرضى والمجانين ومنها تكفين الموتى وأسوار الثغور
وقناطر الطرقات وعمارة المساجد ومصابيحها وأئمتها ومؤذنها وقومتها
ومصالح المدارس واقامة وظائفها وكذلك الربط والخوانق والمشاهد ومواطن
العبادة الى ما سوى ذلك من وقف على تعليم اليتامى الخط ووقف على من انكسرت
له آنية لا يقدر على عوضها وغير هذا من أبواب الطاعات وجهات الخيرات فهذه
الوقوف العامة جميعها على اختلاف مصارفها وتباين جهاتها مشتركة في أن
المقصد بها التقرب الى الله تعالى فانها معدودة من الصدقات داخلية في باب
القربات فيجب اتباع شروط واقفيها والعمل بها والكلام الآن على فصلين * الأول
في الصفات لما كانت الوقوف العامة مستحقة لقوم موصوفين غير معينين بتعذر
علمهم مباشرة التصرفات بأنفسهم لعدم تعيينهم جرى أمر الناظر فيها والمتولى
في أموال العاجزين عن التصرف بأنفسهم كالأوصياء والأمناء فكل صفة مشترطة
لصحة نظر الأوصياء والأمناء في أموال العاجزين عن التصرفات بصبا أو جنون في
صحة نظر المتولى للوقف العام وكل ما يمنع من صحة ولاية الوقف العام فالفاسق
والخائن والعاجز لا يجوز أن يكون وصيا في ذلك ولا أمينا عليه حتى لو أوصى الأب
على أطفاله بالنظر في مالهم الى فاسق يعتمد عليه فانه لا تصح وصيته ولا يعتبر قوله
وكذلك لو أقام الخاكم أمينا للنظر في مال بعض اليتامى أو غيرها وهو فاسق فانه
لا تصح توليته ولا تحمل اقامته له وكان تصرفه باطلا كذلك ولاية النظر في الاوقاف
المذكورة لا يجوز لفاسق ولا خائن ولا عاجز سواء كان النظر مفوضا اليه من
الواقف أو من السلطان ولا يحل له ذلك ولا بد من أهلية لها وصفات أهلية الامانة
فانها أصل العدالة والكفاية ولا يكفي في جواز ولايته وجود احدي الصفتين
فانه لو كان كافيا ولكن هو فاسق أو أمينا لكن هو عاجز فانه لا تحل توليته ولا يجوز
أن يفوض اليه النظر في ذلك فان تولى كان آثما عاصيا مضمونة عليه تصرفاته
فان كان وقت التولية متصفا بهما فطرأ عليه ما أزال احدهما بان تجدد فسقه
بخيانه أو غيرها أو عجزه بزمانه أو غيرها تعين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها
حتى لقد صرح عالم خراسان امام الحرم من رضى الله عنه بان الواقف لو صرح
وشرط النظر لنفسه في وقفه ثم اختل فيه الوصفان أو أحدهما ان السلطان

لا يتركه والتحقيق فيه ما ذكرناه من ان الولاية في الوقف العام تصرف في حق الغير
نظره من غير جهته فيعتبر في صفاته لصحة ولايته ما يعتبر في حق الوصي والامين
والقيم من العدالة وغيرها وكل ما يقدح في الامانة والكفاية يقدح في الولاية
* الفصل الثاني في بيان ما يلزمهم من التصرفات وما يجب عليهم منها وجملة القول
في ذلك تنكشف باجمال وتفصيل أما الاجمال فانه يجب اتباع الشروط المشروعة
والعمل بها من اقامة الوظائف ورعاية المصارف حسب ما صدر عن الواقف وأما
التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل وحفظه واستئجاره وتزويده بما كانه
وتتمير جهاته والنهوض بكل ما فيه مستزاد مسوغ في ريعه حتى لا ينسب الى تقصير
ولا ينظر اليه بعين تفریط ولا يجوز ان يغير شيئا من الاوقاف عن صورته فلا يجعل
الحمام خانا ولا الخان دكانا ولا الدار بستانا ولا يحدث في الوقف ما يغيره عن صفته فان
فعل ذلك منعه منه السلطان وألزمه ان يزيل ما أحدثه ويعيده الى ما كان عليه
الا أن يكون الواقف قد جوز له ذلك وجعله بطريقه ولا يجوز ان يؤثر الوقف على
خلاف شرط واقفه وأحوال الواقف ثلاثة فانه إما أن يكون قد صرح بالمنع وشرط
أن لا يؤثر الوقف أصلا ورأسا وإما أن يكون قد صرح بالاجارة والاذن فيها وإما
أن يكون قد سكت ولم يذكر شيئا لامنعا ولا اذنا * الحالة الاولى ان يصرح بالمنع
وشرط أن لا يؤثر فالظاهر من مذهب الشافعي رضي الله عنه اتباع شرطه ولا يؤثر
ومن الاصحاب من رأى ذلك على خلاف المصلحة وانه حجر على الموقوف عليه فيما
هو مستحق له فيجوز الاجارة ومنهم من قال لا يراذ على سنة واحدة حفظا للوقف
* الحالة الثانية أن يصرح بالاذن في ان يؤثر فان عين مدة ونص عليها فلا يجوز
ان يزيد في عقد الاجارة على مقدارها فان آجره مدة زائدة على المدة المعينة في الاذن
وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود وان فعل ذلك في عقود متعددة
متتابعة كل عقد مشتمل على المدة المعينة المأذون فيها لا غير فان كان الواقف
قد شرط أن لا يعقد عقدا حتى ينقضي مدة العقد الاول فلا يجوز ما فعله الناظر
وكانت الاجارة باطلة في غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك ففي صحة العقود
للمدة المستقبلية الواقعة بعد الاول خلاف * الحالة الثالثة أن يكون قد سكت عن
القسمين منعا واذنهما تجوز الاجارة على ما تقتضيه المصلحة برعاية ما هو الاغبط
والاحوط وكذلك الحكم اذا جهلت الحال ولا خلاف في الاقسام كلها حيث

بحوزت الاجارة أنهم مقيدة بأجرة المثل فان أجر بدوئها فالعقد باطل والاجارة
مردودة ثم ان الاولى ان الناظر في الوقف اذا أجره فلا يزيد على مدة ثلاث سنين
فان الامام أباسعد المتوفى رضى الله عنه قال ان الحكم اصطالحوا على منع الاجارة في
الاقواف أكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى لا تدرسى الاوقاف ويطول
بقاؤها في يد انسان واحد فيدعمها ملكا ويجب عليه أن يوصل الى كل ذى حق
حقه منه من المصارف ولا يحرم أحد من المستحقين ولا يعطى منه من لا حقه
فيه ولا يدخل فيه من ليس من أهله ولا يخرج أحد من أهله الا أن يكون قد جعل
الواقف له ذلك وقوضه اليه بطريقة ولا يجوز ان يجعل لنفسه منه ما لا يستحقه
فان خالف ما ذكرناه وعمل ما هو ممنوع منه عالما بأنه لا يجوز له وأصر متبعاً
هو اه مضيعا هداه فقد خالف الله تعالى وعصاه وزالت أماته وظهرت خيائته
فلا يجوز بقاؤه ودوت عين صرفه وزالت أماته وظهرت خيائته
لتفريطه في حقهم وارتكابه ما لا يجوز فعله في وقفهم وكان مطالب بالبا بمافرط فيه
مؤاخذا بما أنذاعه منه

(القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات)

لما كانت هذه القاعدة آخر القواعد وبها اختتام هذا الكتاب المشتمل على فرائد
القلائد ضمنيتها أنواعا من فوائد النوادر وفوائد الفوائد وأودعتها أنواعا متعددة
المقاصد صالحة للعالم والعامل والصادر والوارد وبدأت منها بما هو وسيلة الى
معرفة العلماء الذين دأبوا على العمل في صدورهم ونقبوا في اكتسابه حتى حصلوا
منه غاية مستطاعهم ومقدورهم بحيث اذا عرفوا اخصوا بالرعاية والعناية وميزوا
بمقدار ما عندهم من المعرفة والدراية فيكون ذلك داعيا على الاشتغال به وفي كل
كفاية ونهاية الى الغاية واذا كانت أنواع العلوم وصنوفها مختلفة الشعوب
متناسبة الاسلوب متعددة الضروب لا تنضبط بكتاب ولا تنحصر بمكتوب وقع
الاقتصار منها على النوع الذي هو العلم الحقيقي شرعا الذي هو في الملة الاسلامية
والشريعة النبوية أكبر نفعاً وأكثر جعلاً وهو علم الاحكام ومعرفة الحلال
والحرام ومتى أطلقت لفظة العلم حملت على علم الشريعة دون غيره من العلوم
المتعددة الانواع والاقسام حتى لقد صرح الائمة رضى الله عنهم بأنه لو أوصى رجل
بثلث ماله لعلما فإنه يصرف الى علماء الشريعة دون غيره وقد كشف الامام

عالم العراق أبو الحسين علي بن حبيب الماوردي رضي الله عنه غطاء الاضطراب
 عن وجهه الصواب وذكري في كتابه المسمى بالحواوي في الفتاوى ان الرجل لو قال
 أعطوا ثلاث مالي لا علم الناس فانه يصرف الى الفقهاء لقيامهم بعلم الشريعة الذي
 هو بأكثر العلوم متعلق ثم ان حاجة الناس داعية اليه ومصالحهم منوطة به ووقائعهم
 موقوفة عليه والمدعي أنه من حملته كثير وهذه الوسيلة مفضية الى معرفة الفرق
 بين الفريقين كاشفة عند استعماها كنه الحقيقةين وقد مخضت لاستخراجها
 أو طاب المسائل ورصفت صفاتها فأصبحت عمدة السائل ووضعت صورها من
 أقرب الوسائل محكما للاختيار ومسلكا الى اعتبار ذوى الفضائل فن أجاب فيها
 بالاطلاق فأصاب الصواب ومن فصل القول لجوابها فقد أجاد وأجاب وهي
 في العبادات والمعاملات والمناكحات والجنائيات فن ذلك * (مسائل العبادات) *
 (مسئلة) انسان يصلي على سجادة فلما أحرم بالصلاة وأراد السجود نظر الى موضع
 سجوده من السجادة نجاسة فأخذ طرف السجادة وسجد على موضع طاهر هل صحت
 صلاته أم لا ان أجيب فيها بالحكمة أو بالابطال فهو خطأ * والصواب من الجواب
 انه ان أخذ الطرف الطاهر من السجادة وغطى به النجاسة ولم يرفع النجاسة وسجد
 على الموضع الطاهر الذي وضعه على الموضع النجس لم تبطل صلاته وان رفعه عن
 موضع سجوده وسجد على الارض بطلت صلاته لانه حمل في صلاته نجاسة فبطلت
 (مسئلة) جماعة صلوا خلف امام صلاة الصبح فقرأ الفاتحة فحزن في آخرها لحنايغير
 المعنى فنهىوه على ذلك بالتسبيح فلم يعد الى الصواب فقارقه وأتموا لانفسهم فهل
 تصح صلاتهم أم لا ان أجيب فيها بالحكمة أو بالبطالان فهو خطأ * والصواب من
 الجواب ان لحنه ان كان طبعاً لم تصح صلاتهم وعليهم الاعادة فان احرامهم خلفه
 لم ينعقد وان كان لحناً خطأ صدر منه ولم يكن طبعاً صحت صلاتهم وتمت لهم
 (مسئلة) مصل جلس في آخر صلاته ليتشهد فحصل له شك هل سجد في صلاته أم لا
 فهل يسبق له السجود أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ *
 والصواب من الجواب انه ان كان شكه في زيادة زاده في الصلاة فلا يسجد للسهم
 اذا الاصل عدم الزيادة وان كان شكه في نقصان شيء من هيئات الصلاة كالقنوت
 والتشهد الاوّل يسجد للسهم اذا الاصل انه لم يأت به (مسئلة) رجلان دخلا مسجدا
 وصليا واعتقدا كل واحد منهما ان صلاته وقعت جماعة مع صلاة صاحبه ثم فرغا

وانصرفا فهل صحت صلاتهما لا اعتقادهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا كان خطأ * والصواب من الجواب ان كان كل واحد منهما يعتقد حصول الجماعة له مع صاحبه لكونه اماما وصاحبه مأموما فصلاتهما صحيحتان وان كان كل واحد يعتقد أنه مأمووم وصاحبه امام فصلاتهما باطلة (مسئلة) لانسان له من الابل نصاب وجبت عليه قيمة الزكاة ولم يجد السن المقر وض عليه فهل يجوز له أن يصعد الى سن أعلى منه و يأخذ الجبران أو ينزل الى سن أنزل منه ويعطى الجبران أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان ابله ان كانت صحاحا فيجوز له الصعود وأخذ الجبران ويجوز له النزول ودفع الجبران وان كانت كلها مراضا فيجوز له النزول ودفع الجبران ولا يجوز له الصعود وأخذ الجبران لانه مضر بالفقراء (مسئلة) امرأة ماتت في شهر رمضان ولها مال كثير وخلفت زوجا وابنا منه فورثاها ووجبت عليهما زكاة الفطروهما غنيان فأخرج الاب زكاة الفطر من ماله عنه وعن ولده فهل يجوز اخراجه عن ولده مع كونه غنيا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الولدان كان صغيرا جاز وان كان كبيرا لم يجز لا بشرط بذل البالغ (مسئلة) انسان وجب عليه صوم بحكم النذر ففات فهل يلزم وليه قضاءؤه ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كان نذره صوم الدهر فلا قضاء عليه لتعذره وان كان غيره فيلزمه القضاء (مسئلة) رجل معتكف تعين عليه أداء شهادة هل يجوز له أن يخرج لادائها من المعتكف أم لا ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان تحملا ابتداء تعين عليه فيجوز أن يخرج لادائها وان كان تحملا بأمر تعين عليه فلا يجوز له أن يخرج لادائها لانه هو الذي أدخل نفسه فيها باختياره (مسئلة) رجل أراد أن يحرم بالحج فهل يجوز له أن يقدم الاحرام على الميقات المعين له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان قدمه على الميقات الزماني لا يجوز وان قدمه على الميقات المكاني فيجوز لا تتحد الزمان بالنسبة الى الناس كلهم واختلاف المكاني (مسئلة) اذا قطع المحرم شعره لدفع الاذى فهل يجب عليه ضمانه بالفدية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب

انه ان كان الاذى من الشعر بان نزل الى عينيه فلا ضمان عليه
وان كان الاذى من غير الشعر بان كان في رأسه قل فأزال الشعر ليزيل
القل فوجب عليه الضمان لنسبة الاذى الى غير الشعر (مسئلة) طائر له فرخان
أحدهما في الحل والآخر في الحرم أمسك رجل حلالا غير محرم الطائر
وتركه في قفص فبات ومات الفرخ بسببه وكل واحد في موضعه أحدهما في
الحل والآخر في الحرم فهل يجب عليه ضمان الطائر والفرخ أو الفرخ وحده
فان أجيب فيها بأحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الطائر
ان كان في الحل والفرخ في الحرم وجب عليه ضمان الفرخ دون الطائر وان كان
الطائر في الحرم والفرخ في الحل وجب عليه ضمانهما (مسئلة) محرم معه كلب
فأرسله على صيد فأصابه فهل يجب عليه ضمانه أم لا ان أجيب فيها بالنفي
أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الكلب ان كان معلما يجب عليه الضمان
وان لم يكن معلما فلا ضمان عليه اذ فعل غير المعلم لا ينسب الى مرسله (مسئلة) محرم
رمى بسهم الى صيد فأصابه وسقط الصيد المرمى على صيد آخر وماتا كلاهما فهل
يجب على الراعي ضمانهما أم يجب عليه ضمان الاول دون الثاني ان أجيب فيها
بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الصيد الاول المرمى بالسهم ان
تخامل بعد الرمية ومشى قليلا ثم وقع على الآخر وجب عليه ضمان الاول دون الثاني
لنسبة سقوط الاول بعدم مشيه وتحميله الى فعله دون الراعي وان وقع عليه بجذوة
السهم وجذوة الرمية من غير تخامل وجب عليه ضمان الاول والثاني لنسبته اليه
(مسئلة) رجل له عبد عمل له محرم فباعه فاشتراه انسان آخر ولم يعلم أنه محرم فهل
يثبت للمشتري الخيار أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ *
والصواب أن احرام العبد ان كان باذن مولاه البائع فيثبت خيار الفسخ للمشتري
اذ لا يقدر على تحليه وان كان احرامه بغير اذن مولاه فلا خيار له اذ يمكن تحليه
(مسئلة) أجير استأجر ليحج عن غيره فاعتمر أو استأجر ليحج فحج فلا جرة
لا يستحقها لمخالفته وليكن النسك الذي أتى به من الحج أو العمرة هل يقع عنه أو عن
من نواه ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الاجارة
ان كانت عن حي فلا يقع المأثي به عنه لعدم اذنه فيه وهو شرط ويقع عن الاخير وان
كان ذلك عن ميت فيقع عنه دون الاخير فان اذن الميت ليس شرط اولهذ الوج

رجل عن الميت تبرعاً منه صم وسقط به الحج الذي كان واجباً على الميت (مسئلة)
 رجل اشترى عينا وتلفت في يده بعد القبض ثم اطلع على عيب قديم فهل له الرجوع
 بالارش على البائع أم لا ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقاً فهو خطأ
 * والصواب ان كانت العين المبيعة سلعة غير دراهم ودنانير فله الرجوع بالارش
 وان كانت دراهم أو دنانير في عقد الصرف يبعث بدراهم أو دنانير وتقابضاً فانه
 لا يجوز الرجوع بالارش لما فيه من الوقوع في الربا لكن يفسخ العقد بينهما ويرد
 مثل التالف ويسترجع ما سلمه ان كان باقياً أو بدله ان كان تالفاً (مسئلة) رجل
 باع عبداً بألف درهم وتقابضاً ثم ان البائع عاد الى المشتري ومعه ألف درهم زيوف
 وقال هذه الدراهم التي قبضتها اخذها فقال ليس هذه تلك الدراهم فهل يقبل
 قول البائع أم قول المشتري ان أجيب فيها بالاطلاق فهو خطأ * والصواب من
 الجواب أن الدراهم ان كانت معينة وقت العقد ووقع عليها فالقول قول المشتري
 وان كان العقد وقع على دراهم في الذمة وعينت تلك الدراهم عمماً في الذمة فالقول
 قول البائع ومثل هذه المسئلة لو ابتاع ثوباً وقبضه ثم جاء بثوب معيب وقال هذا
 الثوب الذي اشتريته مني فاردده بالعيب وقال البائع ليس هذا الثوب الذي
 قبضته مني بل هو غيره فهل القول قول البائع أم قول المشتري ان أجيب فيها
 بالاطلاق فهو خطأ * والصواب أن الثوب ان كان معيناً وقع العقد عليه فالقول
 قول البائع وان كان عنه عمماً في الذمة فالقول قول المشتري اذا اصابه في
 الذمة الى أن يتبين تسليمه (مسئلة) رجل اشترى حبلًا لا حبل به ثم تجدد به حبل
 بعد القبض ثم اطلع به على عيب قديم بعد الولادة ولم يتجدد عند المشتري عيب فهل
 يجوز له أن يرده على البائع بالعيب القديم أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقاً فهو خطأ * والصواب أن الحيوان المشتري ان كان بهيمة فيجوز له الرد
 وان كان جارية لا يجوز له ردها لحرمة التفريق بين الام وولدها قبل البيع ويتعين
 حقه في الارش لتعذر الرد شرعاً (مسئلة) اذا حضر المسلم اليه المسلم فيه أنقص
 من الشروط فهل يجب على المسلم قبوله أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
 مطلقاً فهو خطأ * والصواب أن المسلم فيه ان كان يتقسط عليه الثمن بالبقية كما
 لو أسلم في ثوب طوله عشرة أذرع فأحضره وطوله تسعة أذرع فانه لا يجب عليه قبوله
 (مسئلة) جارية مصرية عند رجل يدين له يبعث في الدين فاشترى رجل وأعتقها

فتزوّجت وولدت ابنين فمكبرا وشهدا على المرتين انه كان أبرأ الراهن من الدين قبل
أن يقع الرهن هل تقبل شهادتهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ* والصواب ان كان أبوهما قد تزوج أمهما على أنها مملوكة ولم يعلم بعقدها وكان
عمن يحل له نكاح الامة لم تقبل شهادتهما لانه يلزم من قبولها عدم قبولها الوجود والرد
وان كان وطئها على أنها حرة قبلت شهادتهما لعدم المانع من قبولها (مسئلة) رجل
أقام البيعة العادلة بأفلاسه بعد تقدم الدعوى فهل لمن له الدين عليه أن يحلفه أن
لا مال له في الباطن أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ
* والصواب انه ان كان قد أقام البيعة على تلف ماله لم يكن له أن يحلفه لما فيه من
تكذيب الشهود وان كان أقام البيعة على أن لا مال له حلف وتكون يمينه واجبة
على وجهه ومستحبة على وجهه (مسئلة) رجل صالح رجلا على مسيل مائة في ملكه
بعوض معلوم وبين مقدار المسيل ولم يبين مقدار الماء الذي يسيل في المسيل فهل
يصح الصلح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ* والصواب ان
كان المسيل على الأرض صم وان كان على السطح لم يصح (مسئلة) عبد كاتبه وولاه
ثم بعد الكتابة صار يبيع ويشترى فاشترى سلعة فهل تجوز الحوالة عليه أم لا ان
أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ* والصواب ان المكاتب ان كان قد
اشتراها من أجنبي جازت الحوالة وان كان قد اشتراها من مولا لم يجز (مسئلة)
رجل غصب من رجل آخر حنطة وأكلها فمأذ اضممها بالقيمة أو بالمثل ان أجيب
فيها بأحدهما مطلقا فهو خطأ* والصواب انه ان أكلها على هيئتها حنطة ضمها
بالمثل وان طحنها ثم أكلها ضمها بالقيمة أكثر ما كانت وقت طحنها الى أن أكلها فان
الدقيق من ذوات القيم (مسئلة) زقاق أو دهلين مشترك بين اثنين شقص فهل تثبت
فيه الشفعة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ* والصواب من
الجواب أن الرقاق أو الدهلين ان كان بحيث اذا قسم لم ينتفع كل واحد من الشركاء
بما يحصل له فلا تثبت الشفعة فيه وان كان بحيث ينتفع به بعد القسمة وكان للمشتري
طريق غيره ثبتت فيه الشفعة وان لم تكن طريق غيره ففيه خلاف (مسئلة) رجل
ثبت له الشفعة في ملك فشهد البائع على الشفيع بأه عفا عن الشفعة فهل تقبل
شهادته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ* والصواب من
الجواب ان كانت شهادته بعد قبض الثمن قبلت وان كانت قبل قبضه لم تقبل (مسئلة)

رجل دفع الى رجل ألف درهم قراضا ليكون الربح بينهما نصفين ثم سلم اليه ألف درهم أخرى وقال أضف هذه الألف الثانية الى الألف الأولى ليكون الجميع قراضا فهل يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الأول صحيحا والثاني فاسدا ان أجيب فيها بحكمة القراض فهم ما أو بغيره مطلقا فهو خطأ* والصواب من الجواب ان الألف الثانية ان دفعت اليه قبل تصرفه في الدراهم الأولى كان الجميع قراضا صحيحا وان كان بعد تصرفه فيها كان الأول صحيحا والثاني فاسدا (مسئلة) رجل دفع الى رجل مالا قراضا وقال قارضتك سنة على أن لا تصرف بعدها بعض التصرفات المطلقة لك في السنة وعينه فهل يصح القراض بهذا الشرط أم يبطل ان أجيب فيها بالصحة أو الا بطل مطلقا فهو خطأ* والصواب أنه ان كان شرط أن لا تصرف بعد السنة بالشراء وحده صح لانه لا ينقض مقصود العقد وان كان شرط أن لا تصرف بعد السنة بالبيع فهو باطل لانه يبطل المقصود (مسئلة) رجل استأجر رجلا ليجمله الى بلد معين ويحتاج في الطريق الى دليل فأجرة هذا الدليل هل تكون على المستأجر أو تكون على المكارى ان أجيب فيها بالوجوب على أحدهما مطلقا فهو خطأ والصواب من الجواب أن الاجارة ان كانت اجارة عين فأجرة الدليل على المستأجر وان كانت اجارة في الذمة فأجرة الدليل على المكارى (مسئلة) رجل استأجر بيتا من رجل ليخزن فيه كرامن حنطة فخرن فيه كرامن من حنطة فهل يجب على المستأجر زيادة عن الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ* والصواب أن البيت المستأجر ان كان على الأرض فلا يلزمه زيادة على الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة وان كان البيت غرفة على سطح فيلزمه أجرة المثل لازيادة لأن الزائد على السطح يحصل به زيادة ضرر على السقف (مسئلة) انسان أوصى بثلث ماله لمن نصفه حر ونصفه عبد فهل تصح وصيته له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ* والصواب من الجواب أن النصف المملوك ان كان لا جنبي صححت الوصية فان لم يكن بينهما مهايأة كان الثلث بينهما نصفين نصفه للمولى ونصفه لهذا الموصى له وان كان بينهما مهايأة ففيه خلاف مشهور مبناه ان المنافع هل تدخل في المهايأة أم لا فان لم تدخل في المهايأة كان بينهما بكل حال وان دخلت في المهايأة كان على الخلاف في تلك الوصية بالموت اذ بالموت يبطل وان كان النصف المملوك لو ارث فلا تصح الوصية

اسلامهون فيصح لاستقرار حقه من الاختيار قبل الاحرام (مسئلة) اذا أسلم
الرجل على أكثر من أربع زوجات ثم قال قبل اسلامهون كلما أسلمت واحدة من
هؤلاء فقد فسخت نكاحها فأسلمن كلهن قبل انقضاء المدة فهل يصح قوله وينقطع
النكاح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أنه
ان أراد بذلك الفسخ فلا يصح لان الفسخ لا يقبل التعليق وان أراد به الطلاق صح
على أحد الوجهين لقبوله التعليق (مسئلة) رجل تزوج بامرأة فأحضرتها الى
الحاكم وادعت عليه انه عنين فهل يسمع الحاكم دعواها لضرب له الاجل أم لا ان
أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الزوجة ان كانت حرة
سمع الحاكم دعواها وان كانت أمة لم يسمع دعواها اذ لو سمع دعواها لفقد شرط من
شروط جواز نكاحها فيبطل حق الوطء فيلزم الدور فلا يسمع (مسئلة) رجل
تزوج عبده باذنه بحرة على صداق معين وهو مائة دينار ومثلا وضمنها السيد لها
ثم بعد مدة باعها العبد بتلك المائة المضمونة فهل يصح البيع أم لا ان أجيب فيها
بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب * ان كان البيع بعد الدخول
فهو صحيح وينفسخ النكاح لانها مملكت زوجها وان كان قبل الدخول فهو غير
صحيح لان صحته يستلزم بطلانه بطريق الدور (مسئلة) رجل له زوجتان مسلمة
ونصرانية فقال للنصرانية أنت قد ارتدت وصرت مسلمة وقال للمسلمة أنت
قد ارتدت وصرت نصرانية فـ ~~كذبته~~ ولم تصدقه واحدة منهما فهل يبطل
نكاحهما أولا يبطل أو يبطل نكاح واحدة ويبقى نكاح الاخرى ان أجيب
فيها بأحد هذه الاقسام فهو خطأ * الصواب * ان ذلك ان كان قبل الدخول
بطل النكاحان لوجود المبطل في زعمه فيؤاخذ به أما المسلمة فظاهر لتصريحه
بالردة وأما النصرانية فلا * ~~بطل~~ يجعدها للاسلام قد ارتدت في زعمه وان كان بعد
الدخول ثبت نكاح المسلمة وبقي نكاح النصرانية موقوفا على انقضاء العدة فان
أسلمت قبل انقضاء العدة ثبت نكاحها وان لم تسلم الى انقضاء العدة فأنفسخ
نكاحها (مسئلة) امرأة لها عبد فأبقى فترزجت برجل على أن يرد عبدها الا بق
وجعل رد العبد الا بق صداقها فهل يجوز أن يجعل ذلك صداقا أم لا ان أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب ان المسافة التي يرد العبد منها ان
كانت معلومة جاز ولزمه ذلك وان كانت مجهولة لم يجز (مسئلة) رجل تزوج امرأة

وجعل صداقها أن يعلمها سورة من القرآن الكريم معينة كسورة الانعام مثلاً
والزوج لا يحسن تلك السورة فهل يصح ذلك أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن كان الصداق أن يعلمها تلك السورة بنفسه فلا يصح
على الصحيح وإن كان في الذمة صح ويكون بالخيار إن شاء تعلم هو تلك السورة وعلمها
أياها وإن شاء علمها أياها بغيره (مسئلة) إذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على
أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك أن أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن تعلمها ذلك إن كان رغبة في الاسلام فيصح
وإن كان للباهاة لا رغبة في الاسلام لا يصح (مسئلة) رجل تزوج بامرأة ولم يسم لها
مهرًا ثم دخل بها فهل يجب لها مهر وتطالب به بذلك أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو
النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب أن كانت المرأة مملوكة زوجهها سيدها بمملوكه
فانه لا يجب لها مهر ولا تطالب به وكذا لو كانت مشركة وفوضت بضعها في الشرك
ودخل بها الزوج في الشرك ثم أسلم على النكاح فانه لا مهر لها ولا تطالب به
لحصول الاذن منها في الاتلاف في دار الشرك (مسئلة) رجل له زوج حامل فقال
لها اذا ولدت ابناً فأنت طالق واذا ولدت بنتاً فأنت طالق طلقتين فولدت
ثلاثة أولاد فيهم ابن وبنت فهل طلقت ثلاثاً أم لا أن أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقاً فهو خطأ * الصواب * انها إن ولدتهم دفعة واحدة بأن أخرجوا رؤسهم معاً
طلقت ثلاثاً وإن ولدت على التعاقب فان ولدت أولاً ابناً ثم ولدت ابناً آخر وولدت
الثالث بنتاً فلا تطلق الا طليقة واحدة فان الابن الثاني لا تطاق به لان اذا لا يقتضي
التكرار وبولادة البنت بانك والطلاق لا يقع مع البينونة فلم يقع عليها غير طليقة
واحدة وإن ولدت أولاً بنتاً وولدت الولد الثاني بنتاً أخرى ثم ولدت الثالث ابناً
طلقت طلقتين بالبنت الاولى ولا تطلق بالبنت الثانية لما سبق ولا بالابن المولود آخر
لان به بانك والطلاق لا يقع مع البينونة وإن ولدت أولاً ابناً ثم ولدت الثاني بنتاً أو
كان الامر بالعكس بأن ولدت أولاً بنتاً وثانياً ابناً معاً دفعة واحدة وقع الثلاث فان
ولدت الاول ابناً والولدان الآخران خرجا معاً دفعة واحدة لم تطلق غير واحدة
سواء كان ابنتين أو ابناً وبنتاً وإن ولدت الاول بنتاً والولدان الآخران خرجا معاً
دفعة واحدة طلقت طلقتين لا غير سواء كان الآخران ابنتين أو ابناً وبنتاً وهذه من
المسائل المستحسنة (مسئلة) رجل له ابن كبير فقير خائف من الوقوع في الزنا وله أمة

لم يبطأها فزوج ابنه بأتمته وصح النكاح فقال لها سيدها اذامت فأنت حرة وقال
 لها الزوج اذامت أبي فأنت طالق ثم مات الاب فهل وقع الطلاق أم لا ان أجيب
 فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب * أن الامة ان خرجت من
 الثلث عتقت ووقع الطلاق لمصادقة الطلاق حريتها وان لم تخرج من الثلث ولم
 يحز عتقها الورثة لم يقع الطلاق لبوت ملك الزوج في جزء منها بالارث فيفسخ
 النكاح فلا يصادف الطلاق محلا وان أجاز الورثة ففيه خلاف مشهور (مسئلة)
 رجل وجبت عليه كفارة بعرق رقبة فأعتق عبدا قد سقطت خنصره وبخنصره
 وبقيّة أعضائه سليمة فهل يحزّنه ذلك عن كفارته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات
 أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب * ان الاصبعين الساقطين ان كاتما من كف
 واحدة فلا يحزّنه ذلك عن الكفارة وان كاتما من كفين من كل واحدة
 أصبع ساقطة فيحزّنه ذلك (مسئلة) رجل طلق زوجته فشرعت في العدة
 وعدتها بالشهور فانقضت الاشهر ثم جاءها الدم فهل تمت عدتها على السلامة
 أم تعود تعدّ بالاقراء ان أجيب فيها بأحد القسمين مطلقا فهو خطأ * الصواب *
 ان كانت كبيرة آيسة وعادها الدم بعدما تزوجت لما انقضت عدتها بالاشهر
 فقد مضت عدتها على السلامة ونكاحها باق وان جاءها الدم قبل أن تتزوج
 انتقلت الى الاعتداد بالاقراء على الصحيح وان كانت صغيرة فانها لا تنتقل الى
 الاقراء بكل حال (مسئلة) رجل طلق زوجته في بيته فاعتدت فيه
 وفلس الزوج فأراد الحاكيم بيع البيت لوفاء ديون الغرماء فهل يجوز بيعه أم لا
 ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * الصواب * انها ان كانت
 معتدة بالتحمل أو بالاقراء لا يجوز ذلك لجهالة المدة المستحق فيها السكنى
 وان كانت عدتها بالاشهر فيجوز ذلك على أحد القولين كالدار المستأجرة في مدة
 الاجارة (مسئلة) رجل اشترى جارية ولم يبطأها وأراد أن يتزوجها قبل
 أن يستبرئها هل يجوز له ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
 خطأ * الصواب * انه ان كان قد اشترىها من امرأة أو من ولي صغير
 أو من كان قد استبرأها ثم باعها فيجوز له أن يتزوجها وان كان قد اشترىها من رجل
 لم يستبرئها قبل البيع فلا يجوز * (مسئلة) * رجل له عبد مأذون اشترى جارية
 واستبرأها فأخذها السيد لنفسه هل يحتاج الى استبراء آخر أم يكفي الاستبراء

الاول في يد العبد ان أجيب فيها بأحد القسمين مطلقاً فهو خطأ * الصواب * ان العبد ان لم يكن عليه دين لغريم لم يحتج الى استبراء جديد وان كان عليه دين يقضيه ويلزمه أن يستبرئاً لنفسه ولا يكفيه الاول لوجود تعلق الدين فاذا زال التعلق بالقضاء احتاج الى تجديد الاستبراء (مسئلة) رجل له زوجة صغيرة وله أخ ولا أخيه زوجة لها ابن فأرضعت زوجته الصغيرة خمس رضعات فهل ينفسخ نكاحها بهذا الرضاع أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب * ان كان اللبن لأخيه انفسخ نكاح الصغيرة لانها صارت بنت أخيه فحرمت وان كان لغريمه فلا ينفسخ نكاحها فان كونهما ربيبة لأخيه لا يوجب الفسخ (مسئلة) رجل له زوجة وهو معسر ولها عليه نفقة فرضيت بالمقام معه بغير نفقة فهل يجوز ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب * ان الزوجة ان كانت حرة جاز ذلك وان كانت أمة لا يجوز اذا الحق في الخيار لسيدها دونها (مسئلة) رجل وجب له القصاص على رجل في نفسه فأحضر ليقته قصاصاً فهل له أن يعفو عن قتله على مال ان أجيب بالاثبات أو بالنفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب * ان كان القاتل عبد الرجل فقتل عبداً آخر لسيدته فقد وجب عليه القصاص للسيد فله أن يقتله قصاصاً ولا يجوز أن يعفو عنه على المال لتعذره لان السيد لا يجب له على عبده مال وان كان رجلاً قد قطع عضو من رجل والعضو مقابل بالدية الكاملة كالذكر والانف واليدن وما أشبه ذلك فاقص المقطع مع من القاطع ثم بعد ذلك سري القطع الى نفس المجنى عليه فصار القاطع قتلاً فقد وجب القصاص في الجاني فلامولى أن يقتله قصاصاً ولو أراد أن يعفو عنه على مال لم يجز فان أرش العضو يدخل في دية النفس فلا يجب له شيء بعدها وان كان القاتل غير ذلك فله أن يعفو على مال (مسئلة) رجل وجب عليه القصاص في نفسه فمات قبل استيفاء القصاص منه وله تركته فهل لولى الدم أن يأخذ الدية من تركته عوضاً عن القتل الذي فات بموته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقاً فهو خطأ * الصواب * ان كان الذي وجب عليه القصاص ومات ان كان قد قطع عضواً مقابل بالدية الكاملة من رجل فسرى قطعه الى نفسه ومات فقطع الولي عضو الجاني المماثل للعضو الذي قطعه ولم يمت بقطعه فله أن يقتله قصاصاً فاما مات قبل أن يقتله قصاصاً فليس له أن يرجع الى تركته بالدية وهي من الغرائب وان لم يكن

الذي وجب عليه القصاص بهذه الحالة فلأولى أن يرجع بالدية في تركه عند تعذر
استيفاء القصاص في نفسه بالموت (مسئلة) اذا دخلت طائفة من غزاة المسلمين
دار الحرب وأسر واوغموا وكان في الاسارى أسير له زوجه في عقد نكاحه فهل
ينفسخ في الحال نكاحها أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ
الصواب ان الاسير ان كان بالغ لم ينفسخ في الحال لجواز أن الامام لا يرى
استرقاقه وان كان صبيا غير بالغ انفسخ في الحال لانه بنفس الاسير يصير رقيقا
فينفسخ في الحال (مسئلة) رجل مسلم دخل دار الحرب وأهله بها كفار فأسر
أبويه وأولاده واختارتهم فهل يعتقون عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقا فهو خطأ *الصواب* ان أباه والباقيين من ذكور أولاده
لا يعتقون عليه لان الامام مخير فيهم بين القتل والاسر والاسترقاق والفداء والمق
فلا يثبت في الحال لهذا المسلم الذي أسره ملك يحصل به العتق وأما أمته وبناته
والصغار من ذكور أولاده فانهم يعتقون عليه أربعة أخماسهم ابتداء والخمس
الباقى بالسراية ويقوم عليه هذا ان كان موسرا وان كان معسرا عتق عليه منهم
أربعة أخماسهم وبقي الخمس الآخرة منهم رقيقا لاهل الخمس (مسئلة) اذ رمى
في المسابقة الى الغرض وكان فيه سهم له أو لغيره والشرط اصابة الغرض فأصاب
برميه فوق السهم الثابت في الغرض فهل يحسب له ذلك ويعتد به أم لا ان أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ *الصواب* أنه ان كان بين فوق السهم
المصاب وبين الغرض مسافة طول السهم لم يحسب له ذلك ولا يعتد به لانه ولا عليه
لاحتمال الاصابة وعدمها لولا السهم وان لم تكن بينهما مسافة السهم بل قدر
قريب بأن كان قد نفذ في الغرض وبقي فوقه لا غير حسب له ذلك واعتد به اذ لولا
الفوق لأصاب الغرض *فهذه ستون مسئلة مستخرجة من فوائد أهل التحصيل
بحتاج المسؤل عنها في اصابة الصواب الى التفصيل فان أجاب على الاطلاق اثباتا
أو نفيًا فقد صدق فيها عن سواء السبيل *وحيث تم النوع الاول فلم تردفه بالنوع
الثاني وهو أكمل منه حسنا وأشمل معنى ولا يصيب الصواب بجوابه فيه
الامن صرف الى اكتساب العلم قلبا وذكرا وذهنا وهذا النوع على الخصوص
كان السلطان الملك الكامل قدس الله روحه وجعل البركة في عمر المولى السلطان
الملك الناصر قد جعل استعماله واعتناء به من جملة الاوراد اذا ورد عليه فضلاء

البلاد وحضر لديه في أيام المواسم والاعياد وجوع المحافل عظماء الوراد
فيسألهم من هذه المسائل ما يختبر به مقدار فضلهم ليرعاهم بقدره وينزل كلامهم
في رتبة استحقاقه من اكرامه وبرّه ويستبين بذلك الموافق والمخالف منهم بين
خبره وخبره ولعمري ان النفس الكريمة المولوية السلطانية الملكية الناصرية
الصلاحية أفاض الله عليها أنوار اليقين وجعلها من جملة عباده المتقين وان كان
بصفاء جوهرها وذكاء خاطرها وكمال ادراكها ونور بصيرتها وما خصها الله به
من تمام اليقظة وقوة الفطنة وجودة القرينة وذكاء الفطرة لا يحتاج الى ذكر
مسائل يميز بها بين من دلاه بغروره فهو لا بس ثوبي زور وبين من خصه الله من
مشكاة الانوار بنور على نور ~~لكن~~ الاقتداء بمسئلات حسنات السلاطين
السالفين معدود من السنن والاقتفاء لآثارهم الحميدة من الفعل الحسن فأثبت
لمعة في هذا الكتاب المبارك من هذا النوع من تلك المسائل ليكون في الخدمة
السلطانية بحيث يقف عليها ويجعلها ذريعة الى الاختبار وان كان مع نظره
الشريف لا يحتاج اليها واقتصرت منها على القدر القليل حذارا من التطويل
وذكرت صورة السؤال وكيفية الجواب وشيئا من التعليل (مسئلة) رجلان
خرجا لتصيد افوجد اصيدا فقصدا ورمايا بهما على التعاقب أحدهما
بعد الآخر ففرحاه ومات بعد ذلك فالحكم ففهم هذه صورة المسئلة مع قلة لفظها وسهولة
صورتها يتعلق بها أحكام كثيرة * الجواب * فهايتحرر بالنظر في ثبوت الملك
في الصيد لمن حصل منهما وفي أكله هل يحل أم لا وفي الضمان هل يجب لأحدهما
على الآخر أم لا وفي مقدار ما يجب من الضمان * والاصواب * في ذلك أقام ثبوت
الملك في الصيد فان كان الاول لما رما مجردا وما أزمته وبقي على ما كان عليه من
الامتناع والثاني برمية أزمته وأزال امتناعه فان الثاني ما ~~لكن~~ دون الاول
وان كان الاول أزمته وأزال امتناعه دون الثاني كان الاول وان حصل الازمان
وزوال الامتناع بالرميتين المتعاقبتين منهما فذهب بعض الاصحاب الى أنه
يكون مشتركا بينهما وذهب بعضهم الى أنه ملك للثاني دون الاول لحصول الازمان
عقيب رمي الثاني ولم يحصل عقيب رمي الاول والملك تابع للازمان فان اختلفا
وقال كل واحد منهما أنا أزمته بجراحتي فهو ملكي ووقع الشك في جراحة الاول
هل أزمته بالصيد وأثبتته أم لا فالقول قول الثاني وتكون له لان الاصل بقاء

امتناع الصيد الى أن يتيقن زواله فهذا حكم الملك * وأما حكم الاكل * فإن كان
الرامي الاول قد صير الصيد بجرحه الى حالة المذبوح ولم يؤثر فيه جرح الرامي الثاني
فانه يحل أكله وان كان قد أزمته وما أوصله الى حالة الزهوق بل فيه حياة مستقرة
فرمى الثاني ان كان قد أصاب بالسهم مذبحة فانه يحل أكله ~~لانه~~ لكونه صار
مذبوحا وان كان لم يصب بالسهم مذبحة بل جرحه في غير المذبحة فأزهقه فمات به فقد
قال الشافعي رضي الله عنه أنه يحرم أكله لانه صار مقدورا عليه فصار حل أكله
متوقفا على ذبحه ولم يذبح فاذا مات لم يحل وكذلك لو مات من الجرحين الاول
والثاني فانه لا يحل أكله لما أشار اليه من التعليل * وأما وجوب الضمان ومقدار
ما يجب ففي الصورة التي ملكه الثاني دون الاول وفي الصورة التي صيره الاول
فيها برمييه وجرحه الى حالة المذبوح وملكه فرمى الثاني وجرحه قد صادف ملك
الاول فان كان برمييه نقص شيء منه بان مرق الجلد فنقص أو أفسد شيئا من اللحم
فوجب عليه للاول ضمان ما نقص وفي الصورة التي أزمته الاول بجرحه ولم يوصله
الى حالة المذبوح بل ملكه وفيه حياة مستقرة ففي الحالة التي أصاب الثاني برمييه
مذبحة فانه يجب على الثاني للاول ضمان ما بين قيمته من مذبوحا لانه
ذبح ملك غيره وان كان أكله حلالا وفي الحالة التي أصاب الثاني بجرحه غير المذبحة
فمات منه بان كان مرقها فيجب عليه للاول جميع قيمته مجروحا وفي الحالة التي مات
فيها من الجرحين الاول والثاني فانه يجب على الثاني للاول لكونه جانيا على ملكه
ويختلف مقدار ما يجب على الثاني من الضمان باختلاف حال الصيد وقت موته
فان كان موته قبل أن يتمكن من ذبحه فيجب عليه كمال قيمته مجروحا لان فعل الاول
كان سبب حل الصيد فلا حكم للسراية وفعل الثاني وقع مفسدا فيتعلق به وجوب
القيمة وهذا هو الصحيح وان كان موته بعد أن تممكن مالكه من ذبحه فلم يذبحه
حتى مات من الجرحين فقد اختلف أقوال الاصحاب في مقدار ما يجب على الثاني
للاول فذهب بعضهم الى أنه يجب عليه نصف قيمته لان موته من سراية جرحين
أحدهما مباح والآخر حرام فيخصه النصف وذهب بعضهم وهو اختيار أبي سعيد
الاسطخري الى أنه يجب عليه كمال قيمته مجروحا لانه برمييه أتلفه فضمنه وقد بنى
الاصحاب هذه المسئلة على مسئلة لا بد من التعرض لذكرها وتفصيل حكمها
فانها من المسائل الحسنة وبها ينكشف مقدار ما على الثاني من الضمان

وهي أن نفرض أن الجرحين صدر في صيد مملوك لانسان فبات من سرايتهما
 فان الضمان يجب عليهما فنظر الى ما يختص بالاول ويخصه من الضمان فنسقطه
 في مسئلتنا لكون الرامي الاول في مسئلتنا كان فعله مباحا الى ما يختص
 بالثاني ويخصه فتوجه على الرامي الثاني في مسئلتنا فنقول صيد مملوك للرجل
 قيمته عشرة دراهم رماه رجل فجرحه فنقص من قيمته درهم ورجعت قيمته
 الى تسعة دراهم ثم رماه الثاني فجرحه فنقص من قيمته درهم آخر ثم مات من
 الجرحين فاختلف الاقوال من الاصحاب في هذه المسئلة على خمسة أوجه *
 الاول وهو اختيار المزني رحمه الله أنه يجب على الاول خمسة دراهم وعلى الثاني
 خمسة دراهم ووافقه أبو اسحاق المروزي رحمه الله في الحكم وخالفه
 في التعليل وهذا بعيد لتفاوت القيمتين وقت الجناية * الثاني أنه يجب على
 الاول نصف العشرة وعلى الثاني نصف التسعة وهذا وجه لا وجه له لما فيه
 من تضییع حق المالك * الثالث وهو اختيار القفال أنه يجب على الاول
 نصف العشرة ونصف وعلى الثاني خمسة واعتبره موجب الجناية والسراية وهذا
 الوجه أيضا مدخول لما فيه من الزيادة على القيمة * الرابع وهو اختيار أبي
 الطيب بن سلمة رحمه الله أنه جمع ما علم ما من الارش والسراية فكان عشرة
 ونصف والمالك لا يستحق الزيادة فقسم القيمة وهي العشرة على الواجب وهو عشرة
 ونصف فجعل على الاول منها خمسة أسهم ونصف سهم من العشرة جمع بين الامرين
 وهذا وجه أيضا مدخول لما فيه من اعتبار الارش مع سائر الجناية * الخامس
 وهو اعتبار صاحب التقرير باختاره امام الحرمين رحمه الله تعالى أن على الثاني
 أربعة ونصف لا غير وعلى الاول تمام العشرة خمسة ونصف لكون الاول متسببا
 الى القوات لولا الثاني فاية عذر تقديره على الثاني بقي على الاول وهذا أقرب
 الوجه فاذا ظهرت الاقوال في هذه المسئلة فتأه في مسئلتنا فكما اختص
 بالاول في هذه المسئلة سقط في مسئلتنا وكلما اختص بالثاني وجب في مسئلتنا على
 الثاني للاول (مسئلة) أخوان تزوج أحدهما بامرأة كبيرة ووطئها وتزوج
 الآخر بصغيرة لا تحتل الوطء ثم ان كل واحد منهما طلق زوجته وتزوج بالتي
 كانت زوجته أخيه ثم ان الصغيرة أرضعت الصغيرة خمس رضعات فهل
 النكاحان باقيان أم ينفسخان أم ينفسخ نكاح الكبيرة وحدها أم ينفسخ نكاح

الصغيرة وحدها * الجواب * أن النكاحين ينفسخان أما الكبيرة فإن نكاحها
انفسخ لانها صارت من أمتها النساء بسبب الصغيرة التي كانت امرأته وزوجها
وصارت الكبيرة حراما على الاخوين على التأييد لا يجوز لحددهما أن يتزوج
بها لانها أم امرأة كل واحد منهما ما وأما الصغيرة فانفسخ نكاحها لانها صارت
ربية فانها بنت امرأة قد دخل بها وتحرم عليه على التأييد (مسئلة) رجل تزوج
بامرأة كبيرة وثلاث صغار وللأكيرة ابن فأرضعت الكبيرة الصغيرة الثلاث
لكل واحدة خمس رضعات على الترتيب ولبن الكبيرة المرضة ليس من الزوج
فهل يفسخ نكاح الثلاث أم لا يفسخ منه شيء أم يفسخ نكاح البعض دون البعض
فما الحكم * الجواب * أنه يفسخ نكاح الكبيرة ونكاح التي أرضعتها أولا
لانه صار جامعين الأم وبنتها وأما نكاح المرتضة الثانية من الصغار فان كانت
الكبيرة المرضة قد دخل بها الزوج انفسخ أيضا لانها بنت امرأة قد دخل بها
فهى ربية وكذلك نكاح الثالثة أيضا يفسخ لكونها ربية قد دخل بها وان لم يكن
الزوج قد دخل بها لم يفسخ نكاح الثانية لانها لما أرضعتها كانت بائنة منه
فلم يصير جامعيا بينهما ما وأما الثالثة فقد حصلت اختلا للبائنة فبطل نكاحها
بارضاها وهل يؤثر ذلك في فسخ نكاح الثانية فيه خلاف ووجه انفساخها لان
الاخوة بينهما ما ثبتت عند ارضاع الاخيرة دفعة واحدة فرفعت النكاح
كألو أرضعتها مادفعة واحدة ووجه أنه لا يفسخ أن الحرمة تحدث عند ارضاع
الثالثة فتخصها كالأول عقد على أخت زوجها فان الثانية تختص بعدم انعقاد
نكاحها ويبقى نكاح زوجها فكذا هذا (مسئلة) رجل له ثلاثة أولاد لهم
عليه مال فطالبوه ليقرلهم به وقال للأكيرة على ألف درهم والانصف ماللاوسط
وللاوسط على ألف درهم الا ثلث ماللاصغر وللأصغر على ألف درهم الاربع
ماللا أكبر فكم جملة مالهم عليه وكم مقدار مال كل واحد منهم * الجواب * أما جملة
الذى أقرلهم به فهو ألفان ومائتا درهم وأما مال كل منهم فان الكبير له ستمائة درهم
وأربعون درهما والاوسط له سبعمائة درهم وعشرون درهما والأصغر له ثمانمائة
درهم وأربعون درهما وبيان صحة ذلك أنه اذا أسقط من ألف نصف ماللاوسط
ونصف الذى للاوسط ثلثمائة وستون تبقى ستمائة وأربعون درهما وهى التى
للا أكبر واذا أسقطت من ألف ثلث ماللاصغر وثلث ماللاصغر هو مائتان وثمانون

درهم ما تبقى سبعمائة وعشرون وهي التي للاوسط واذا اسقطت من الالف ربع
 مال الكبير وربع الذي لكبير مائة وستون يبقى ثمانمائة وأربعون وهي التي
 للاصغر فهذه صورة المسئلة وجوابها * وأما طريق استخراجها وكيفية العمل
 فيها فهو أن تؤخذ مخرج الكسور التي ذكرها في الاستثناء وهي مخرج النصف
 وهواثنان ومخرج الثلث وهو ثلاثة ومخرج الربع وهو أربعة فتضرب الاول
 وهواثنان في الثاني وهو ثلاثة تكون ستة ثم في الثالث وهو أربعة تكون
 أربعة وعشرين ثم يؤخذ الجزء المستثنى أولا وهو النصف من الاثنين ويؤخذ
 الجزء المستثنى ثانيا وهو الثلث من الثلاثة ويؤخذ الجزء المستثنى ثالثا وهو
 الربع من أربعة فتضرب الاجزاء الثلاثة بعضها في بعض وهي من كل مخرج
 واحد فتضرب واحد في واحد ثم المرتفع من ذلك في واحد فلا يرتفع من الجميع غير
 واحد فيزداد على ما كان قد ارتفع من ضرب المخرج أولا وهو أربعة وعشرون
 فيصير الجميع خمسة وعشرين وهي المقسوم عليه فيحفظ لاجل القسمة ثم يؤخذ ما بقي
 من مخرج النصف بعد اسقاط الجزء المستثنى وهو واحد فيضرب في مخرج الثلث
 وهو ثلاثة تكون ثلاثة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من النصف وهو واحد فيضرب
 في الجزء المستثنى من الثلث وهو واحد فيكون واحد فيزداد على تلك الثلاثة فيصير
 أربعة فيضرب في مخرج الربع فيكون ستة عشر فيضرب في الالف فيكون ستة
 عشر ألفا فيقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة أولا فتخرج ستمائة وأربعون
 وهو المقدار الذي لكبير ثم تعمل في الآخر كذلك فيؤخذ الباقي من مخرج الثلث
 بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقي منه وهواثنان فيضرب في مخرج الربع
 وهو أربعة فيكون ثمانية ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الثلاثة وهو واحد
 فيضرب في الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيكون واحد فيزداد على
 الثمانية فتصير تسعة فيضرب في مخرج النصف وهواثنان فتكون ثمانية
 عشر ألفا فيقسم على الخمسة وعشرين المحفوظة فيخرج سبعمائة وعشرون
 وهو المقدار الذي للاوسط ثم يؤخذ الباقي من مخرج الربع بعد اسقاط الجزء
 المستثنى منه والباقي منه ثلاثة فيضرب في مخرج النصف وهواثنان تكون ستة
 ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيزداد على الستة فتصير سبعة
 فيضرب في مخرج الثلث وهو ثلاثة فتكون احدى وعشرين فتضرب في الالف

فتصير أحد وعشرين ألفا فيقسم على الخمسة والعشرين فتخرج ثمانمائة وأربعون وهو المقدار الذي للصغير (مسئلة) خمس رجال تطهر والصلاة وجلسوا في بيت فسمعوا صوت حدث من بينهم وأنكر كل واحد منهم ان يكون هو الذي أحدث ثم ان كل واحد منهم صلى اماما بالباقيين في صلاة واحدة من الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فهل صحت صلاة الأئمة الجميع والمأمومين أم بطلت صلاة الجميع أم صحت صلاة الأئمة وبطلت صلاة المأمومين أم صحت صلاة المأمومين وبطلت صلاة الأئمة أم صحت صلاة البعض وبطلت صلاة البعض (الجواب) ان صلاتهم الصبح والظهر والعصر صحيحة للأئمة والمأمومين ولا إعادة عليهم ولا على واحد منهم في شيء منها لجواز ان يكون الحدث المسموع من الامامين الباقيين في المغرب والعشاء فأما الصلاة الرابعة وهي صلاة المغرب فلا إعادة فيها على واحد منهم الا على من أم في الصلاة الخامسة لانه لما نفي الحدث عن نفسه وعن الثلاثة الذين صلى خلفهم واقتدى بهم من قبل في الصبح والظهر والعصر فقد أضاف الحدث الى الرابع ونسبه اليه ومن اقتدى بمن اعتقد حدثه لزمته الاعادة وأما الصلاة الخامسة وهي العشاء فلا إعادة فيها واجبة على المأمومين الاربعة لانهم أضافوا الحدث الى الخامس وهو الامام فيها وانما لزمته اعادة الرابعة التي كان مأموما فيها وهذه من مستحسنات المسائل فترعها الاصحاب على مسئلة في اشتباه الماء الطاهر والنجس في الاواني اذا اجتهد فيها جماعة وهي من المسائل المشهورة بين العلماء (مسئلة) رجل له زوجتان اسم الواحدة هند والآخرى زينب فنأدى احدهما فقال يا هند أنت طالق ثلاثا مع زينب وقال ما كان في نيتي الا طلاق هند فهل يقبل دعواه أم لا واذا لم تقبل دعواه فكيف يقع على كل واحدة ثلاث طلقات أم طلقتان (الجواب) انه يقبل دعواه في أنه لم يرد بالطلاق الا هند او اذا لم يرد زينب فلا يقع عليها طلاق أصلا ويقع الطلاق الثلاث على هند دون الاخرى (مسئلة) رجل مات وخلف ورثته المستحقين ايراثه بنته وبنت ابنه وأخته لابويه وأمه فاقسموا الميراث بينهم على الفريضة الشرعية للبنت النصف ولبنت الابن السدس تسكيلة الثلثين وللأم السدس والباقي للاخت المذكورة ثم أقر انسان وقال لورثة فلان ألف درهم على فخر وطالبوه وقبضوها منه ومات عقب دفعها فكيف تقسمها بينهم وكما يكون لكل واحدة منهم منها (الجواب) نص الشافعي رضي الله عنه

على حكم هذه المسألة وقال يقسم المقرَّب بين الورثة المقرَّ لهم بالسوية ويكون ذكر
 ذلَّ صفة تعريف ولا يكون مقسوماً على الموارِث فيصرف إلى كل واحد من
 النسوة الأربع ربع ربع الألف المقرَّب بها (مسألة) مات إنسان وخاف مالا فأخذ
 ورثته يقسمون التركة فجاءت إليهم امرأة حبلى وقالت لا تقسموا فاني حامل فان
 وضعت بنتا ورثت هي وأنا وكذا شركاءكم في التركة وان وضعت ابناً لم يرث هو ولا أنا
 وان وضعت بنتين ورثنا كلنا وان وضعت بنتاً وابناً لم يرث منا أحد فن كانت هذه
 الحبلى من الميت ومن هم الورثة (الجواب) ان هذه الحبلى بنت ابن ابن الميت وصورة
 المسئلة امرأة لها زوج وأب وأم وبنت ولها بنت ابن ابن مزرقة بابن ابن آخر لها
 مات عنها وتركها حبلى وهي هذه التي قالت لهم لا تقسموا فلزوج الميتة الربع ولبناتها
 النصف ولا يورث الكل واحد السدس فان وضعت هذه الحبلى بنتاً ورثت كلاهما
 السدس بينهما ما تسكمله الثلثين لانهما في درجة واحدة فانها ينسبان إلى الميتة
 بأنهم ما بنتا ابنتها وتعمل المسئلة إلى خمسة عشر فيكون للزوج ثلاثة وللبنات ستة
 وللأب سهمان وللأم سهمان وهذه الحبلى سهم واحد ولبناتها سهم واحد وكذلك
 ان وضعت بنتين كان السدس الباقي بينهما ما وبين بنتيها ما يتقاسمونه سواء
 وان وضعت ابناً وابناً وبنتاً فلا شيء لواحد منهم لانهم صاروا عصبة بالذكور ولم يبق
 بعد الفروض شيء لا يصرف إلى العصبة (مسألة) رجل مملوك له بنتان حرتان وله
 أب مملوك فاشتريت البنات أباهما عتق عليهما و صار حراً ثم ان الكبرى من
 البنات اشترت هي وأبوها جدها عتق عليهما و صار الجميع أحرار فماتت
 أبوها ما ثم ماتت جدهما فكيف تقسم تركته الجدة بعد تركه الأب (الجواب)
 أما تركه الأب فلا اشكال فيها فانها بين ابنتيه وأبيه للبنات الثلثان وللأب الثلث
 وانما الاشكال في ميراث الجد وتفصيل الحكم فيه ان الجدة قد خلفت بنتي ابن فلها
 الثلثان فرضاً يبقى من التركة الثلث والكبرى الولاء على نصف الجد
 لانها اشترت نصفه فلها نصف الثلث الباقي بولائها على النصف فيبقى السدس
 كان يستحقه ولي نصفه الآخر وهو ابنه وهو ميت ليس له عصبة فيكون نصيبه لمعتقه
 والبناتان معتقتاه فيكون السدس بينهما نصفين فتصع المسئلة من اثني عشر سهماً
 فالجد كل بنت منهن ما أربعة بحكم القرابة ثم الكبرى من الأربع الباقية بحكم
 ولائها على الجد سهمان ثم الأم سهمان الباقيتان بين ما نصفان لكل واحدة

سهم واحد و يصير للبنت الكبرى سبعة أسهم وللصغرى خمسة أسهم (مسئلة)
عبد مملوك له ابن وبنت أحرار فاشتريا أباهما معتق عليهما ثم ان الأب اشترى
ابنا وأعتقه ثم مات الأب فكتسب العتيق مالا ثم مات كيف تقسم تركته وهذه
من المسائل المشككة حتى قيل انه غلط في جوابها وأخطأ في اصابة صوابها
أر بعثة قاض فضلا عن غيرهم فانهم قالوا ما هو المتبادر الى فهم من لم يكن قدمه
رايحة في التحقيق ولا لفظته العناية الربانية بعين التوفيق ان ميراث العتيق يكون
بين الابن والبنت اللذين اشتريا أباهما معتق هذا العبد فانهم ما معتقاه فورا
وهذا غلط قبيح وخطأ فاحش والحق في الجواب أن جميع التركة للابن لانه عصبه
المعتق وأما البنت فانها معتقة المعتق ولا حق لمعتق المعتق مع وجود عصبه المعتق
من النسب والابن عصبه المعتق دون البنت فكان الميراث له فهذه عشر مسائل
كافلة بالمراد كافية مع في الغرض مع الاقتصاد * النوع الثالث * في ذكر
شي من يسير المسائل التي يرتاض بذكرها الخاطر ويقتناط منها المقتصر القاصر
تصلح لطارحة من يتحلى بعقود الحساب ويتولى زعامة صدور الحساب (مسئلة)
رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشرائها منه فسألوه عن ثمنها فذكر لهم
فقال كبرهم لا وسطهم ان أعطيتني ثلاثة أخماس مامعك من الدنانير صار
معى ثمن الفرس وقال الاوسط للاصغر ان أعطيتني أربعة أسباع مامعك من
الدنانير صار معى ثمن الفرس وقال الاصغر للاكبر ان أعطيتني خمسة أثمان
مامعك من الدنانير صار معى ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس ديناراً
وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير (الجواب) أما ثمن الفرس
فانه كان ثلثمائة دينار وأربعين ديناراً وأما ما كان مع كل واحد منهم من
الدنانير فان الكبير كان معه مائتا دينار وثمان دنانير وكان مع الاوسط مائتا
دينار وعشرون ديناراً وكان مع الاصغر مائتا دينار وعشرة دنانير واعتبار
ذلك أنه اذا أخذ ثلاثة أخماس المائتين والعشرين التي هي مع الاوسط وهي
مائة واثنان وثلاثون وأضيفت الى مامع الاكبر وهو مائتان وثمانية صار ثلثمائة
وأربعين ديناراً وهو ثمن الفرس واذا أخذ خمس أثمان المائتين والثمانية التي
هي مع الاكبر وهي مائة وثلاثون وأضيفت الى مامع الاصغر وهي مائتان وعشرة
صار ثلثمائة وأربعين ديناراً وهو ثمن الفرس واذا أخذ أربعة أسباع المائتين

والعشرة التي هي مع الاصغر وهي مائة وعشرون ديناراً وأضيفت الى مائة الاوسط وهو مائتان وعشرون صار ثلثمائة وأربعين ديناراً وهي ثمن الفرس * وأما طريق استخراجها فهو أن تضرب المخارج بعضها في بعض فتضرب خمسة في سبعة تسكن خمسة وثلاثين ثم تضرب في ثمانية تسكن مائتين وثمانين ويزاد عليها ما يرتفع من ضرب عدد الاخماس وهي ثلاثة في عدد الاسباع وهي أربعة ثم في عدد الاثمان وهي خمسة وذلك ستون فيصير الجميع ثلثمائة وأربعين وهو ثمن الفرس ثم يؤخذ من مخرج الخمس وهو خمسة فيعزل منه ثلاثة أخماسه ويضرب الباقي وهو اثنان من مخرج السبع يصكون أربع عشرة فيزداد عليها عدد الاخماس مضروباً في عدد الاسباع وهو اثنان عشر يصير ستة وعشرين فتضرب في مخرج الثمن تسكون مائتين وثمانية وهو مقدار مائة الاكبر ثم يلقى ذلك من ثمن الفرس فباقي فهو ثلاثة أخماس مائة الاوسط فيزداد عليه ثلثاه فبالبلغ فيكون مائة الاوسط فتلقيه من ثمن الفرس فباقي فهو أربعة أسباع مائة الاصغر فيزداد عليه ثلاثة أرباعه فبالبلغ يكون مائة (مسئلة) ثلاثة أشخاص مسافرون معهم مائة وودوه في طريقهم من الخبز مع أحدهم ثمانية أرغفة ومع الآخر سبعة أرغفة ومع الآخر ستة أرغفة فرافقهم انسان لا خبز معه فجلسوا كلهم وأخرجوا الارغفة وهي أحد وعشرون رغيفاً وأكلوها جميعاً كل واحد على السواء فلما قاموا دفع اليهم الرجل الغريب أحد وعشرين درهماً وقال خذوا هذا عوضاً عما أكلت من زادكم ثم فارقهم فكيف يفتسمون الدراهم بينهم * الجواب * صاحب الارغفة الثمانية يأخذ أحد عشر درهماً وصاحب السبعة يأخذ سبعة دراهم وصاحب الستة يأخذ ثلاثة وثلاثين وتتحقق ذلك ان كل واحد من الأشخاص الاربعة لما أكلوا على السواء يكون قد أكل خمسة أرغفة وربعاً فيكون الضيف قد أكل هذا المقدار مثل كل واحد منهم والذي فضل لصاحب الثمانية رغيفان وثلاثة أرباع والذي فضل لصاحب السبعة بعد أكله رغيف وثلاثة أرباع والذي فضل لصاحب الستة ثلاثة أرباع لا غير والدراهم المدفوعة في مقابل الخمسة والربع التي أكلها فيكون في مقابلة كل رغيف أربعة دراهم فإذا قسمت على ذلك كان لكل واحد منهم ما تقدم بيانه وهذا مظهر في كل ما جانس هذه الصورة (مسئلة) رجل عليه خراج ملكه فأحضره مستخرج الخراج لاستيفاء ما بقي عليه منه فقال كم

أديت من الخراج الواجب عليك فقال ثلث ما أديت وربيع ما بقي وخمس جميع الخراج فكم هو جميع الخراج وكم الذي أدي وكم الذي بقي *الجواب* أما جميع الخراج فانه خمسة وخمسون وأما الذي أداه منه فسبعة وعشرون وأما الذي بقي منه فثمانية وعشرون وطريق استخراج ذلك أن يؤخذ مخرج الثلث وهو ثلاثة فيضرب في مخرج الربع وهو أربع يكون اثني عشر فيسقط منه هابن المخرجين وهو واحد يبقى أحد عشر فيضرب في مخرج الخمس يكون خمسة وخمسين وهو مبلغ الخراج ثم يؤخذ المرتفع من ضرب مخرج الثلث في الخمس يكون سبعة وعشرين وهو المقدار الذي أداه الى الخراج والباقي من الخراج وهو ثمانية وعشرون (مسئلة) اذا أرسل السلطان فارسا بكتاب الى بلاد بعيد وأمره أن يسير كل يوم سبعة فراسخ ثم عرض مهم آخر اقتضى أن يلحق به الفارس فأرسل نجابا بعد الفارس بتسعة أيام وأمره أن يسير كل يوم خمسة عشر فرسخا ليدرك الفارس ففي كم يوم يلحقه *الجواب* يلحق النجاب الفارس في سبعة أيام وعشر ساعات ونصف ساعة وهي نصف يوم وربع يوم وثمان يوم وطريق استخراج ذلك أن ينقص سير الفارس وهو سبعة من سير النجاب وهو خمسة عشر ويؤخذ الباقي منه وهو في هذه الصورة ثمانية فيحفظ ليقسم عليها ثم يضرب سير الفارس في عدد الايام التي قد سبق النجاب بها وهي تسعة أيام فتكون ثلاثة وستين فيقسم على المحفوظ أولا وهو ثمانية فيخرج من القسمة سبعة ونصف وربع وثمان وهو الجواب (مسئلة) نجاب سير في مهم الى بلاد وأمر أن يسير في ذهابه مسرعا كل يوم خمسة عشر فرسخا وفي عوده مسرعا كل يوم تسعة فراسخ فضى وعاد في عشرين يوما كم كان منها في ذهابه وكم كان في عوده *الجواب* كان ذهابه في سبعة أيام ونصف وكان عوده في اثني عشر يوما ونصف وطريق استخراج ذلك أن تجمع فراسخ ذهابه ومجيئه فيكون أربعة وعشرين فرسخا فهي المقسوم عليه ثم تضرب فراسخ عوده في الايام التي ذهب وعاد فيها وهي عشرون فتكون مائة وثمانين فتقسم على الاربعة وعشرين المذكورة فتخرج بالقسمة سبعة ونصف وهو عدد أيام ذهابه وتضرب فراسخ ذهابه في الايام كلها تكون ثلثمائة فتقسم على الاربعة وعشرين تخرج بالقسمة اثنا عشر ونصف وهي عدد أيام عوده وبهذا القدر اليسير يكمل مقصود المذاكرة ويحصل الغرض من نشوار الحاضرة فان هذا

النوع بين الانواع والاقسام بمنزلة الملح المستعمل في الطعام فقليله كاف ويسيره بالمطلوب شاف ولولا ذلك لاطال القلم لسانه في ايراد صورته المستغربة المعاني وتعداد مسائله المستعذبة المجاني فانه نوع لا يكاد يحصر غرائبه كاتب ولا يضبط عجائبه حاسب * ولما انتهى الكلام في هذا المقام الى آخر هذه المسائل الرياضية التي تنبسط القرائح في استخراجها وتنشط الخواطر لاستنتاجها فليكن ختامها زفاف بكر من خدر فكر اذا اتصلت بأرباب الازدهان والافطن نزلت من خواطرهم الصائبة في أرجح منزل وأفسح وطن وأماطت عن أبصار بصائرهم الصافية اعراض الاعراض ومعارضة الوسن فلا جرم هي لغيرهم فاطمة عن معارجها وعندهم والددة من نتائجها كل حسين وحسن وهي لعة موضوعة لاستخراج معرفة أوائل الشهور في جميع السنوات وحكمة يستبسط بها مواقيت الالهة ومواسم الاوقات وفائدة يهدي اليها ويدل عليها ما يبط به من الاسماء والصفات فاللقاب السلطانية دليلاها وعلى الصفات الملكية الناصرية تعويلها وفي خدمته العالمة مقرها ومقيلها ومن خدمة المولى والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف تعريفا وتأسيسا لها فن تأمل سرها بعين الدراية عرف مرضها ومن تحمل عبثها لطلب الهداية فقد كشف كنزها وهذا الجدول لا يوضحها وبه بيان مفتاحها ولما كانت الحاجة داعية الى معرفة أوائل الشهور والمياسم المبنية عليها وقد تكون المطالع كاسية من ملابس الغيوم ما يحول بين الالهة وبين الناظرين اليها كان من فوائد العمل بهذا الجدول أن يؤخذ جميع سني الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول أشهرها ومواسمها فيسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة الى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتتظر في جدول الاعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد جانب الجدول عن يمينه طولا فيه العشرات وأعلا الجدول فيه الآحاد فالأحادي من الواحد الى العشرة والعشرات من العشرة الى المائتين وعشرة فتتظر الى المقدار الباقي بعد اسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصابع على البيت الذي فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الاصبع في السطر الذي بازاء تلك العشرة عرضا وتنزل الاصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولا فحيث التقت الاصبعان في بيت واحد

ينظر ما في ذلك البيت من الاسماء والصفات السلطانية فتحفظ ثم ينظر في الجدول
المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فاذا ظهر في أعلاه
الجدول فتوضع الاصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته الى محاذاة الموسم
أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهرا أي يوم هو أو ان كان موسما فما كان
في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع
وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات
الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربع
عشر ففي الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعها على
العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها ووضعت أصبعها على
الأربعة ثم نزلت الى محاذاة العشرة الواحدة التقت الاصبعان في بيت
واحد فيه الاسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فتحفظ لا زال
في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر في جدول الاشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ
في الطرف الايسر من السطر الاعلى منه فتوضع الاصبع بازائه وتنزل الى محاذاة
شهر شعبان فيوجد في محاذاته اسم أوله وهو يوم الاربعاء ومحاذاة نصفه تحته
يوم الاربعاء ومحاذاة أول رمضان تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته
وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائما

وحيث تجزئت مقاصد القواعد السالفة وتحررت أنواع هذه القاعدة المستأنفة واشتملت بروائها ومعاقدها على فنون من المعاني التالدة والطارفة وجمعت من سمات الصفات ومهمات الولايات ما قامت بحقه فيه فصاح اللسان الواصفة وآن اختتامه وانتظم تمامه وتم انتظامه أبرم حاكم الاخلاص حكماً لا يسع نقضه وحكم بما لا يسوغ تركه ورفضه وألزم ما يتحتم في شريعة الموالات واجبه وفرضه وهو التنبيه على الذريعة الواصلة الى الله تعالى عند السؤال والطلب والوسيلة الكافلة ببلوغ الامل في العاجلة والمنقلب والاشارة الى ما يقتاد القلوب الى الله تعالى بأزمة الرغب والرهب ويستميل النفوس الى اكتساب السعادة الابدية التي ينجم من فاز بها من العطب فرأيت ذلك من أنفذ الاحكام وأنفس الاقسام وأنفع ما جرت به حركات الاقلام * فجعلت اسنى هذه الاسباب خاتمة الكتاب وأسهي منازلها الرحاب منتهى القواعد والابواب فانه اذا عرضت أقسام الكلام على الافهام ورصعت جواهر الحكم والاحكام في سلك النظام فهذه الخاتمة أحلاها وكذا العادة أن بالحلواء ختام الطعام وهو الدعاء الذي هو سر عبادة الصالحين وبالمسك بعروته تدرأ خلاف مطالب المنجحين وباقامة أوراده ترجع صفقة المفكرين فكم من داع سعاد بركة الدعاء وكم من ناج كفاه الله بدعائه شر البلاء وكم من حاجة قضيت لطالبها بشرف مادعاه من الاسماء وقد أمر الله عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة وأخبر على لسان نبيه بان لكل مؤمن في كل يوم دعوة مستجابة وأنزل في الكتاب العزيز وقال ادعوني أستجب لكم وقال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واذا سألتك عبادي غني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقال تعالى آمن يحجب المضطر اذا دعاه وقال تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولن يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء وعلى الجملة فالدعاء عظيم ومقامه كريم ووجهه وسيم وقدره جسيم فمن رغب في خير من خيرات الدنيا والآخرة أو رهب من شر من شرور الدنيا والآخرة فليتضرع الى الله تعالى ويتهل اليه ويسأله ويدعوه باخلاص نية وطهارة عقيدة في أن يرزقه الله مطلوبه أو يدفع عنه مرهوبه

أو يعفّر له ذنوبه فإن الله تعالى أكرم من أن يخيب أمل عبده فيه وقد أخبر على لسان
 نبيه صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وهذه أدعية مأثورة مختارة من
 الدعوات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصرنا على هذا المقدار منها
 (فمن ذلك) ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لما نثرت رضى الله عنها عليك من
 الدعاء بالكواامل الجوامع قولى اللهم انى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم
 وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم انى أسألك الجنة وما قرب إليها
 من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل اللهم انى أسألك
 من الخير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر
 ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت لى من
 أمر فأجعل عاقبته لى رشداً (ومن ذلك) الدعاء الذى ألقاه جبريل الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم رواه ابن عباس رضى الله عنه وهو * يا من أظهر الجميل وستر
 القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك السترياعظيم العفو يا حسن التجاوز
 يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا منتهى كل شكوى يا صاحب كل نجوى
 يا كريم الصفح يا عظيم المن يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها يا رباه يا سيداه يا أملاه
 يا غاية رغبته أسألك يا الله أن لا تشوه خاتمي بالنار (ومن ذلك) الدعاء الذى رواه
 أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
 اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت
 الله الذى لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمد عبدك ورسولك الا غفر الله له
 ما أصاب فى ليلته من ذنب وان هو قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب فى يومه من
 ذنب (ومن ذلك) الدعاء الذى رواه ابن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول حين يصبح وحين يمسي حتى فارق الدنيا اللهم انى أسألك
 العفو والعافية فى دينى ودنياى ومالى وما لى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى
 اللهم احفظنى من بين يدي ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ
 بعظمتك أن أغتال من تحتى (ومن ذلك) الدعاء الذى رواه عبد الله بن عباس
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدي
 بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعئى وترتبها لى الفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غايى
 وترفع بها شاهدى وترزق بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى

بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقنا ليس بعده كفر ونعمة أنال بها
شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل
الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم اني أنزل
بك حاجتي وان قصور رأبي وضعف عملي وافترقت الى رحمتك فأسألك يا قاضي الامور
ويا شافي الصدور **ك** ما تحيز بين البحور ان تحيزني من عذاب السعير ومن دعوة
الشور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأبي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيّتي
ولا أمنيّتي من خير وعده أحد من عبادك أو خير انت معطيه أحد من
خلقت فاني أرغب اليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهدين غير
ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلماء لاوليائك تحب بحبك من أحبك ونعادي
بعد اوتك من خالفك من خلقتك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * (وأما) اسم الله الاعظم
والاسماء الحسنى التي ما سئل بها الا أعطى ولا دعي بها الا أجاب وما قيل في ذلك
فقد ذكرت التحنيص ما قيل فيه وفصلت تلك الاسماء الحسنى على ما وردت
في الحديث المروي طريق الترمذي رحمه الله في المختصر المؤلف في ذلك المسمى
بزبدة المصنفات في الاسماء والصفات وفيه غنية وبلاغ عن اعادته ولكن نردف
هذه الدعوات انذكورة والروايات الماثورة بما هو معروف بدعاء الاستخارة
ودعاء الحاجة فانه ما دعا آن مشهود لهما بنجح المسعى مخصوصان بذلك نقلا ووضعنا
مناسبا لما جعله عقلا وشرعا (أما الاستخارة) فقال جابر بن عبد الله رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا
السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة
ثم يقول اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم
فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا
الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال وعاجل أمري وآجله
فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي
في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني
عنه واقدر لي الخير حيث **ك** كان ثم رضني ويسمي حاجته * وأما الحاجة فقال
عبد الله بن أبي أوفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له الى الله تعالى

حاجة أو الى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثني
على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك بموجبات رحمتك
وعزائم مغفرتك والغنمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تنه عن ذنبا الا غفرته
ولا همما الا فرجته ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين * تنبيه *
لما كان الدعاء والتضرع الى الله تعالى مشروطا برقة القلب وصفاء الباطن
وطهارة النفس واحلاص النية وصحة القصد وذلك لا يحصل الا بتبصرة وذكري
فانه لا يستراب في أن تذكري القلوب بأيام الله وتخويف النفوس بالوقوف بين يدي الله
يكسوها من الرقة والصفاء ملابس الاسعاد ويبعثها على الاستعداد لسبل
الرشاد ويوقظها لاحتقاب الزاد ليوم المعاد يوم مالها من عاصم ومن يضل الله فانه
من هاد * وقد عيما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مثل هذا الما ولي
الخليفة ان أول من أيقظني من احم وكان هذا من احم مولى لعمر قال عمر حبست
رجلا فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه فكلمني من احم في اطلاقه فقلت
ما أنا بخرجته حتى أبلغه أكثر مما مر عليه فقال لي من احم يا عمر بن عبد العزيز اني
أحذرك ليلة تمخض بالقيامة في صبيحتها تقوم الساعة يا عمر لقد كنت أنسى اسمك
عما أسمع قال الامير وفعل الامير وصنع الامير فوالله ما هو الا أن قال ما قال فكأنما
كشف عن وجهي غطاء فذكروا أنفسكم رحمكم الله فان الذكري تنفع المؤمنين
* فهذا ما أوردت من الالفاظ المرققة للقلوب والكلمات المرغبة للنفوس في
اجتناب الذنوب والاذكار التي بها أيقظ الصالحون قلوب الخلفاء والعظماء بحكم
الوجوب ما هو عند اعتباره واختباره تذكرة للمتقين وفيه ان شاء الله شفاء لما في
الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فنه قول سعيد بن عامر لامير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه قال أجل
قال اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله ولا يخالف قولك فعلا فان خير
القول ما صدقه الفعل وأحبب لقريب المسلمين وبعيد هم ما تحب لنفسك وأهل
بيتك وخص العناية بالحق حيث علمته ولا تخف في اللومة لا ثم قال عمر رضي الله
عنه ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من ركب في عنقه مثل ما ركب في عنقك * ومنه
قول خولة بنت حكيم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة خرج عمر بن الخطاب

من المسجد ومعه الجار ود العبدى فاذا امرأة برزة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر
رضي الله عنه فردت عليه السلام وقالت هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في
سوق عكاظ تصارع الفتيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى
سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت فبكى
عمر رضي الله عنه فقال الجار ودهيه اجترأت على أمير المؤمنين فأبكيته فقال عمر
دعها أما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه فحمر
والله أحق أن يسمع قولها فانها هي التي أنزل الله في حقها لما جاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله * ومنه
قول أبي بكر وقد دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم
يمضي عليك وفي كل ليلة تأتى عليك لا تردا من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا
وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك حدا لا تجوزه فأسرع ما تبلغ الحد وما
أوشك ما يلحقك الطالب وأنا وأنت وما نحن فيه كنا زائل وسنصير الى ما هو باق
في الآخرة ان خيرا خيرا وان شرا شرا وما ربك بغافل عما تعملون * ومنه قول أبي
حازم سليمان بن عبد الملك قال ابن أبي كثير لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة
قال هل بها أحد أدرك جماعة من الصحابة قالوا نعم أبو حازم فأرسل اليه فأتاه فقال
له يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال عمر تم الدنيا وخربتم الآخرة فتم كرهون
الخروج من العمران الى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله
قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال أين أجده من كتاب الله قال أبو حازم
قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال فأين رحمة الله تعالى قال
قريب من المحسنين قال سليمان فكيف العرض على الله تعالى غدا قال أما
المحسن فكأن الغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكأنه لا يبقى يقدم على مولاه فبكى
سليمان بكاء شديدا وقال كيف السبيل الى أن تصلح الاعمال قال تقسمون بالسوية
وتعدلون في القضية وتراعون أمر الرعية وذكر كلاما طويلا كان آخره أن قال له
سليمان ارفع يا أبا حازم حاجتك قال نعم ترخرجنى عن النار وتدخلنى الى الجنة قال
سليمان ليس ذلك الى قال هذه حاجتى قال فادع على قال اللهم ان كان هذا سليمان
من أوليائك فيسر له خير الدنيا والآخرة وان كان من أعدائك فخذ بناصيته الى
ما تحب وترضى ثم تركه وانصرف * ومنه ما رواه الزهرى قال نظر سليمان بن عبد

الملك الى رجل يطوف بالكعبة فقال يا ابن شهاب من الرجل فله رواء فقلت يا أمير المؤمنين هذا طاوس اليماني وقد أدركت عدة من الصحابة فأرسل اليه سليمان فأنااه فقال عسى تحدثنا فقال حدثنا أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون الخلق على الله من ولي من أمر المسلمين شيئا ولم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب ظننت أنه أراد عليا عليه السلام قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام في مجلس من مجالس قریش ثم قال ان الله لكم على قریش حقا وقریش على الناس حقا ما استرحموا وفرحوا واستحکموا فعدلوا واؤتمنوا فأدوا فمن لم يفعل ذلك لم يتقبل الله منه صرفا ولا عدلا فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثنا ابن عباس رضي الله عنه ان آخر آية نزلت من كتاب الله واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فبكى سليمان فتركة طاوس وانصرف * ومنه ما رواه المدائني قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لسليمان بن عبد الملك ان بالباب رجلا يطلب الدخول فقال أدخله فدخل فقال له سليمان ممن الرجل فقال من عبد القيس بن قصي واني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام وان كرهته فان من ورائه ما تحب ان قبلته فقال قل يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتشف لك رجال باعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك خربوا الآخرة وعمرروا الدنيا فلا تأمنهم على ما أئمنك الله عليه فانهم لم يألو الامانة تضییعا والامة خسفا وانت مسئول عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أخا ريعة لقد سللت علينا لسانك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك قال فهل لك من حاجة في ذات نفسك لتتقضى فقال أما حاجة دون عامة فلا ثم قام وخرج فقال سليمان لله دره ما أشرف أصله وأجمع قلبه وأدرب لسانه وأصدق نيته وأورع نفسه هكذا فليكن الشرف والعقل * ومنه ما كتبه الحسن البصري رحمه الله الى عمر بن عبد العزيز لما بعث اليه يقول له ذكرني بما أنتفع به وأوجز فكتب اليه أما بعد فلو كان لك يا أمير المؤمنين عمر نوح وملك سليمان ويقين ابراهيم وحكمة لقمان فان املك هول الموت ومن ورائه دار ان ان أخطأت هذه صرت الى هذه وهي الجنة والنار

فاجعل لذلك والسلام * ومنه مارواه رباح بن عبيدة قال كتب عمر بن عبد العزيز
الى طاوس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابته بكلمات يسيرة ولم يزد عليها فما
رأيت عمر أتاه كتاب أعجب اليه منه كتب اليه سلام عليك يا أمير المؤمنين فإن الله
تعالى أنزل كتابا وأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما وضرب فيه أمثالا وجعل
بعضه متشابها فاحل يا أمير المؤمنين حلاله وحرم حرامه وتفكر في أمثال الله
تعالى واعمل بحكمه وآمن بتشابهه واعتبر بأمثاله والسلام عليك * ومنه قول
محمد بن كعب وقد دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين
انما الدنيا سوق من الاسواق خرج منها ناس بمأثرهم وخرج منها ناس بما
نفعهم وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم
فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها المأجور من الآخرة عتدة ولا لما كرهوا الجنة
واقسم ما جمعه من لم يحمد هم وصاروا الى من لم يعذرهم فاتق الله يا أمير المؤمنين
وانظر الى ما نتخب أن يكون معك اذا قدمت الى ربك عز وجل فافعله والذي تكرهه
فاتركه وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم واعلم ان ثلاثا من
كن فيه فقد استكمل الايمان بالله عز وجل من اذا رضى لم يدخله رضاءه في باطل
واذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له خذها نفعك الله
بها ثم قام وخرج * ومنه قول زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد
دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد كيف حاله قال سيئ
الحال قال فان كان خصم بين الدين قال ذلك أسوأ الحال قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه
عيش قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد الا وهو خصم لك عند الله تعالى
مطالبك ان قصرت في حقه فبكي عمر حتى رقى له من حضر * ومنه مارواه عثمان
الخراساني قال قال أبي كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبي
رباح سيد فقهاء الخجاز فلما رآه قال له مرحبا مرحبا ها هنا ها هنا فرفعه حتى
مست ركبته ركبته وعنده أشرف الناس يتحدثون فسكتوا فقال هشام ما حاجتك
أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أهل الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم
فيهم عطاءهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم فقال نعم يا غلام اكتب لاهل المدينة
وأهل مكة عطاءهم وأرزاقهم مجلا ثم قال ثم ماذا يا أبا محمد فقال أهل نجد أصل
العرب وقادة الاسلام ترد فضول صدقاتهم فيهم قال نعم يا غلام اكتب بأن ترد فيهم

فضول صدقاتهم ثم قال هل من حاجة غير هذا قال نعم اتق الله يا أمير المؤمنين
في نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك لا والله مامعك
من هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحديهم فعلك فأكب هشام يسكي وقام عطاء فلما
كان عند الباب وأنامعه وإذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري ما فيه دراهم أو دنانير
وقال إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال له قل له لا أسألكم عليه من أجر إن أجرى
الاعلى رب العالمين ثم خرج لا والله ما قبل لهم شيئا * ومنه ما قاله الاوزاعي قال
كنت بالساحل فبعثت الى المنصور فأتته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة
رد علي وأجلسني وقال ما الذي أبطأك يا أوزاعي عنّا قلت وما الذي تريد يا أمير
المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قلت فإياك يا أمير المؤمنين أن
تسمع شيئا ولا تعمل به فصاح بي الربيع وأومأ بيده الى السيف فأنهزم المنصور وقال
هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال الاوزاعي فقلت يا أمير المؤمنين حدثني
مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال بات غاشا
لرعيته حرم الله عليه الجنة يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا
لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك جاء عن ابن عباس في هذه الآية ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها إن الكبيرة التهتهة والصغيرة التيسم فكيف
بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب قال
لومات شاة على شاطئ الفرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم
عدلك وهو على بساطك فأخذ المنصور المندبل ووضع على وجهه وبكى وانتحب الى
أن رحمه ثم قلت يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم
التقوى وأنه من طلب العز بظاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله
أذله الله ووضعفه فهي نصيحتي لك يا أمير المؤمنين والسلام عليك ثم نهضت فقال لي
الى أين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى فقال قد
أذنت لك وشكرت نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه فلا
تخلني من مطاعتك إياي بمثلها فانك المقبول غير المتهم في النصيحة قلت أفعل إن
شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فأمر له المنصور بمال يستعين به على خروجه
فلم يقبله وقال أنا في غنية عنه وما كنت لا يبيع نصيحتي بعرض الدنيا كلها وعرف
المنصور مذهبه وصدق قصده فلم يجد عليه في رده صلته * ومنه قول شبيب بن

شبهة للنصور وقد قال له عظمي وأوجز فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى لم يرض لك أن يجعل فوق منزلك أحدا من خلقه فلا ترض له من نفسك أن يكون عبد من عباده أشكر منك له * ومنه ما رواه الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فقال لي بحكمة انظر لي رجلا أسأله فقلت ها هنا الفضيل بن عياض قال امض بنا إليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها قال اقرع الباب ففرعته فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين قال مالي ولا أمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعته فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج والتجأ إلى زاوية فدخلنا فجعلنا نلتصقه بأيدينا فسبقت كف هارون الرشيد إليه قبلي فقال يا لها من كف ما أليتها إن نجت من عذاب الله فقال له خذ لما جئناك له فقال إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعدت الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم ان أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا واجعل افطارك الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبوا وأوسطهم أخا وأصغرهم ولدا فوق رأياك وأكرم أخاك وتحنن علي ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره للمسلمين ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت وأنا أقول لك اني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام فهل معك من أصحابك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا فبكي الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق بأمير المؤمنين فقال لي يا ابن أم الربيع ثقة له أنت وأصحابك وأرفق أنا به فلما أفاق قال زدني رحمك الله قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أقرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرافا فعل فبكي الرشيد بكاء شديدا وقال زدني رحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تبقى هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة

الجنة فبكى الرشيد ثم قال عليك دين قال نعم دين ربي ولم يحاسبني عليه والويل لي
ان سألتني والويل لي ان ناقشني قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا
قال الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هذه ألف دينار خذها فانفقها
عليك وعلى عيالك وتقرب بها على عبادتك فقال سبحان الله انا أدلك على طريق
النجاة وانت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقت ثم سكنت فلم يكلمنا فخرجنا من
عنده فلما صرنا بالباب قال لي الرشيد يا عباس اذا دلتني على رجل فدلتني على
مثل هذا هذا سيد المسلمين * ومنه قضية أبي العتاهية فان أمير المؤمنين الرشيد
زخرف مجالسه وبالغ فيها و صنع طعاما كثيرا ثم وجهه الى أبي العتاهية فأتاه
فقال صف لنا ما نحن فيه من زعم هذه الدنيا فقال له في الحال
عش ما بدالك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

يسبح عليك بما اشتبهت * لدى الروحاح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقععت * في ضيق حشرة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأخزته
فقال الرشيد دعه فانه راى نافي غفلة وعفى فكره أن يزيدنا
* (وآخر هذا الايقاظ وخاتمة هذه الالفاظ) *

وصية ونصيحة أخبرني بها أحد مشايخي الامام العلامة أبوزكريا يحيى بن القسم
المدرس بالنظامية ببغداد المجر وسنة بمنزله بها في أوائل سنة عشرة وستمائة قال
أخبرني بها تاج الاسلام أبو عبد الله محمد بن خميس الموصل قال أخبرني بها الامام
أبو حامد الغزالي رحمه الله وكتب بها على يدي الى الشيخ أبي الفتح أحمد بن سلامة
المدرس بالموصل يقول * فيما قرع سمعي انك تلمس مني كلاما وجيزا في معرض النصيح
والوعظ وانى لست أرى نفسي اهلالة فان الوعظ زكاة نصابها الايقاظ فن لا نصاب
له كيف يخرج الزكاة وفاقدا للنور كيف يستتير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود
أعوج وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام يا ابن مريم عطف نفسك
فاذا اتعظت فعظ الناس والافاستحي مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم

واعظين ناطقا وصامتا فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت ومن لم يتعظ
 بهما فكيف يعظ غيره واقد وعظت نفسي بهما فقبيلات وصدقت قولها وعلمها
 وأبت وتمردت بتحقيقها وفعلت لنفسى أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ
 الناطق وأنه كلام الله المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت
 بلى فقلت قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينة فانوف اليهم أعمالهم فيها
 وهم فيها الا يخسرون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
 وبالطى ما كانوا يعملون فقد أوعد الله بالنار ع لى ارادة الدنيا وكل ما لا يصح بك بعد
 الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وارادتها ولو أن طبيبا نصرانيا
 وعدك بالموت أو المرض على تناول الذاشهوات لتحاميتها وانفتها أفكان
 النصرانى عندك أصدق من الله فان كان كذلك فما أجهلك وأكفرك وان كان
 المرض أشد عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصددت ثم ما انتفعت بل
 أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالوعظ الصامت
 فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال الله تعالى قل ان الموت الذى تفرّون
 منه فانه ملاقيكم ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقلت
 لها هي انك ملت الى العاجلة أفلمست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطع
 عليك ما أنت متمسكة به وسألب منك كل ما أنت راغبة فيه وان كل ما هو آت قريب
 وأن البعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
 ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فكأنك مخرجة الوعظ عن جميع
 ما أنت فيه قالت صدقت فكان ذلك منها قولاً لا تحصيل وراءه ولم تجتهد قط في تزود
 الآخرة كاجتهادها فى طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستحي قط من الله
 تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشر لا استعداد الآخرة كتشميرها فى
 الصيف لأجل الشتاء وفى الشتاء لأجل الصيف فانها لا تطمئن فى أوائل الشتاء
 ما لم تتفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء
 لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن يختطف منها فقلت لها أأنت
 تستعدّين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحرقاات
 نعم قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدّى للآخرة بقدر بقائك
 فيها فقالت هذا هو الواجب الذى لا يرخص فى تركه الا الحق ثم استمرت

على سحيتها ووجدتني كما قال بعض الحكماء في الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه
 الآخر ولا أرا في الامتهم ولما رأيتهم امة مادية في الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت
 والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان
 ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وهما أنا موص
 نفسي واياك بالخذرم منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال
 وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في
 بياض غماره أنه يموت في ليلته أو يموت الى اسبوع أو شهر لاستقام واستوى على
 الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه الله وهو فيه مغرور
 فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل أنه يمسي
 أو أمسي وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير
 ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صل
 صلاة مودع ولقد أوتى جوامع السكلم وفصل الخطاب ولا يتنفع بوعظ الابه ومن
 غلب عليه ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله وخشيته منه
 ومن لم يخطر بخاطر قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه
 فلا يزال في غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت وتهدمه
 حسرة الفوت وأنما مقرر عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فاني
 طالع لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى لنفسه الابهاء وأن يحذر مواقع الغرور
 فيها ويحترز من خداع النفس فان خداعها لا يقف عليه الا الكاس وقليل ما هم
 والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كبيرة فوصية الله اكملها
 وأنقعهما وأثملها وأجمعها وقال عز وجل في محكم القرآن الكريم ولقد وصينا
 الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله فأتوا الله فأسعد من قبل وصية الله
 تعالى وعمل بها وأدخرها لنفسه ليحدها يوم مردها ومنقلبها * فهذه اشارات
 نافعة ومنذ كرات جامعة صدرت ممن تقدم عصره وبقي ذكره ورقم في صحيفة
 أعماله ثوابه وأجره فالله سبحانه وتعالى يوفق لاعتبارها سامعها وينفع بها كل
 أذن تعيها وكرمه مسؤول في توفيقها هاد وهداية وارشاد فان من وفقه الله تعالى
 يجعل له دايته أسبابا ويفتح له بين يديه الى رشده أبوابا فتحصل له الهداية من
 حيث لم يحتسبها وتشمله العناية الربانية وهو لم يكتسبها * كمثل عبد الله العمانى

قال كان منار رجل يقال له مازن وكلن بقريه من عمان يقال لها شمائل وفيها صنم
تعظمه بنو الصامت من طي ومهرة ويذبحون له ويقرّبون بالذبايح اليه وكان هذا
مازن يعظمه قال مازن فعقرنا يوماعقيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم وأنا
عنده ليس عنده غيري

يا مازن اسمع بسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبي من مضر
بدين الله الاكبر * فلدع نخيتا من حجر * تسلم من حر سقر
فقلت ان هذا العجب واخذني من ذلك ما اخذني ثم بعد ايام عقرت عقيرة أخرى له
فلما ذبحتها سمعت الصوت بعينه من الصنم * اقبل الى اقبل * تسمع ما لا يجهل
هذانبي مرسل * جاء بحق منزل * فأمن به لتعدل * عن حر نار تشعل *
وقودها بالجندل * فقلت ان هذا العجب واخذني ما اخذني وقلت ما هذا الاخير
يرادني فبينما أنا كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلت ما الخبر وراءك فقال
قد ظهر رجل من قریش يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجسود اذ عني الله فقلت هذا
نبا أمرى فثرت الى الصنم فكسرتة قطعاً وركبت جلي حتى قدمت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وهديت * فهذا ما كتب له القدر
الرباني بقلمه وخط هدايته في سابق القضاء وقدمه أنقذه الله تعالى من الضلالة
وساقه الى الهداية على لسان صفيه وقد تجرى الاقدار في السابقة بحسن الخاتمة
لا قوام ذوى قلوب غافلة وعيون نائمة فتوقظهم في آخر أمرهم وتورثهم من الآخرة
عيشة راضية في سعادة دائمة * كما حدث صدقة بن مرداس البكري قال نظرت الى
ثلاث قبور على شرف من الارض مما يلي بلاد طرابلس وعلى كل واحد منهم شيء
مكتوب واذا هي قبور مسخرة على قدر واحد مصطفة بعضهم الى جنب بعض ليس
عندها غيرها فعجبت منها ونزلت الى القرية القريبة منها فقلت لشيخ جلست
اليه اقدر آيت في قريتكم عجبا قال ومارأيت فقصصت عليه قصة القبور قال
فخديتهم أعجب مما رأيت فقلت حدثني أمره قال كانوا ثلاثة اخوة أحدهم أمير
يحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش والآخر تاجر موسر مطاع في ناحيته
والآخر زاهد قد تغلى بنفسه وتفرّد لعبادة ربه قال فحضرت أخاهم العابد الوفاة
فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يحب السلطان قدولى بلادنا هذه أقره عليها
عبد الملك بن مروان وكان في أمرته ظالم ما غشوا ممتعسا فلما حضره عند

أخيه ما قال له ألا توصي قال له ما لا والله ما لي مال أوصي فيه ولا لي على أحد دين فأوصي به ولا أخلف من الدنيا شيئا فأسبله فقال له أخوه الأمير يا أخي قل ما بد لك وما تشتهي أن يفعل فهذا مالي بين يدك فأوص منه بما أحببت واعد إلى ما شئت لا فعله فسكت عنه ولم يجاب به فقال أخوه التاجر يا أخي قد عرفت مكسبي وكثرة مالي فلعل في قلبك حاجة من الخير لم تبلغها إلا بالانفاق فهذا مالي بين يدك فأحكم فيه بما أحببت بنفذه لك أخوك فأقبل عليهما وقال لا حاجة لي في مالكما ولكن أعهد إليكما عهدا فلا يخالفني فيه أحد منكما قالوا عهدا إذا مات فغسلاني وأكفنياني على نشر من الأرض واكتب علي قبري

وكيف يلذ العيش من هو عالم * بان اله الخلق لا بد سائله
فياخذ منه نطفه لعباده * ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
فاذا فعلت ما ذلك فائتياني كل يوم مرة ثلاثة أيام لعلكم تتعظان بي قال فلما مات فعلا ذلك فكان أخوه الأمير كل يوم يركب في جندته حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ عليه ما تيسر ويكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يحكي مع جندته فتنزل فلما أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف منهورا فرعا فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال يا أخي ما الذي سمعت من قبرك قال لي تلك المقبرة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره قال فأصبح مهموما فادعاه أخاه وخاصته وقال ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري واني أشهدكم أني لا أقيم بين أظهركم وترك الأمانة ولزم العباد فكتب أصحاب عبد الملك بن مروان إليه في ذلك فكتب أن خلوه وما أراد قال فصار يأوي الجبال إلى أن حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع الرعاة فبلغ ذلك أخاه فأثاه وقال يا أخي ألا توصي فقال مالي من مال فأوصي به ولكن أعهد إليك عهدا إذا أنامت وجهرتني فادفني إلى جنب أخي واكتب علي قبري

وكيف يلذ العيش من كان موقنا * بان المنايا بغتة ستعاجله
فتسلمه ملكا عظيما ونجاة * وتسكنه القبر الذي هو آله
ثم تعاودني ثلاثا بعد موتي فادع لي لعل الله أن يرحمي فلما مات فعلى به أخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث من اتيان أهله جاء على عادته فدعاه وبكى عند قبره فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة في القبر كادت تذهب بعقله فرجع مقلقا فلما كان

في الليل اذا باخيه قد آتاه في منامه قال فلما رأته وثبت اليه وقلت يا أخي آتيتنا
زائرًا قال هيات يا أخي بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال فقلت كيف
أخى قال ذاك مع الائمة الابرار فقلت فما أمرنا عندكم قال من قدم شيئًا من الدنيا
وجسده فاغتتم وجودك قبل فقدك قال فأصبح أخوه معتزلاً للدنيا منخلها منها
ففرق أمواله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل قال ونشأ له ابن حسن
الشباب والهبة فاشتغل بالتجارة فحضرت أباه الوفاة فقال له يا أبت ألا توصي قل
يا بني ما بقي لي مال لا وصي به ولكن اذا أنامت فادفني الى جنب عمومتك واكتب
على قبري

وكيف يلذ العيش من هو صائر * الى جدت تبلى الثياب منازلها

ويذهب حسن الوجه من بعد صونه * سريعا ويبلى جسمه ومقاتله

واذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسك ثلاثا وادع لي ففعل الفتى فلما كان في اليوم
الثاني سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه ورجع مغموما الى أهله فلما كان
من الليل آتاه أبوه في منامه وقال له يا بني أنت عندنا عن قليل والامر ناجز والموت
أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك وحول جهازك من المنزل الذي
أنت عنه طاعن الى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اختبره الغافلون قبلك
من طول آمالهم فقصر واعن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة
وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف
على التقصير أنقذهم من شر ما يلحقاه المغبونون يوم الحشر يا بني فبادر ثم بادر ثم
قال صدقة بن مرداس قال الشيخ الذي حدثني هذا الحديث فدخلت على الفتى
صبيحة ليلته من الرويا فقصها علينا وقال ما أرى الامر الا كما قال أبي ولا أرى
الموت الا قد قرب فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ديونه ويستحل من خلطائه
ومعاملاته ويودعهم كهية رجل قد أذنب بأمر فهو يتوقعه ويقول قال أبي بادر ثم
بادر ثم بادر فهي ثلاث ساعات وقدمضت أو ثلاثة أيام وأنى لي بها أو ثلاثة أشهر
وما أرى أدركها أو ثلاث سنين وهو أكثر ذلك قال فلم يرزل يقسم أمواله ويتصدق
حتى اذا كان في آخر اليوم الثالث من ليلة هذه الرويا دعا أهله فودعهم ثم استقبل
القبلة ومدد نفسه وعمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى قال
فكث الناس حينما ينتابون قبره من الامصار يصلون عليه وكم من أمثال هؤلاء

عن هداهم الله تعالى لرشد هم فألقى في قلوبهم حلاوة انقطاعهم وزهدهم وأيقظ
 بهم من جاء من الخلف من بعدهم * (تنبيه وإشارة) * كما أن الانقطاع إلى الله
 طلب العبودية والزهادة في الدنيا للتفرغ لطاعته طريق موصل إلى النجاة من
 أليم عقوبة ووسيلة إلى الفوز ألا كبر بدخول جنه وعنوان سعادة لسالكه
 وتوفيقه وهدايتة فقد جعل الله لهذا المطلب الأعظم طرقاً أخرى وأقام لها
 أفواجا شروح لكل واحد منهم لسلوكها صدرا وفاوت أعمال مراتبهم في التقرب
 إليه فجعل لكل شئ منها قدرا فأعمها نفعاً وأعظمها عند الله سبحانه وقعا
 وأحبها لهم إلى الله تعالى عقلا وشرعا من رزقه الله تعالى قدرة وسلطانا
 فأقام الحق وبسط العدل وأحب الشرع وأغاث الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم
 وقع المفسد وجبر الكسير وفك الأسير وفرج عن المكروب وأمر بالمعروف ونهى
 عن المنكر وحمى حوزة الدين ونظر في مصالح المسلمين فهذا من أقرب الطائفتين
 إلى الله منزلة وأقومهم طريقة وأخصهم بحبة الله تعالى له فقد نقل عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال الناس عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله والله المسئول
 أن يعرض المولى السلطان لأقامة هذه السنن بتأييده ويجعله في الدنيا
 والآخرة بانتهاج هذه السنن من أسعد عبيده وينظم له جواهر هذه
 الصفات في حلية عقوده ويمدّه من ملائكة كتبه المسومين
 بجند يكوّنون من أنصاره وجنوده بحمد وآله أجمعين
 ولا يمكن هذا الدعاء إن شاء الله تعالى لهذا
 الكتاب ختام كلماته وتمام مقاماته وستر
 هفواته وتكفير سيئاته كما أنه نضرة
 قسّماته وغرة سماته إن شاء الله
 تعالى والحمد لله
 وحده

بعون الله الملك المنان قد تم طبع هذا الكتاب الجليل الشان الراقى في سماء
 الفصاحة الى أعلاها البالغ من محاسن البراعة الى منتهاها قد جمع من
 مهمات الاختلاق والصفات والسلطنة والولايات والشرائع والديانات
 ما تقر به العيون وتنسب به نفس المحزون مع عبارات فائقة وإشارات رائقة
 ومساائل شريفة ومطالب منيفة تشهداؤها بتقدمه في كل العلوم وأحراره
 قصب السبق في ميدان المنطوق والمفهوم وقد أعتنى الفقير مصطفي محمد
 في أثناء طبعه بتصحيحه وتوضيحه وتنقيحه فتضاعف حسنه بالطبع الجميل وفاق
 الفرع على أصله الاصيل وكان الراغب في طبعه وتمثيله وتكثير نسخه
 وتسهيله فرقد أسماء الفطانه ونير افلاك الحلم والرزانه الاخوان
 الشقيقان حضرة حسين أفندي حسني ومحمد أفندي وجهي العمران
 نسيبا البغداديان مولدا لازالا راقبين في مدارج الاقبال
 متحلمين بحلى المعارف والكمال وكان تمام طبعه بالمطبعة
 الوهية الكائنة بخط باب الشعريه بمصر المحمية
 في أوائل شهر رمضان المعظم سنة ألف
 ومائتين وثلاث وثمانين من هجرة
 النبي المعظم سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم
 وشرف وكرم

تم

تم

٦	القاعدة الاولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تشمل على عشرة أبواب
٧	الباب الاول في العقل وما يبنى عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض العبادات اللازمة
١٩	عقيدة المؤلف التي ألفها في التوحيد
٢٥	الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم العجز والتسرع
٣٣	الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه
٤١	الباب الرابع في المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها
٥٠	الباب الخامس في العدل والانصاف وذم الظلم والاحفاف
٦٧	الباب السادس في الاتفاق والاتلاف وذم الشقاق والخلاف
٧١	قصة الاوس والخزرج
٧٧	الباب السابع في مدح الوفاء وذم الغدر
٩٤	الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة
١٠٧	الباب التاسع في العفو واصطناع المعروف
١٢٤	الباب العاشر في مدح الصدق وذم الكذب
١٣١	القاعدة الثانية في السلطنة والولايات وهي تشمل على بابين
١٣١	الباب الاول في لسلطنة وما يتحلى به السلطان من الصفات
١٤٠	الباب الثاني في الولايات التي تدار المملكة عليها وزمام مصالح الدولة بيديها وفيها خمس طبقات
١٤١	الطبقة الاولى الوزارة
١٤٥	الطبقة الثانية كتابة الانشاء
١٥١	الطبقة الثالثة كتابة الجيش
١٥٥	الطبقة الرابعة كتابة ديوان الاموال
١٦٠	الطبقة الخامسة سائر الخاشية
١٦٠	القاعدة الثالثة في الشريعة والديانات وفيها أربعة أركان
١٦٢	الركن الاول الفيا

- ١٦٢ الركن الثاني القضاء وهو أعظم الاركان وفيه عشرة فضاء يعجزية
وقعت للقضاة
- ١٧٥ الركن الثالث الحسبة وهي عبارة عن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر
- ١٧٨ الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها
- ١٨١ القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع
من الزيادات وفيها جملة مسائل
- ١٨٢ النوع الاول في مسائل العبادات
- ١٨٨ مسائل المناكحات
- ١٩٣ النوع الثاني في جملة من المسائل أعلى من الاولى كان السلطان الملك
الناصر يشتغل بها
- ٢٠١ النوع الثالث في ذك مسائل رياضية وحسابية
- ٢٠٦ جدول يستخرج منه أوائل الشهور مرتباً بآسم الملك يوسف صلاح الدين
وكيفية الاستخراج مذكورة في صحيفة ٢٠٤
- ٢٠٨ خاتمة الكتاب في جملة أدعية مستجابة
- ٢١١ تنبيه في ذك بعض حكايات الصالحين